جامعة محمد بوضياف بالمسيلة كلية: الآداب والعلوم الاجتماعية كلية: قسم اللغة العربية وآدابها

الرقم التسلسلي:....

الاغتراب في شعرابي العلاء المعري دراسة موضوعاتية فنية

مذك____رة مقدمة لنيل شهادة الماجيستير

فرع:أدب عربي قديم

تخصص:أدب عربي

إشراف الدكتور: مصطفى البشير قط إعداد الطالبة: حياة بوعافية

تاريخ المناقشة:

أمام لجنة المناقشة المكونة من:

-د.فتحى بوخالفة أستاذ محاضر من جامعة: المسيلة رئيسا

-د.مصطفى البشير قط أستاذ محاضر من جامعة: المسيلة مشرفا ومقررا

-د.محمد زهار أستاذ محاضر من جامعة: المسيلة ممتحنا

د. خيرالدين دعيش أستاذ محاضر من جامعة: سطيف ممتحنا

الموسم الجامعي:2009/2008

مقدمـــة:

لقد مرّ الأدب العربي بعدّة مراحل عبر مختلف العصور ابتداءً بالعصر الجاهلي، إلى غاية العصر العباسي الذي شهد تحولا مميزا وتطورا ملحوظا في كل الجالات، لاسيما المجال الأدبي، الذي يسنير لنسا الطريق، ويساعدنا على الكشف عن وجه من أوجه الحضارة ، وما هذا البحث سوى محاولة لإماطة اللثام وإظهار بعض الجوانب الخفية، ومحاولة لتسليط الضوء على مظهر من المظاهر المتواجدة والمشاهدة في تلك الفترة من العصر العباسي ألا وهو الاغتراب ، وذلك من خلال شعر أبي العلاء المعري الذي يعد ظاهرة فريدة من نوعها ، خاصة وأنّ هذا الموضوع؛ أي موضوع الاغتراب في شعر المعري —حسب علمي – لم يتناول بالدّراسة من قبل ، ، رغم كثرة الدراسات حول هذا الشاعروشعره ، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فقد جاء هذا البحث وفي مجال الشعر بالذات دون النثر وهذا ما يعكس حيي الكبير وشغفي دائما به ومحاولة الاستماع والاستمتاع به.

لهذه الأسباب إتجهت إلى دراسة موضوع الاغتراب في شعر أبي العلاء المعري، وقد طرحت جملة من التساؤلات تشكل جوهر إشكاليته وهي:

-ما معنى الاغتراب؟ وهل هو؛أي- الاغتراب- في العصر العباسي جديد أم قديم؟وما هي أهم الدوافع التي ساعدت على ظهور الاغتراب في هذا العصر؟ ما هي أهم أنواع الاغتراب في الشعر العربي القديم؟ ما هي أهم الدواعي التي حملت المعري على الاغتراب زمانيا، واحتماعيا، وسياسيا، وكذا مكانيا؟ وكيف تجلى كل نوع في شعره ؟ وما مدى تأثير هذه الأنواع فيه، وما موقفه منها ؟ كيف تجلى الشوق والحنين في شعره ؟ وما هي أقسامه ؟ وما هي بواعثه ؟.

-كيف تعامل مع غربته بأنواعها، وما هي الطرق والوسائل التي لجأ إليها للتخلص من هذا الأخير أو التخفيف من حدته ؟كيف سخر لغته لهذا الموضوع ؟ وكيف عبر عنه ؟ والإجابة عن هذه الأسئلة شكلت بدورها هذا البحث الذي سار وفق خطة تمثلت في:

تمهيد ضم المنهج الموضوعاتي باعتباره المنهج المتبع في الدراسة، وجاءت فصول البحث كالآتي: الفصل الأوّل تحت عنوان مفهوم الاغتراب وأنواعه وحذوره في الشّعر العربي القديم، فهو بذلك

يحمل ثلاثة عناصر كل عنصر منها يشرح ويفسر نقطة معينة من العنوان لهذا الفصل.

ففي العنصر الأوّل تناولت مفهوم الاغتراب في الجحال اللغوي والاصطلاحي الذي ظهر عند طوائف من العلماء متمثلين في أهل الدّين والأدباء وعلماء النفس والفلاسفة . أما الجزء أو العنصر الثاني فقد حص أنواع الاغتراب التي عانى منها الإنسان عموما من مثل الاغتراب الزماني والمكاني والاجتماعي والسياسي وغيرها.

وبالنسبة للعنصر الثالث ضم جذور الاغتراب في الشعر العربي ومنذ العصر الجاهلي إلى غاية العصر العباسي، هذا العصر الذي توقفت عنده لأنّه المعني بالدّراسة ففيه ظهر شاعرنا وعانى من الاغتراب بأنواعه المختلفة.

هذا عن الفصل الأوّل، أمّا الفصل الثاني فقد ضمّ الاغتراب الزماني في شعر المعري، حاولت فيه تسليط الضوء على هذا النوع وإن كان مختصرا معرجة إلى لفظة الزمان أو موضوع الزمن أو الدّهر ونظرة الناس إليه وما موقفهم منه ؟.

هذا كلّه في توطئة كانت قبل التحدث عن عنصرين مهمين في هذا الفصل كانا أساس الاغتراب الزماني عند شاعر المعرة أبي العلاء ألا وهما الشاعر وأحداث الزمان الذي يعد موضوعا كغيره من الموضوعات التي عالجها المعري وأبدى رأيه فيها وهذا ما كنا دائما نستشفه في أشعاره إذ أبدى لنا موقفه من الزمان الذي كواه بحوادثه ونوازله حتى مل العيش متمنيا بذلك الموت والخلاص من هذه الحياة التي كلها في نظره تعب وهم وحزن .

أما العنصر الثاني فهو الشاعر والموت فقد كانت هذه النقطة بارزة في شعره، لقد آمن المعري هذه الحقيقة بعد إيمانه بالله.

وفضّل الموت على العيش في هذه الدنيا التي تحمل الكثير من الهموم والآلام والأحزان وكان تفضيله للموت لأسباب عديدة حاولت شرحها وتفسيرها أكثر في طيّات البحث.

وأمّا في الفصل الثالث، فقد أدرجت نوعين آخرين من الاغتراب ألا وهما الاغتراب الاجتماعي وكذا السياسي في شعر المعري، وكانت البداية في هذا الفصل بوضع توطئة، ثم تلك العناصر المتمثلة في الاغتراب عن الناس المتمثلين في النساء وأهل الدين والدجالين والأدباء .

أما العنصر الآخر فيتناول الاغتراب عن قيم المجتمع وعاداته وأعرافه السائدة، إضافة إلى الاغتراب السياسي في شعر الشاعر، وفي الفصل الرابع تحدثت عن الاغتراب المكاني، وقد تضمن الاغتراب عن الوطن ودواعيه عند المعري، وكذا تجليات الشوق والحنين إلى وطنه والى بغداد، كما لم أنس عنصرا آخر في غاية الأهمية، وهو طرق قهر الاغتراب عند المعري وقد تمثلت في العزلة والزّهد.

أمّا في الفصل الخامس وهو الأخير الذي كان تحت عنوان العناصر الفنّية في شعر الاغتراب عند المعري، والذي شمل المعجم الشّعري والصورة الفنية إضافة إلى البنية الإيقاعية.

ثم جاءت الخاتمة التي كانت عبارة عن خلاصة وحوصلة لأهم النتائج المتحصل عليها في البحث، وكذا قائمة المصادر والمراجع المعتمدة .

وعلى اعتبار أنّ موضوع الاغتراب هو موضوع قابل للتفرع والتجزؤ إلى موضوعات أخرى فإنّه تراءى في أن أتّبع المنهج الموضوعات؛ في دراستي، فهو الأنسب لمثل هذه الدّراسة، لأنّه يستوعب مواضيع فرعية تنتمي إليه وتنحدر منه، ، مع اللجوء إلى الإحصاء عند الحاجة والضرورة.

وقد اعتمدت لإنجاز هذا البحث على دراسات متعددة ساعدتني في تجميع هذا الكم الهائل مسن العلومات في هذا الجال، ومن بينها كتاب سميرة سلامي " الاغتراب في العصر العباسي القرن الرابع الهجري"، وأشرف على دعدور في كتابه " الغربة في الشّعر الأندلسي عقب سقوط الخلافة"، ويحي العبد الله في كتابه" الاغتراب"، وصالح زامل في كتابه" تحوّل المثال"، وفاطمة حميد السويدي في كتابها " الاغتراب في الشعر الأموي"، وريتشارد شاخت في كتابه "مستقبل الاغتراب"، ومسي يوسف خليف في كتابها "ظاهرة الاغتراب عند شعراء المعلقات"، إضافة إلى سناء خضر في كتابها "النظريسة الخلقية عند أبي العلاء المعري بين الفلسفة والدّين " أما مصدري الأساسي في الدراسة فقد كانا ديوانا المعري سقط الزند واللزوميات ، إضافة إلى كتب أحرى ومعاجم ومصادر استقيت منها معلومات حول كل ما يخص المعري واغترابه.

وأنا لا أنكر في أنّه واجهتني صعوبات جمة ومنذ البداية سواء كانت في اختيار هذا الموضوع، أو في المعلومات المحصلة ثمّا اضطربي إلى السفر إلى ولايات وجامعات ومكتبات أخرى للبحث وجمع قدر من الكتب التي تحوي هذا الموضوع.

كما أنّ المنهج الموضوعاتي الذي اخترته لمعالجة هذا الموضوع عند المعري كان في البداية يشكل لي غموضا وإبماما خاصة وأنه لم يدرج على مسامعي فيما مضى،وهو يعدّ من المناهج النّقدية المعاصرة التي ما زالت لم تتبلور بعد.

ولكن وبفضل الله وتوفيقه استطعت أن أتغلب على الكثير من المشاكل والصعوبات التي كانت تعترض طريقي، كما لا أنسى دور الأستاذ المشرف علي الدكتور قط مصطفى البشير الذي لم يبخل علي بالنصائح القيّمة وهو الذي أرشدني إلى هذا الموضوع بعد حيرتي الكبيرة في اختيار موضوع محدد كما لا أنسى كل من قدّم إليّ يد العون سواء من قريب أو بعيد فإلى كل هؤلاء شكر وتقدير ومحبة وعرفان مني إليهم جميعا وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

1- مفهوم الاغتراب:

يعدّ مفهوم الاغتراب من أكثر المفاهيم التصاقا بالإنسان، « فهو من طبيعته، بل يمكن القول أنه دافع من دوافعه الأساسية، يختلف من إنسان إلى آخر، ومن مجتمع إلى آخر، ذلك لأنه يتلوّن بطبيعة صاحبه وبالمحتمع وما يحكمه من أنظمة ومؤسسات وبطبيعة العصر بما يحتويه من قيم وأعراف و معار ف $(^{(1)}$.

وقد استخدم بطرق مختلفة ومعاني عديدة حتى أصبح يعاني من الغموض الشديد ⁽²⁾، نادرا ما يتّفق الباحثون على تحديد مفهومه، « فهم يذهبون مذاهب مختلفة في تعريفه فلا يستطيعون تحديد أنواعه ومصادره ونتائجه السّلوكية على الأفراد والمجتمع، فيقعون في الخلط ممّا يزيد من غموض هذا المصطلح و ضبابيته »⁽³⁾.

وبالرّغم من هذا الغموض الحاصل إلا أتنا سوف نورد قدر الإمكان معنى الاغتراب لغة واصطلاحا، ومن وجهة عربية وغير عربية، لتبيينه وتحديد مفاهيمه ودلائله عند طوائف من العلماء.

ففي مجال اللّغة ورد « لفظ (الاغتراب) في المعاجم العربية بمعنى الغربة عن الوطن »(4) ، فقد جاء مثلاً في "لسان العرب" لابن منظور في مادة غرب: «غربت الشمس تغرب غروبا ومُغَيْربَانًا: غابت في المغرب، والغرب: الذهاب والتنّحي عن النّاس، وقد غرب عنا، يغرب، غربًا، وغرّب وأغرب وغربه وأغربه: أي نحّاه، والغربة والغرب النّزوح عن الوطن والاغتراب، واغترب الرجل نكح في الغرائب وتزوج في غير أقاربه وأغرب الرّحل: جاء بشيء غريب، وأغرب عليه، وأغرب به، صنع به صنعا قبيحا »⁽⁵⁾.

ونجد المعاني نفسها في "مختار الصّحاح" في مادة غرب تقول: « (تغرّب) و(اغترب) بمعنى فهو (غريب) و (غُرُبٌ) بضّمتين والجمع (الغُرُباء) والغُرُباء أيضا الأباعد و(اغترب) فلان إذا تزوّج إلى غير أقاربه، وفي الحديث: (اغتربوا لا تضووا) وتفسيره مذكور في ض و ي.

و(التّغريب) النّفي عن البلد و (أغْرَب) جاء بشيء غريب، وأغرب أيضا صار غريباً .

⁽¹⁾ عمر بوقرورة : الغربة والحنين في الشعر الجزائري الحديث (1945–1962)، منشورات حامعة باتنة ، (د، ط ، د ، ت)، ص: 13.

⁽²⁾ينظر سميرة سلامي: الاغتراب في الشعر العباسي القرن الرابع الهجري، دار الينابيع، دمشق، ط1، 200 0، ص :13.

⁽³⁾⁻ صبار نورالدين: الاغتراب بين القيمة المعرفية والقيمة الجمالية، مجلة الموقف الأدبي ، ع 355،دمشق، إتحاد كتاب العرب، سبتمبر 2003،

⁽⁴⁾⁻صالح زامل: تحول المثال دراسة لظاهرة الاغتراب في شعر المتنبي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2003، ص :11.

⁽⁵⁾⁻ ابن منظور، لسان العرب، الدار المتوسطة للنشر والتوزيع، الجمهورية التونسية ، ط1، 2005، مادة (غرب).

وأسود (غِرْبِيبُ) بوزن قنديل أي؛ شديد السّواد، فإذا قلت: (غرابيب) سودٌ كان السّود بدلا من غرابيب لأنّ توكيد الألوان لا يتقدم و(الغرْبُ) و (المغرب) واحد، و(غَرَب) بَعُدَ .

يقال (أغْرُبْ) عنّي أي تباعد، و (غربت) الشمس وبابهما دخل، و(الغَرْبُ) بوزن الضّرب الدّلو العظيمة، و(غرْبُ) كل شيء أيضا حده، و (الغاربُ) ما بين السنام إلى العنق ومنه قولهم، حبلك على غاربك: أي اذهب حيث شئت »(1).

ويشير "الأزهري" في معجمه "تمذيب اللّغة" إلى هذا المفهوم (أي البعد عن الوطن) « يقال الغرب الذهاب والتنحي، ويقال أغربته و غربته إذا نحيته ، والغرب هو التنحي عن حد الوطن، ويقال غرب الأمير فلانا إذا نفاه إلى بلده »(2).

وفي "أساس البلاغة" للزمخشري: «غ ر ب كففت من غربه أي من حدته واقطع عني غُرْب لسانه، وإنى أخاف عليك غرْب الشباب....

ورمى فأغرب: أي أبعد المرمى، وتكلم فأغرب: إذا جاء بغرائب الكلام ونوادره... وقد غَرُبَتْ هذه الكلمة أي: غمُضت فهي غريبة.

وأغرب الفرس في جريه، والرجل في ضحكه، إذا أكثر منه، ولهي عن الاستغراب في الضحك، وهو أقصاه ...» (3).

فهذه إذن بعض المعاني التي وردت عن مفهوم الاغتراب في بعض المعاجم العربية أما إذا نظرنا إلى مفهوم هذا الأخير في المحال اللغوي وعند غير العرب أي؛ من وجهة عالمية سوف نجده يتعدد ويتلون بتلون المفاهيم واللغات والاتجاهات .

« فكلمة اغتراب (Alienation) في اللغة الإنكليزية، و (Aliénation) في اللغة الفرنسية، لهما أصل لاتيني واحد هو (Alienation) والمتتبع لاستخدامات هذا الاصطلاح في اللغتين سيجد تماثلا كبيرا بينهما؛ لأن كافة الاستخدامات مستمدة من الأصل اللاتيني المشترك، ولذا يمكننا الحديث عن معاني هذا المصطلح في اللغتين معاً »(4).

وقد و جدت ثلاث نقاط تتعلق بمعنى الاغتراب وهي:

. ايتعلق بالملكية (Alienation) عا يتعلق بالملكية . 1

^{(&}lt;sup>4)-</sup> سميرة سلامي:الاغتراب في الشعر العباسي القرن الرابع الهجري، ص: 32.



⁽¹⁾ الرازي: مختار الصحاح، تحقيق وشرح وضبط سعيد محمود عقيل ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان، (د، ط)، 2002، مادة (غرب).

⁽²⁾ أشرف علي الدعدور:الغربة في الشعر الأندلسي عقب سقوط الخلافة ، دار نهضة الشرق، جامعة القاهرة ، ط1، 2002، ص: 17–18.

⁽غرب). أساس البلاغة،دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان، ط1 ،1998 ،مادة (غرب).

2- لفظ الاغتراب بمعنى الغربة بين البشر ففعل (Alienare) يفيد معنى فتور علاقة ودية مع شخص آخر.

3- ترتبط كلمة الاغتراب بالغربة (Enttremung) وهذا الاصطلاح يعني التغريب.

ولكن الاغتراب في نفس الوقت مقولة غير محدودة المعالم، يختلف معناها باحتلاف استعمالاتها، فهناك الاغتراب بالمعنى الحقوقي $(^1)$ ،الذّي يعد من بين أنواع الاغتراب التي ظهرت بين الناس وقد قصد به «تحويل أو نقل ملكية شيء ما، من شخص إلى آخر، أو جعل شيء ما منتميا إلى شخص آخر $(^2)$. وخلال عملية الانتقال التي تتم يصبح الشيء مغتربًا عن مالكه الأول، إذ يدخل في حيازة المالك الجديد $(^3)$.

فإذن الاغتراب بالمعنى الحقوقي يجعل الإنسان مغتربا إذا ما حصل الانتقال من مالكه الأصلي إلى مالك جديد.

«كما تعني في الطب الاضطراب العقلي الذي يجعل الإنسان غريبا عن ذاته ومجتمعه، أما في الفلسفة فتشير إلى غربة الإنسان عن جوهره »(4).

وانطلاقا من هذه الأقوال نلاحظ أنّ استعمالات الاغتراب تعدد لذلك نجده معناه يختلف في القانون والطب والأدب.

« هذا عن الاغتراب في اللغة الفرنسية والإنجليزية، أما فيما يخص اللغة الألمانية فقد استخدم مصطلح (verroussenug) للتعبير عن النقل القانوي للملكية من شخص إلى آخر، ولكن هذا النقل أو التّغريب للملكية لم يكن نقلا قانونيا وإنما عن طريق السلب والسطو. واستعمل أيضا بمعنى الاحتلال العقلي ولكنه اقتصر على حالات غياب الوعي وشلل الحواس $^{(5)}$.

كما نجد مفاهيم ودلالات مختلفة للفظة اغتراب تعبر عنها مختلف القواميس الإسبانية « وهي في محملها مرتبطة بالانتقال المكاني والبعد عن الوطن، وكذا المرتبطة بعدم التوافق أو الانسجام مع اللّحظة الآنية أو قيم المحتمع ففي قاموس الأكاديمية الملكية (Diccionario de la real academia) يذكر أنّ

⁽¹⁾ سناء حضر: النظرية الخلقية عند أبي العلاء المعري بين الفلسفة والدين ، دار الوفاء، الإسكندرية، ط1، (د، ت)، ص: 98.

⁽²⁾⁻سميرة سلامي: الاغتراب في الشعر العباسي القرن الرابع الهجري، ص: 32 .

⁽³⁾⁻ يحي العبد الله: الاغتراب دراسة تحليلية لشخصيات الطاهر بن جلون الروائية ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت، ط1، 2005،ص : 22.

⁽⁴⁾⁻سناء خضر:النظرية الخلقية عند أبي العلاء المع*ري* بين الفلسفة والدين ، ص: 98.

^{(&}lt;sup>5)-</sup>سميرة سلامي: الاغتراب في الشعر العباسي القرن الرابع الهجري ، ص: 33- 34.

الغربة (exilio) هي البعد عن الوطن وأنّ الغريب (exiliodo) هو المبعد عن وطنه لأسباب سياسية بشكل عام وكذلك من معانيها النّفي عن الوطن والانفصال عن الأرض التّي يعيش فيها الإنسان» (1).

إن جميع المعاني التي تعبر عن مصطلح الاغتراب تشترك في معنى واحد هو الانفصال والانسلاخ، لكن هذا الانفصال قد يكون عن شيء ما كالملكية، وقد يكون عن الآخرين وعن المحتمع، وقد يكون عن الله (2).

أمّا اصطلاحا فنجد مفهوم الاغتراب يحظى باهتمام كبير من طرف طوائف من العلماء متمثلة في الفقهاء المسلمين والشعراء والعلماء العرب منهم والأعاجم إذ عمدوا إلى شرحه وتحليله وتبيينه على أكمل وجه وذلك انطلاقا من نظرة كل واحد منهم له، هذا ما يجعلنا نقف عند الكثير منهم لكي نلتمس تعريفاهم وأول محطة نقف عندها للتعريف بهذا المصطلح هم علماء الدين.

وفي هذا الصدد نلحظ اهتمام فقهاء الإسلام به والحديث عنه وتوضيحه من وجهة نظر الدين الإسلامي، وقد شغل حيزا كبيرا من تفكيرهم، فقسموه إلى أنواع ودرجات هي الاغتراب عن الأوطان « وهو مشترك بين النّاس جميعا، فالناس كلهم في الدّار الدنيا غرباء، لأنّها ليست لهم بدار مقام وليست الدار التّي خلقوا لها، ولهذا وصف أحد شيوخ الإسلام هذا النوع من الاغتراب بأنه لا يحمد ولا يذم وله فيه هذه الأبيات:

وحي على جنّات عـــدن فإنّهـا ولكننا سبي العدو، فهل تــرى وأي اغتراب فوق غربتنــا التّي وقد زعموا أنّ الغريب إذا نــاى فمن أجل ذا لا ينعم العبد ساعـة

منازلك الأولى وفيها المخيم نعود إلى أوطاننا ونسلم ؟ لها أضحت الأعداء فينا تحكم ؟ وشطت به أوطانه ليس ينعم من العمر إلا بعدما يتالم

وقد حضّ الدين الإسلامي النّاس على أن يتخذوا الدّنيا ممراً ولا يجعلوها مقرا ووطنا فهي دار فناء، أو دار انتقال إلى دار البقاء »(3).

قال تعالى: ﴿ يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ﴾ (4) ، فهذه الآية أكبر دليل على أنّ الدّنيا ومن فيها فانون.

⁽¹⁾ أشرف على دعدور:الغربة في الشعر الأندلسي عقب سقوط الخلافة ، ص: 19- 20.

⁽²⁾⁻ ينظر سميرة سلامي: الاغتراب في الشعر العباسي القرن الرابع الهجري، ص: 34.

^{(&}lt;sup>3)-</sup>سميرة سلامي: الاغتراب في الشعر العباسي القرن الرابع الهجري، ص: 23- 24.

⁽⁴⁾⁻ سورة غافر/ 39.

«وقال النبيّ (ص) لعبد الله بن عمر رضي الله عنه: [كن في الدّنيا كأنك غريب أو عابر سبيل] وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: " وأحذركم الدنيا فإلها مترل قلعة، وليست بدار نجعة قد تزينت بغرورها، وغرت بزينتها".

لكن الإمام الفقيه ابن رجب الحنبلي، يرى أنّ الناس في الدّار الدنيا قسمان قسم وقف مع الدنيا وزينتها واغتر بها وجهل معرفة اللّه وعظمته وإجلاله وهؤلاء لا يشعرون بالاغتراب في الدنيا بل يستوحشون من ترك الدنيا وملذاتها والقسم الثاني آمن باللّه حق الإيمان فاستأنس به وبذكره ومحبته وهؤلاء يستوحشون من الدّنيا وشهواتها ويعيشون مشاعر الاغتراب عن الوطن الأم»(1).

وهكذا فإن هذا الصنف من المسلمين وأهل الدّين نظروا إلى أنّ الدنيا دار بلاء وزوال لا يحق للإنسان الوقوف عندها لأنها لا محالة سوف تزول وتنأى عنه، « واغتراب الحال وهو بالمعنى الإسلامي الابتعاد أو الانفصال عن الحياة الاجتماعية الزائفة الحارفة، وعن الكثرة التّي غرقت فيها ومفارقة شهوات الدّنيا وملذاتها وزحارفها وهوى النّفس ومطامعها والتمسك بتعاليم الدّين الصّحيح ومحاربة البدع والشّبهات التّي دحلت الإسلام وليست منه في شيء »(2).

« وقد وصف الرسول الكريم غربة أهل الإسلام في أحد أحاديثه: [بدأ الإسلام غريبا وسيعود كما بدأ غريباً، فطوبي للغرباء] ، وينطوي هذا القول على شيء من امتداح الغربة» ($^{(5)}$) وهو الأمر الذي جعل من قول الرسول مصدراً انطلق منه الكثير من علماء الدّين ورجالاته $^{(4)}$ إضافة إلى اغتراب الهمة وهو « اغتراب العارفين، وقد عدّ أعلى درجات الاغتراب عند المسلمين، لأنّ الاغتراب الأول، اغتراب بالأبدان، والثاني اغتراب بالأفعال والأحوال وهذا اغتراب بالهمم، فالعارفون غرباء بين الخلق كلهم وهم المتصوفة، أصحاب المعرفة الذوقية الذين يعملون للاتصال بالله عن طريق معرفته ومجبته، ومما تجدر ملاحظته أن هذا المغترب عن كل شيء سوى الله، لا يشعر باغترابه هذا ولا يستوحش منه بل على العكس من ذلك ينعم فيه بمتعة ما بعدها متعة وهذا ما يبينه قول "ابراهبم بن أدهم": " لو علم الملوك وأبناء الملوك، ما نحن فيه من السرور والنعيم ومن لذة العيش وقلة التعب، إذا لحاربونا على ما نحن فيه بأسيافهم.

⁽¹⁾ سميرة سلامي: الاغتراب في الشعر العباسي القرن الرابع الهجري، ص :24.

⁽²⁾ سميرة سلامي: الاغتراب في الشعر العباسي القرن الرابع الهجري، ص: 30.

[.] 16: صالح زامل : تحول المثال دراسة لظاهرة الاغتراب في شعر المتنبى ، ص $^{-(3)}$

⁽⁴⁾⁻ ينظر عمر بوقرورة : الغربة والحنين في الشعر الجزائري الحديث، ص: 15.

وأنشد في ذلك يقول:

وأيتمت العيال لكي أراكـــا $^{(1)}$.

هجرت الخلق طراً في هواكا فلو قطعتني في الحب إربـــاً

كما نحد هذا المفهوم -إضافة إلى علماء الدِّين والمتصوفة - متجسدا عند أحد الأدباء والمفكرين العرب القدماء وهو أبو حيان التوحيدي الذي لاشك أنه استمد آراءه عن الاغتراب من تجربته الشخصية ومعاناته في الحياة.

ويمكننا أن نقرأ المفهوم الشّامل للغربة عند أبي حيّان التّوحيدي في كتابه "الإشارات الإلهية"، حيث نجد هذا المفهوم المادي والمعنوي لهذه الكلمة في قوله: « "فأين أنت من غريب قد طالت غربته في وطنه وقل حظه ونصيبه من حبيبه وسكنه ؟!وأين أنت من غريب لا سبيل له إلى الأوطان ولا طاقة به على الاستيطان ؟!".

ويقول أيضا في موضوع آخر يحاول أن يعطينا صورة صادقة عن الغريب، فهو يمسك ريشته ويحاول رسم هذا الغريب لكي يعطي لنا صورة صادقة عن ملامحه ومسلكه في الحياة فهو يقول: الغريب من لبسته خرقة، وأكلته سلقة، وهجعته خفقة والغريب من غربت شمس جماله، واغترب عن حبيبه وعذاله وأغرب في أقواله وأفعاله وغرب في إدباره وإقباله، واستغرب في طمره وسرباله، يا هذا! الغريب من نطق وصفه بالمحنة بعد المحنة... الغريب من إن حضر كان غائبا، وإن غاب كان حاضرا، الغريب من إن رأيته لم تعرفه، وإن لم تره لم تستعرفه »(2).

ويصل اكتمال المفهوم عند التوحيدي في قوله: « وأغرب الغرباء من صار غريبا في وطنه، وأبعد البعداء من كان بعيدا في محل قربه »(3).

وإضافة إلى علماء الدين والأدباء نجد علماء النفس يستعملون كغيرهم مصطلح الاغتراب محاولين بذلك تبيين معانيه وذكر أسبابه وهذا ما نجده ماثلا عند "أريك فروم" مثلا ، فهو يعرفه بأنه: « نمط من التّحربة يعيش الإنسان فبها نفسه (بوصفه) شيئا غريبا ويمكن القول أنه قد أصبح غريبا عن نفسه، أنّه لا يعود يعيش نفسه باعتباره مركزًا للعالم ومحركا لأفعاله، لكن أفعاله ونتائجها قد أصبحت سادته الذين يعبدهم أو الذين يعبدهم .

⁽¹⁾⁻سميرة سلامي: الاغتراب في الشعر العباسي القرن الرابع الهجري، ص: 30- 31.

^{(&}lt;sup>2)-</sup> حسن محمد حسن حمّاد:الاغتراب عند أبي حيان التّوحيدي، دراسة فلسفية من خلال الفكر الوجودي، مجلة فصول، القاهرة،العدد الثالث، خريف 1995، ص: 72.

⁽³⁾⁻ صالح زامل: تحوّل المثال دراسة لظاهرة الاغتراب في شعر المتنبي، ص: 19.

وهو يستخدم هذا الاصطلاح أوّلا وقبل كل شيء لإيضاح الأنماط المختلفة من الانفصال أو الانقسام »(1).

ومن بين علماء النفس الذين طرقوا هذا الباب وتناولوه بالتّحليل والدراسة عالم النّفس "كينيستون" «حيث يرى أنّ هناك أسبابا ذاتية وأسبابا موضوعية تؤدي إلى الاغتراب، ويرد الأسباب الذاتية إلى عوامل نفسية ديناميكية تحدث في نمو الفرد، أما الأسباب الموضوعية فهي الظروف الحيطة بالفرد، وما يكوّلها من عوامل حضارية وثقافية واحتماعية وسياسية واقتصادية.

ومن هذا المنطلق يمكن أن نشير إلى أن اغتراب المبدعين وهم نخبة مميزة في المجتمع ذات تكوين نفسي مميز أشد أثرا في حفر مسارب الاغتراب حتى تصل إلى ذروها المنشودة وتنجح في تكوين التيارات الفعالة التي تقود عمليات التغيير »(2)، والمقصود من هذا القول أنّ الاغتراب له أسباب ذاتية وأخرى موضوعية ،والمبدعون أو المبتكرون في المجتمع تدفعهم العوامل الذاتية أكثر من عوامل أحرى.

وقد بات الاغتراب قضية تناولها الفلاسفة والمفكرون بالتحليل وتعقبوها بالبحث والاستقصاء (3)، لذلك نجده يشغل حيزا كبيرا في كتبهم ودراساتهم.

« فقد استخدم مصطلح الاغتراب بشكل واسع في نظرية العقد الاجتماعي ويرى "حان حاك روسو" في كتابه "العقد الاجتماعي" أن قيام الفرد بتغريب سيادته على ذاته، وتسليم هذه السيّادة إلى الجماعة هو شرط ضروري لوجود الجماعة وأنّ بنود العقد الاجتماعي يمكن اختصارها في بند واحد هو التغريب الكامل من قبل كل عضو مشارك في الجماعة، لكافة حقوقه والتنازل عن حريته الطبيعية، وبموجب هذه النظرية تغترب الحقوق الطبيعية للفرد عن هذا الفرد وتنتقل إلى الدولة ويغدو الإنسان الذي كان حرا مستقلا تابعا للدّولة بل وعبدا لها » (4).

أما الفيلسوف الألماني "هيغل" فقد ناقش مصطلح الاغتراب ، فوصل به إلى ازدواجية دلالة المصطلح فهو يرى فيه معنيين ،معنى ايحائي ومعنى سلبي (5).

هذا عن الاغتراب عند هيغل،أمّا ماركس «فقد عد الاغتراب ظاهرة اجتماعية تظهر في سياق العلاقات الاجتماعية في النسق الاجتماعي المحدد، وهو يميز ثلاثة أنواع من الاغتراب:

⁽¹⁾ صالح زامل: تحول المثال دراسة لظاهرة الاغتراب في شعر المتنبي، ص:26.

⁽C) فاطمة حميد السويدي: الاغتراب في الشعر الأموي، مكتبة مدبولي، القاهرة، الطبعة الأولى، 1997،ص: (ت) من المدخل.

⁽³⁾ ينظر محمد راضي جعفر: الاغتراب في الشعر العراقي، دراسة من منشورات اتحاد كتاب العرب، 1999 www.awu-dan.org

^{(&}lt;sup>4) -</sup> سميرة سلامي: الاغتراب في الشعر العباسي القرن الرابع الهجري، ،ص:35...

⁽⁵⁾ _ينظر صبار نورالدين :الاغتراب بين القيمة المعرفية والقيمة الجمالية، بحلة الموقف الأدبي، www.awu-dan.org

اغتراب العمل: ويرى ماركس أن هذا النوع من الاغتراب هو الأرضية المشتركة لكل أشكال الاغتراب الأحرى.

واغتراب الناتج: إن اغتراب العمل يقود إلى اغتراب النّاتج الذي يصبح غريبا عن منتجه حينما يقع تحت طائلة قوة غريبة ومعادية إنسانية أو غير إنسانية.

واغتراب الذات هذا النّوع هو تحصيل حاصل من الاغترابين السابقين لأن عمل المرء وإنتاجه هما في حياته شكل متموضع، فإذا اغترب عنه العمل والناتج اغتربت ذاته.

إنّ الاغتراب لدى "ماركس" لصيق بالحياة ومن هنا كان اكتشاف جذور هذه الظاهرة عنده يرجع إلى بؤرة الوجود الاجتماعي الطبقي وهو الذي حوّل مصطلح الاغتراب إلى مصطلح علمي له دلالات (سوسيولوجية) وأبعاد واقعية وأنزله من عالم المثل إلى عالم الواقع الاجتماعي الحي» $^{(1)}$ ،هذا عند الفلاسفة .

« أما عند الوجوديين فيمكن أن نجمل حديثنا عن الاغتراب عندهم في أنماط ثلاثة هي: أوّلا: الاغتراب عن العالم وعن الآخرين.

ثانيا: الاغتراب عن الذات.

ثالثا: الاغتراب عن الله عند الوجودية المؤمنة، علما أنّ أنواع الاغتراب هذه متداخلة فيما بينها في كتابات الوجوديين ومثبوتة في مجمل مؤلفاتهم »(2)، فالوجوديون كغيرهم من الفلاسفة والمفكرين يؤمنون بالاغتراب ويجعلونه وفق ثلاثة أنواع، اغتراب عن النّاس واغتراب عن النّفس واغتراب عن الله.

« ويختصر "تيليش" الوجود بأن يقول: " الوجود الإنساني انفصال " وليس الوجود انفصالا للفرد عن ذاته فحسب بل وعن الآخرين $^{(3)}$.

إذن بعد هذه الرحلة العاجلة في عالم الاغتراب والتي استوقفتنا عند حدوده ومعانيه من ناحية اللغة والاصطلاح ومن وجهات نظر مختلفة عربية وغير عربية .

نقول بأن: « الاغتراب كفكرة يقوم على أساس التّمييز بين وجود الانسان وجوهره وعلى أن وجود الانسان بصورته التي نراه عليها في المجتمع لا يتفق مع جوهره أو ما هو من حقيقته وإنما هو يختلف عنها بل ويتعارض معها، فما هو كائن لا يتفق مع ما ينبغي أن يكون، والإنسان المغترب (aliented)هو الإنسان الذي لا يحس بفاعليته ولا أهميته ولا وزنه في الحياة وإنما يشعر بأن (aliented)

⁽¹⁾ صالح زامل: تحول المثال دراسة لظاهرة الاغتراب في شعر المتنبي، ص: 25-26 .

⁽²⁾ سميرة سلامي: الاغتراب في الشعر العباسي القرن الرابع الهجري، ص

[.] (3) صالح زامل: تحول المثال، دراسة لظاهرة الاغتراب في شعر المتنبي، ص: 26.

العالم (الطبيعة والحزن بل والذات) على عكس ذلك، غريب عنه (1)، من خلال هذا نستطيع أن نقول أنّ الإنسان المغترب يفقد قيمته ووزنه في المجتمع لذلك يحسّ بالغربة والانفصال والبعد « وهذا كله ناتج عن الظروف المادية والأسباب الشخصية والعامة المؤدية إلى الغربة والمعاناة الدائمة (2)، فمن دون شك الظروف المحيطة بالإنسان سواء كانت المادية أو المعنوية تؤثر فيه وتجعل معاناته بارزة وكذا تعمّق إحساسه بشتى أنواعها.

2- أنواع الاغتراب:

إذا اعتبر مفهوم الاغتراب إشكالية كبيرة واجهت الدّارسين في تحديد مفاهيمه وضبط زواياه وذلك بالنظر إلى الغموض الذي كان يكتنفه فإن أشكاله وأنواعه كانت أكثر منه غموضا وتعقيدا « لأنه ليس هناك شيء يسمى بالاغتراب الشامل الذي يجمع سائر الأنواع معًا، وليس هناك شيء يسمى بالاغتراب (س) والاغتراب (و)، غير أن هناك أنواعا من الاغتراب لا تعد ولا تحصى كانت موجودة ولا تزال موجودة وسوف تأتي إلى الوجود (بدون شك) مع استمرار المغامرة الإنسانية في السير في دروب الوجود المتعددة والمتباينة، ولعل علماء الاجتماع والفلاسفة الاجتماعيين يحسنون صنعا إذا وجهوا اهتمامهم إلى هذه الأنواع، وذلك لأنها تشتمل على العديد من أهم الامكانات التي يمكن أن تظهر على طريق الدراما المستمرة للحياة والتجربة الإنسانيتين »(3).

وأنا هنا سوف أحاول قدر الإمكان التعرض إلى أهم الأنواع وأكثرها انتشارا لدى الشعراء لتبيين مداها وخصوصياتها وأوّل نوع أتطرق إليه هو:

الاغتراب الاجتماعي: « الذي يعني باختصار شعور الفرد بالانفصال عن جانب أو أكثر من جوانب المجتمع، كالشعور بالانفصال عن الآخرين، أو عن القيم والأعراف والعادات السائدة في المجتمع، أو عن السلطة السياسية الحاكمة، إضافة إلى ما يصحب ذلك من إحساس بالألم والحسرة، أو بالتشاؤم واليأس وما يرافقه أحيانا من سخط أو تمرد أو نقمة أو ثورة ...» (4)، فهذا النّوع من الاغتراب منتشر بكثرة بين النّاس فهناك من يغترب وينفصل عن النّاس، وهناك من ينفصل عن العادات المكتسبة، كما نجد من يشعر بالغربة من الحكام وسياساتهم.

^{(&}lt;sup>4)-</sup> سميرة سلامي:الاغتراب في الشعر العباسي القرن الرابع الهجري، ص: 151 .



⁽¹⁾ عزّت حجازي: الشباب العربي ومشكلاته، الجملس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، سلسلة عالم المعرفة، 1985، ع6، ص: 72 .

⁽²⁾ عزيز السيد حاسم: الاغتراب في حياة وشعر الشريف الرضى، دار الأندلس، بيروت، لبنان، ط1، 1986، ص :11

^{(3) -} ريتشارد شاخت: مستقبل الاغتراب مع دراسة بعنوان المشروع الفلسفي عند ريتشارد شاخت، ترجمة وهيبة طلعت أبو العلا ، منشأة المعارف، (د، ط، د، ت)، ص:59 .

فها هو «شاخت يعزو انعزال الفرد اجتماعيا إلى كونه شخصا خلاقا، فربما بحكم كنهه كذلك شخص غير متوافق، يضع التقاليد موضع التساؤل أو يخرج عنها، وكلما كانت أصالته أكثر عمقا، ازداد عمق اظطراره للاغتراب عن مجتمعه» (1)

وثاني نوع هو: « الاغتراب الروحي ويرتبط ظهور هذا النوع من الغربة بوجود الدين في أي مكان وزمان، في المشرق كما في المغرب، فشعراء الزهد والتصوف يتأثرون ببعض المفاهيم الدِّينية التِّي تهوّن كثيرا من شأن الدِّنيا ومتعها الفانية، ومرور الانسان بها كأنه غريب أو عابر سبيل فكثيرا ما عبروا عن زهدهم في هذه الدنيا وعن متاعها الزائل واجتناهم للنّاس واعتزالهم الحياة وكل ما يتصل بها متوجهين _ في الوقت نفسه _ إلى الله وإلى العالم الآخر، ساعين دوما إلى خلاص الروح من هذا العالم الأرضي لتصل إلى عالمها العلوي، ولا شك أن الوصول إلى هذا الفهم أو التصور مر بمراحل وصل فيها مفهوم الزهد بصورته البسيطة إلى هذا المعنى الخاص لدى الصوفية عن غربة الروح في الجسد بل في هذا العالم» (2)، فالاغتراب الروحي يعتبر كغيره من الأنواع الأخرى للاغتراب التي عاني منها الانسان، والمغترب في ظلّه يشعر بالانفصال عن الدنيا ومتاعها، فهو كعابر السبيل بها لا يتوقف عندها وإنّما يمر عنها ليصل الى مكانه وعالمه الأصلى.

أمّا الاغتراب الاقتصادي، فمفهومه ظهر « منذ أن بدأ الرومان القدماء في استعمال الكلمة اللاتينية (alienatio) للدلالة على فعل تحويل ملكية شيء إلى شخص آخر أو إلى هيئة أخرى، كما كان متداولا أيضا في اللغات الإنجليزية والألمانية والرومانية منذ العصور الوسطى، كما يكشف عن ذلك أي قاموس يتعلق بتاريخ أي لغة من هذه اللغات .

أمّا بالنسبة لظاهرة الاغتراب الاقتصادي فيمكن القول إننا فسرناها في ضوء التعريف الذي حرى عليه العرف، فلابد أن نقر ألها قديمة قدم المؤسسات الإنسانية الخاصة بالملكية والتبادل الاقتصادي »(3).

وعلى اعتبار أنّ "ماركس" يعدّ المنظّر الأكثر شمولية في حديثه عن الاغتراب الاقتصادي فإننا سوف ندرج رأيه حول هذا النوع من الاغتراب .

إذ « ينظر "ماركس" للاغتراب باعتباره العملية التي يفقد الفرد خلالها قدرته على التّعبير عن ذاته التّي تحولت وصارت تبدوا متمثلة في استغلال إنتاج العمال بواسطة الرأسمالي، فعند الأحذ بتقسيم العمل كما يقول "ماركس" يغدو لكل امرئ مجال محدد ومغلق لتقييم العمل مفروض عليه ولا منجاة له منه

⁽¹⁾ يحي العبد الله: الاغتراب دراسة تحليلية لشخصيات الطاهر بن جلون الروائية، ص:25.

⁽²⁾ أشرف على الدعدور: الغربة في الشعر الأندلسي، ص: 45 .

[.] (3) ريتشارد شاخت: مستقبل الاغتراب دراسة بعنوان المشروع الفلسفي عند ريتشارد شاخت، ترجمة وهيبة طلعت، أبو العلا، ص: 61 .

فيصبح صائدا للحيوانات أو للأسماك أو راعيا ويتعين أن يظل كذلك إذا لم يشأ أن يفقد وسائل كسب معيشته» $^{(1)}$, وبالنسبة إلى الاغتراب الذاتي: « فإن الموطن الأصلي له يكمن في تراث الفكر الحديث الذي اتخذ من نوعيه الحياة الإنسانية موضوعه الأساسي، ولقد كان "هيغل" و "ماركس" و "نيتشه" من بين الذين قدموا إسهامات رئيسية للمناقشات التي دارت حول هذا الموضوع والتي شاعت في القرن الماضي وامتدت إلى هذا القرن على غرار ما نجد من التطورات التي جاءت بما الفلسفة الوجودية والنظرية الاجتماعية النقدية لمدرسة فرانكفورت $^{(2)}$.

فاغتراب الذات إذن «ينشأ عن التناقض بين الإنسان وبين العالم الخارجي، بين الواقع والخيال، بين ما هو عليه وبين ما يحلم به، بين ما يملكه وبين ما يطمح إليه، بين نظام العالم ونظام تفكيره، بين عالم الآخرين وعالمه الخاص، فينفصل المرء عن ذاته الإنسانية الحقة أو عن طبيعته الجوهرية، وبهذا المعنى يحمل ذلك التعبير فكرة الفقد الكلي لإنسانية الإنسان »(3).

كما بحد الاغتراب الزماني « (temporal alienation) الذي يعد من الأمور الغامضة، لأن الارتباط بين الإنسان والزمن أكثر غموضا من الارتباط بينه وبين المكان، فالمكان ثابت نسبيا، أما الزمان فمتغير وبالتالي فتأثيره النفسي على الانسان أكثر غموضا أيضا، فالإنسان قد يشاهد شيئا معينا أو يحس بإحدى الحواس الخمس أو بأكثر من حاسة واحدة، بينما يحتاج الإحساس بالزمن إلى الحاسة الفكرية أو الذهنية » (4).

إذن كانت هذه هي جل الأنواع والأشكال التي عرفها الاغتراب على ممر العصور إضافة إلى أنواع أحرى لم تدرج في البحث نظرا لقلة أهميتها أو لعدم تداولها وتناولها من طرف الباحثين في كتبهم من مثل الاغتراب الجسدي، والجنسي، والاغتراب الوجودي، واللغوي وغيرهم من الأنواع.

فهاته الأنواع المذكورة وغيرها سوف نحاول قدر الإمكان تبيينها وتفصيلها بالدراسة والتحليل _ إن وجدت كلّها _ عند علم من أعلام الأدب العربي عانى من أنواع شتى من الاغتراب -كما سوف نذكرها استنادا إلى أهميتها وشيوعها في شعره-ألا وهو أبو العلاء المعري الشاعر الفذ الذي سحر الناس علكته وعلمه، ولكن قبل أن نتطرق إلى هذه الأنواع عنده يجب علينا أن نعرج إلى جذور الاغتراب في الشعر العربي .

⁽¹⁾ يحي العبد الله: الاغتراب، دراسة تحليلية لشخصيات الطاهر بن جلون الروائية، ص: 25- 26 .

^{(&}lt;sup>2)</sup>ريتشارد شاخت: مستقبل الاغتراب، دراسة بعنوان المشروع الفلسفي عند ريتشارد شاخت، ترجمة وهيبة طلعت أبو العلا، ص: 237،239 .

^{(&}lt;sup>4)</sup>- يحيى العبد الله: الاغتراب دراسة تحليلية لشخصيات الطاهر بن حلوّن الروائية، ص: 28 .

3- جذور الاغتراب في الشعر العربي القديم:

يتبادر الى ذهن الإنسان منذ البداية بعد سماعه لمصطلح الاغتراب أنه مصطلح حديث مرتبط بالعصور الحديثة و الحقيقة أنّه قديم « قدم الإنسان في هذا الوجود، فمنذ أن تكونت المحتمعات الأولى نشأت معها وفي ظلها الأزمات التي كانت تتمخض بشكل أو بآخر عن أنواع من الاغتراب عاني منها الفرد وواجهها على وفق حجم طاقاته العادية والروحية، فقد تقوده إلى التمرد والعصيان، مثلما قد تفضي به إلى الاستسلام والانعزال والانكفاء على الذّات »(1).

وإذا رجعنا إلى الشعر العربي القديم يمكننا أن نعثر على بدايات وبواكير للاغتراب وذلك منذ العصر الجاهلي، «ولو رجعنا إلى حياة الإنسان الجاهلي لوجدنا ألها رحلة لا تمدأ وراء الكلأ وانتقال من ماء إلى ماء، وتتبع لمساقط الغيث حيث كان، فالهجرة والتنقل تأتي وفقا لضرورة عصية على إرادة الإنسان الجاهلي وهو لا يملك له دفعًا »(2) فالهجرة والتنقل من مكان إلى آخر بحثا عن الكلأ والماء جعل الإنسان بحس بالغربة وهو ينأى عن مكانه الأصلي إلى مكان آخر غريب عنه ، « ويظل الاغتراب احدى وسائل الكشف عن دقائق حياة الجاهلي وتفاصيلها واحدى صور الغوص وراء معطيات عالمه الخاص، وقد حدا به إلى ضرب من الانطواء بالمعنى النفسي أو عكس ذلك من الرغبة الجامحة في تجاوز القيم والانفتاح على مادة الواقع، وإن تعددت صور هذا التجاوز، أو غير ذلك من مواقف تحكيها لحظات الإحساس بالفقد والحرمان،أو معايشة عالم الضياع، أو الوقوف عند منطقة الاستسلام والانهزام البشري بصفة إلى غير ذلك من أبعاد تحكيها قصة شاعر المعلقة عبر صراعه الطويل، مع عالمه الواقعي والشعري بصفة خاصة » (3).

على نحو ما تحكيه لنا لوحة الطلل مثلا في كثير من معلقات الشعراء "كزهير بن أبي سلمي" و"لبيد بن ربيعة" وغيرهما من شعراء المعلقات.

مثلا هذا الأحير "لبيد" يتوقف في معلقته عند مشاهد الذكرى الطللية، فيقول:

بمنى تأبّد غولها فرجامها خَلَقًا كما ضمن الوُحَيَّ سلامها حجَجُّ خَلَوْن حلالها وحرامها عفت الدّيار محلُّها فمقامها فمدافع الريّان عُرِّيَّ رسمها دمَنُ تَجرّم بعد عهد أنيسها

⁽¹⁾ محمد راضي جعفر: الاغتراب في الشعر العراقي المعاصر www.awn.dam.org

^{(&}lt;sup>2)-</sup>سميرة سلامي: الاغتراب في الشعر العباسي القرن الرابع الهجري، ص: 69 .

⁽³⁾ مي يوسف حليف: ظاهرة الاغتراب عند شعراء المعلقات، دار الثقافة للنشر والتوزيع، (د، ط، د، ت)، ص: 15- 16.

رُزقت مرا بيع النجوم، وصابها ودْق الرّواعد جودها فرها مها⁽¹⁾.

إلى آخر المعلقة، فهو هنا في حديثه عن الأطلال يذكر أماكنها وما أصابها بعد رحيل الأحبة، وما مر بما من الأحداث بتنسيق جميل وتسلسل لا يعرف التفكك والضعف .

« فالاغتراب في شعر الأطلال كامن في ظاهرة الغياب والفقدان، فقدان الوطن، منازل القبيلة، فقدان الأهل و الحبيبة، فقدان الماضي السعيد والحياة الخصبة الممتعة .

و"لامرئ القيس" تجربة خاصة في الاغتراب عن الدّيار والوطن فقد أمضى شطرا كبيرا من حياته، شريدا هائما على وجهه بعدما أنكر عليه أبوه قول الشّعر وحرج مغضوبًا عليه يقول:

> على حَمَلي خُوصُ الركاب وأوجرا فلما بدت حوران في الآل دونها نظرت فلم تنظر بعينيك منظرا تقطع أسباب اللبّانة والهـوى عشية جاوزنا حماة وشيرزا(2)

تذكّرت أهلى الصّالحين وقد أتت

فهو هنا يبحث عمن يعينه للأحذ بثأر أبيه لاسترجاع ملكه الضّائع، فذهب إلى ملك الرّوم لتحقيق غايته، لكن إحساسه بالغربة كان مؤلما منذ بدأ رحلته وفارق أهله وبلاده .

« ويمثّل لنا" عنترة العبسي" لونًا آخر من ألوان الاغتراب في العصر الجاهلي وهو الاغتراب العنصري أو العرقي، فقد تنكرت له قبيلته بما في ذلك أبوه وعمه وأذاقوه صنوف العذاب والإهانة بسبب سواد لونه وعبوديته، فما أشد إحساسه بالهوان والضيّاع وما أقسى شعوره بالمرارة في قوله:

المال مالكم والعبد عبدكم فهل عذابك عنى اليوم مصروف»(3)

ونلمح ألوانا أخرى من الاغتراب في الشعر الجاهلي، كالاغتراب عن الجتمع وقيمه فهو واضح عند الكثير من الشعراء أمثال "طرفة بن العبد" مثلا الذي عاش ظروفا قاسية في حياته وهذا ما أدى به إلى الشعور بالاغتراب وهذا ما نستشفه في قوله:

> وظلم ذوي القربي أشد مضاضة علىّ المرء من وقع الحسام المهنّد د⁽⁴⁾. فقلقه مع عزة نفسه دفعاه إلى التمرد والثورة على هذا المحتمع .

⁽¹⁾⁻ حسن جعفر نور الدّين: لبيد بن ربيعة العامري _ حياته وشعره _ دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1990، ص :115 .

⁽²⁾⁻ سميرة سلامي: الاغتراب في الشعر العباسي القرن الرابع الهجري، ص: 80-81، وامرؤ القيس: الديوان ، ضبطه وصححه مصطفى عبد الشافي ، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان، (د، ط، د، ت)، ص:62.

^{(&}lt;sup>3)-</sup>محمد راضي جعفر:الاغتراب في الشعر العراقي ، www.awn.dam.org

⁽A)- الزوزي: شرح المعلقات العشر، دار الفكر، بيروت، لبنان ، ط1، 2005، ص: 23.

«وظهر الاغتراب عن المجتمع حليا عند فئة من شعراء الجاهلية هي فئة الشعراء الصعاليك الذين يدقم عكن أن نميز فيهم مجموعتين: مجموعة فرض عليها هذا الاغتراب وتتألف من الشعراء الخلعاء الذين نبذهم قبائلهم وطردهم من حماها، وقطعت كل صلة بينهم وبينها بسبب تصرفاهم التي تخالف منطق القبيلة وقوانينها.

ومما لاشك فيه أن اغتراب هذه الطائفة كان نتيجة دوافع اجتماعية وسياسية واقتصادية وجغرافية.

ولكن ومهما كانت الأسباب المؤدية إلى اغتراب الصعاليك وسواء كان اغتراهم مفروضا أم اختياريا فقد جمع بينهم على اختلاف قبائلهم الفقر والجوع والتشرد» $^{(1)}$ ، فعن الفقر الذي عانى منه الكثير من الناس قال أحدهم: «

رأیت الناس شرهم الفقیر تعش ذا یسار أو تموت فتعدرا من المال یطرح نفسه کل مطرح ذريني للغنى أسعي،فإنيي فسر في بلاد الله والتمس الغنيى ومن يك مثلى ذا عيال ومقترا

وهذا الفقر الذي استبد بحياة الصعاليك خمل لهم في ركابه الجوع، نتيجة طبيعية له، ولعل الجوع أقسى ما يحمله الفقر إلى جسد الفقير. فقد كثر الحديث عنه في أخبار الصعاليك وشعرهم، فهاهو السليك بن سلكه يحدثنا عن بعض شعره كيف كان يغمي عليه من الجوع في شهور الصيف حتى يشرف عليه الموت والهلاك:

وكدت الأسباب المنية أعـــرف إذا قمت تغشاني ظلال فأسدف» (2)

هناك بالإضافة إلى هاته الفئة من الصعاليك التي هجرت المجتمع القبلي فئة أخرى اغتربت عن العالم الإنساني كله فهجرت مجتمع الإنسان إلى الصحراء البعيدة حيث الوحوش والحيوانات المختلفة فصاحت هذه الوحوش وأنست بما يقول "تأبط شرا "واصفا نفسه لامرأة يريد خطبتها:

يبيت بمغنى الوحش حتى ألفنه ويصبح لا يحمى لها مرتعــــا وأين فتى لا صيد وحش يهمه فلو صافحت إنسا لصافحنه معا⁽³⁾

فهو قد عايش الوحوش طويلا وسالمها ولهذا اطمأنت له وألفته، حتى لتوشك أن تصافحه.

⁽¹⁾ سميرة سلامي: الاغتراب في الشعر العباسي القرن الرابع الهجري، ص:84، 89.

⁻²⁰ يوسف خليف:شعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، دار المعارف، مكتبة الدراسات الأدبية ، ط3، (د، ت)، ص: 29-30.

⁽³⁾ سميرة سلامي: الاغتراب في الشعر العباسي القرن الرابع الهجري، ص :84، 89 .

«وهو يفتخر في قافيته المشهورة بكرمه وتشرده، ويتوعد عاذليه إن لم يكفوا عن عذله بترك دياره والمضى متشردا هائما إلى حيث لم يعرف مكانه مهما كان:

أن يسأل الحي عني أهل آفاق فلا يخبرهم عن ثابست (1).

إين زعيم لئن لم تتركـــوا عــــذلي أن يسأل القوم عني أهل معرفة

أما "الشنفري" فنجده يقول عن وحوش الفلاة:

« هم الأهل لا مستودع السر ذائع لديهم ولا الجاني بما جر يخذل

ومعناه هؤلاء هم الأهل الذين يؤتمنون علي السر ويدافعون عن جرائم المذنب. فالشنفري تحمل إهانة أهابت بنفسه العزيزة أن تترك الأهل وتضرب في الصحراء مع الوحوش وأن تنفث همها في قصيدة عرفت بلامية العرب أعربت فيها عن عتاب أليم تضمن فخرا ووصفا للبراري»(2).

فبالإضافة إلى هذه الصور هناك صور أخرى كثيرة موجودة في الشعر الجاهلي لا يتسع لنا المجال لذكرها كلها جملة واحدة، فقد اقتصرنا فقط على الأهم والشائع منها وعند أهم وأبرز شعرائها، ثمّ جاء بعد العصر الجاهلي عصر صدر الإسلام ،فدلت كلمة هذا الأحير؛أي الإسلام على معنى الخضوع والانقياد والاستسلام، وقد تردد هذا المعنى في القرآن الكريم، مثل قوله تعالى: ﴿ وَأُنيبُوا إلى رَبِّكُمْ وَأُسْلِمُوا لَهُ من قبل أن يأتيكم العذاب ثمّ لا تنصرون (3)، فهو دين جاء ليكمل الديانات السماوية السابقة.

وقد أطلقت كلمة الإسلام على الرسالة التي جاء بها محمد رسول الله الكريم لنشر تعاليمها حتى يبين لهم طريق الهداية وسبيل الرشاد والصلاح وقد أرسى الإسلام القواعد الإجتماعية للعرب فجعلهم يعيشون في أمة بعد ما كانوا يتوزعون في قبائل تعتمد على العصبية، فأصبحت القبائل ترتبط بعضها البعض بروابط دينية، واختفت العادات التي كانت سائدة في الجاهلية شيئا فشيئا كالأخذ بالثأر والانتقام وكذا الفوارق القبلية والطبقية والجنسية في المجتمع، فأصبح الناس سواسية في ظل الإسلام، وأصبح الفرد لا يعيش لنفسه بل للجماعة التي يفديها بروحه وماله، ويحس كل واحد منهم بمشاعر أحيه كشعور الغي

⁽¹⁾ يوسف خليف : شعراء الصعاليك في العصر الجاهلي ، ص: 241.

 $^{^{(2)}}$ حنا الفاخوري :منتخبات الأدب العربي ، ص: $^{(2)}$.

⁽³⁾⁻ سورة الزمر/ 54[·]

بحالة الفقير، حيث يقدم له المساعدة عن طريق الزكاة التي تعتبر فرضا، وبذلك تشكلت العدالة الإجتماعية في المجتمع المسلم.

فإذن الإسلام هو دين سلام وطمأنينة للبشرية، وعلى هذا الاعتبار، حاول الفاتحون نشر تعاليمه للبشرية جمعاء حتى يستفيد منه العربي وغير العربي.

فعدّت بذلك الجيوش الإسلامية ونظمت لتبعث إلى مختلف الاتجاهات لنشر الدين الجديد، «فقد أقام الجنود في تلك البلدان البعيدة، تجمعوا في معسكرات فرأوا مناطق تختلف في حوها وطبيعتها، ومظاهر حياتها اختلافا بينا عما عهدوا في جزيرتهم ولم يستطع العرب في بادئ الأمر الاندماج في تلك الحياة فعاشوا هناك بأحسامهم، أما أرواحهم ومشاعرهم فبقيت في وطنهم ومع أهليهم الذين قضي عليهم أن يبتعدوا عنهم ويفارقوهم، وقد عبر الشعراء الذين شاركوا في الفتوحات عن تلك الأحاسيس بأشعار تعد من أصدق ألوان الشعر وأشدها تأثيرا في النفس »(1).

وبذلك كان « الفتح الإسلامي بداية التغرب الحقيقي عن أرض الجزيرة العربية بشكل كبير ومنظم »(2) فنتجت عن هذا التغرب تلك الأشعار التي تعبر عن أحاسيس وأشواق الفاتحين إلى أهليهم وأوطاهم وهذا ما يظهر في قول أحدهم يشكو غربته إلى قمرية حزينة مثله:

أَقُمرية الوادي التي خان إلفها من الدهر أحداث أتت وخطوب تعالي أطارحك البكاء فإننا كلانا بمرو الشاهجان غريب (3).

فهذا الشاعر الغريب وجد نفسه في موقف مقارب من موقفها ؛أي أن هذه القمرية هي بمترلة معادل موضوعي لهذا الشاعر المغترب، فقد ذكرته في وحدها ونواحها وبما يشعر به .

وكان إحساس الشاعر بالاغتراب والوحشة يزداد حين يستشعر خطرا يهدد حياته أو يشعر بخطر الموت، وهذا ما نتبينه في شعر "مالك بن الريب" حين حضرته الموت وهو مغترب عن بلده بخراسان:

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة بجنب الغضى أز فليت الغضى لليلة وليت الغضى وليت الغضى الغضى لم وليت الغضى القد كان في أهل الغضى لو دنا الغضى مزار ولكن الغض ألم تربي بعت الضلالة بالهدى وأصبحت في جوأصبحت في أرض الأعادى بعيدما أراني عن أرض

بجنب الغضى أزجي القلاص النواجيا وليت الغضي ماشى الركاب لياليا مزار ولكن الغضي ليس دانييا وأصبحت في جيش ابن عفان غازيا أراني عن أرض الأعادى قاصيا

⁽¹⁾⁻سميرة سلامي: الاغتراب في الشعر العباسي القرن الرابع الهجري، ص: 81 – 82.

⁽²⁾ فاطمة حميد السويدي: الاغتراب في الشعر الأموي ، ص: 21.

⁽³⁾ سميرة سلامي: الاغتراب في الشعر العباسي القرن الرابع الهجري، ص: 81 – 82.

دعاني الهوى من أهل أود وصحبتي أجبت الهوى لما دعاني بزفرة أقول وقد حالت قرى الكرد دوننا إن الله يرجعني من الغزو لا أرى تقول ابنتي لما رأت طول رحليتي

بذي الطبسين فالتفست ورائيا تقنعت منها أنّ ألام ردائيا جزى الله عمرا خير ما كان جازيا وإن قسل مالي طالبا ما ورائيا سفارك هذا تاركي لا أباليا

.....

يقر بعيني أن سهيل بداليا برابية أني مقيم لياليا ورُدّا علي عيني فضل ردائيا

أقول لأصحابي ارفعوبي فإنكه فيا صاحبي رحلي دنا الموت فانرلا وخطا بأطراف الأسنة مضجعي

.....

ولا تحسداني بارك الله فيكسما خذاني فجسراني بثوبي إليكمسا بعسسيد غريب الدار ثاو بقفرة أقبل طرفي حول رحلي فلا أرى

من الأرض ذات القرض أن توسعاليا فقد كنت قبل اليوم صعبا قياديا يد الدهر معروفا بأن لا تدانيا به من عيون المؤنسات مراعيا

إلى آخر القصيدة، فالقصيدة طويلة تحوي حوالي ثمانية وخمسين بيتا يحكي فيها الشاعر عن غربته عن بلاده وإحساسه بمجيء ساعة الوفاة وهو بعيد عن وطنه مما أثار فيه مشاعر الوحشة والاغتراب.

والجدير بالذكر أن الاغتراب في الفتوحات لا يعكس البعد عن القبيلة ومضاربها بل هو بعد عن الجزيرة العربية ككل، وعن ناسها وطبيعتها ومناخها ونمط العيش فيها، فلنسمع إلى أحد الفاتحين يستبد به الشوق إلى أرض الحجاز وبالضبط إلى (نجد)فتنحدر دموعه بتذكرها فهو يقول:

أكرر طرفي نحو نجد وإنّنسي حنيا إلى أرض كأنّ ترابجا أحسن إلى أرض الحجاز وحاجتي أفي كل يوم نظرة ثم عبسرة متى يستريح القلب إمّا مجاو

اليسه وإن لم يدرك الطرف أنظر⁽²⁾ اذا مُطرت عود ومسك وعنبر خيام بنجد دولها الطرف يقصر بعينيك مجرى مائها يتحسدر بحرب وإمّا نسازح يتذكر

 $^{^{(2)}}$ سميرة سلامي: الاغتراب في الشعر العباسي القرن الرابع الهجري، ص: 84-83.



⁽¹⁾⁻البغدادي: حزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، المطبعة الميرية ببولاق ، ط1، (د، ت) ، ج1، ص :317. (10.

وفي نفس السياق نجد ذلك الشاعر الذي كان يتمنى رؤية نجد فيقول:

فليت عيني ترى إذا نظرت نجدا وقد أينعت حدائقها(1)

فشوقه وحنينه لــ(نحد)جعله يتمنى رؤيتها والمناظر الموجودة فيها.

« ويضيق شاعر آخر بغربته في أرض تختلف في طبيعتها ومناحها عن (نجد) وبين أناس غرباء لا يتكلمون لغته، فيتشوق إلى تراب (نجد) وإلى برودة رياحها، وكل شيء فيها، ولكنه شوق فيه كآبة غريبة وحسرة ويأس

و يحلو دجى الظلماء ذكرتني نجدا بنجد على ذي حاجة طربا بعدا بنجد وتزداد الرياح به بردا» (2) ألا أيها البرق الذي بات يرتقي وهيّجتني من أذرعات وما رأى ألم ترى أنّ الليل يقصر طولـــه

وهكذا فإن الفتوحات الإسلامية التي ظهرت في عصر صدر الإسلام كان لها الأثرالكبير على شعر هؤلاء الشعراء الذين عانوا مرارة الفرقة والحزن على أهليهم وأوطانهم، فكان لهم هذا الشعر الوجداني الرقيق الذي تنسكب فيه أعمق المشاعر العاطفية وأصدقها وأشدها حرارة.

لقد رأيت فيما سبق، كيف أنّ الاغتراب ظهر لدى الإنسان منذ العصر الجاهلي مرورا إلى عصر صدر الإسلام، الذي كان بمثابة أرضية خصبة لما آل إليه الاغتراب بعد، وبالذات في العصر الأموي والذي سوف نشرع في تبيين جل محاولات الاغتراب فيه، وتبيين الظروف المحيطة به وأهم العوامل المساعدة عليه لدى أغلب الشعراء.

« فقد تغير الوضع في العصر الأموي، حيث نشأ في مناطق الفتوحات الإسلامية كالشام ومصر والعراق وبلاد الري وخراسان وغيرها، حيل جديد من العرب لم يعد يرى نفسه غريبا بل اعتبر تلك البلاد بلاده فتأثر بحضارتها واستطاع أن يندمج مع سكانها الأصليين وأن يتلاءم مع نمط الحياة فيها، وبذلك تبدلت حياة العرب هناك سواء منهم الجند أم الولاة وأسيرهم وأتباعهم من حياة بدوية بسيطة إلى حياة مليئة بالترف، تقلصت فيها تدريجيا القيم البدوية لتحل مكانها القيم الحضارية، أمّا البادية فقد ظلت محافظة على أسلوبها في الحياة ولهذا بقي أهلها يشعرون بالضيق والغربة، إذا ما اضطرتهم الظروف إلى الابتعاد عنها ومهما بلغ بهم التنقل والترحال ومهما أصابوا في غربتهم من تكريم ومتزلة رفيعة، فقد عرفوا بالحنين الدائم إليها وإلى نمط الحياة فيها، فهم يرون أن في الغربة كربة ومذلة »(3).

⁽¹⁾ ياقوت الحموي:معجم البلدان،ص:454 www.al-mostafa.com

⁽²⁾⁻سميرة سلامي:الاغتراب في الشعر العباسي العباسي القرن الرابع الهجري، ص: 83- 84،وياقوت الحموي :معجم البلدان ،ص

^{(3)-س}ميرة سلامي:لاغتراب في الشعر العباسي العباسي القرن الرابع الهجري، ص :84– 85.

ومن أصدق الأشعار التي تعبر وتوضح ما ذهبنا إليه تلك الأبيات التي قالتها"أم حسام "للّ تزوجت "بعبد الله بن إسحاق الجعفري" فنقلت من البادية إلى المدينة، فظلت بذلك تقارن بين المكانين وتشتاق للمكان الأول – البادية – فهي تقول:

وللعين دمع يجدر الكحل ساكبه نقي النواحي غير طرف مشاربه سحاب من الكافور والمسك شائبه للعب فلم تملح لدي ملاعبه إذًا هضبته بالعيش هواضبه

أقول لأدنى صاحبي أسسرة ألله للأدنى صاحبي أسسرة للعمري لنهي باللوى نازح القذى بأجراع ممراع كأن رياحه أحب إلينا من صهاريج ملئت فيا حبّذا نجد وطيب ترابسه

ومما لا شك فيه ألها وحدت عوامل عديدة ساهمت في خلق الاغتراب في ذلك العصر (2) « كالعامل الاقتصادي – مثلا – ، حيث انطلق الشعراء للتعبير عن اغتراهم الناتج عن الأسباب الاقتصادية ولكن بطريقة إيجابية، فإذا كان المغترب سلبيا يعاني من العجز وانعدام القوة وفقدان المعايير والعزلة فإن بعض الشعراء في هذا العصر استطاعوا مواجهة الواقع عن طريق الرحلة إلى الخليفة وأولي الأمر برسم صورة حقيقية للواقع السيئ ، الذي يعاني منه رعيتهم يقول "جرير":

فقد أمسوا وأكثرهم كلول ومن أمسى وليس به خويل ولا صعب لهسن ولا ذلول حطام الجلد والعصب المليل ألا هل للخليفة في نـــزار وتدعوك الأرامل واليتامــى وتشكو الماشيات إليك جهدا وأكثر زادهــن وهن سُفــعُ

وعلى الرغم من أنّ الشاعر كان من شعراء البلاط الأموي إلاأنه اكتوى بنار التجربة وعانى من الاغتراب الاقتصادي الذي دفع به دفعا شديدا إلى اتخاذ الرحلة وسيلة ونمطا يعالج به اغترابه وكان أن قصد الخليفة "سليمان بن عبد الملك" ليصف له تجربته الخاصة والمعاناة العامة التي اجتاحت المسلمين:

لا يشبعون وأمهم لا تشبيع حتى الحساب ولا الصغير المرضع عين مهججّة وخدد أسفع كثر الأنين وفاض منها المدمع (3)

أشكو إليك فأشكني ذرية كثروا علي فما يموت كبيرهم وإذا نظرت يريبني من أمهم وإذا تقسمت العيال غبوقها

⁽¹⁾ ينظر فاطمة حميد السويدي: الاغتراب في الشعر الأموي، ص 17.

⁽²⁾ ينظر: سميرة سلامي: الاغتراب في الشعر العبّاسي القرن الرابع الهجري، ص: 84 - 85.

 $^{^{(3)}}$ فاطمة حميد السويدي: الاغتراب في الشعر الأموي،ص: $^{(3)}$

ونجد "الفرزدق" أيضا يكتوي بنفس التجربة، حيث تدفعه الظروف الاقتصادية القاهرة إلى الرحيل يقول:

إليك منتجع الحاجات والقــــدر مالا به بعدهن الغيث يُنتظـــر بالعظم همراء حتى اجتيحت الغُــرر عام له كل مال معنـــق جُــزر مالا ولا بل عودا فيهما مطـــر على الفراش وفيها الدل والخفأـــر كضربة الفتك لا تبقــي ولا تـــذر فكــل واردة لهـــا صــدر فكــل واردة لهـــا صــدر صريمة لم يكن في عزمـــها خــورُ (1)

وساقنا من قسا يُزجي ركائبنا وجائحات ثلاث ما تركن لنا ثنتان لم تتركا لحما، وحاطمة فقلت: كيف بأهلي حين عض بهم عام أتى قبله عامان ما تركا تقول لما رأتني، وهيو طيبة كأنني طالب قيوما بجائحة أصدر همومك لا يقتلك واردها لما تفرق همسي جمعت له

« وإذا كانت الظروف الاقتصادية القاسية دافعا ملحا لاتخاذ الرحلة وسيلة لتبديد الشعور بالاغتراب الناتج عن القهر الاقتصادي، فإن النمط الاغترابي يختلف عند بعض الشعراء الذين اتخذوا من الرحلة وسيلة للكسب المادي وتحقيق المكانة الاجتماعية المتميزة، غير أن المقام يطول بمم والشوق يزداد في النفس والقلب، وتظهر ألفاظ البكاء والحنين والاشتياق كبديل يحل محل العلاقة المفتقدة وتظهر صيغ الاستفهام لتوحى بمدى الإلحاح في العودة إلى الأهل والوطن:

متى راكب من أهل مصر وأهله بمكة من مصر العشية راجع

إلى جانب العامل الاقتصادي هناك العوامل الاجتماعية، والتي من أهم أسباب ظهور الاغتراب فيها هو النبذ والرفض» (2) ويكون النبذ والرفض للنّاس في المجتمع وكذا لمحتلف العادات المتوارثة والمكتسبة فيه؛ فالاغتراب على إثره هو «شعور عام يشعر به الأقليات في المجتمعات العنصرية أو العرقية، ويكون الاغتراب من أنواع النفي أو الطرد من عالم الأهداف والدفء العاطفي والمغزى الاجتماعي» (3).

⁽¹⁾ على فاعور:ديوان الفرزدق، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان، (د، ط، د، ت)، ص: 164-165.

⁽²⁾ فاطمة حميد السويدي: الاغتراب في الشعر الأموي، ص: 08.

⁽³⁾ قيس النوري:الاغتراب اصطلاحا ومفهوما ، مجلة عالم الفكر، الكويت ، ع الأول،1979، ص: 33.

وإذا كان الاغتراب هو وعي الفرد بالصراع القائم بين ذاته والبيئة المحيطة به ، بصورة تتجسد في الشعور بعدم الانتماء لهذا الواقع وتزايد القلق فإن ذلك يتحقق في قول "طريح بن اسماعيل الثقفي" وتجربته مع "الوليد بن يزيد بن عبد الملك" فيقول:

يرد الظّماء فيشربون وأُقْدع $^{(1)}$

مالي أحلا عن حياضك مفردا

وتتعمق تجربته في القصيدة التي يوجهها إلى "الوليد بن يزيد" مصورا فيها مشاعره المفعمة بالحزن والألم الناتج عن الرفض المستمر لذاته يقول:

إليك أُقْصى وفي حاليك لي عجب كما تُوُقِي من ذي العُرَّة الجرب إلَّ ولا خُلَّة ترعى ولا نسب بقربك الود والإشفاق والحَدبُ دوني، إذا ما رأوني مقبلا قطبو (2)

يابن الحلائف مالي بعد تقربة مالي أزاد وأُقْصى حين أقصدكم كأنّني لم يكن بيني وبينكسم لو كان بالود يُدْين منك أزلفنني وكنت دون رجال قد جعلتهم

لقد تحولت رحلته التي كانت رحلة اختيارية إلى بؤرة تتجمع فيها كل مشاعر الانفصال والاغتراب عن مجتمعه الجديد يقول:

لك الثناء وقربي منك أقترب أصبحت أعلن أنّي اليوم مغترب (3)

فلا أراني بإخلاصـــي وتنقيتـــــي قد كنت أحسبني غير الغريب فقد

« وعلى الرغم من أننا نعلم أن الإنسان العربي يحيا في كنف قبيلته التي ينتمي إليها، ويُعرف من خلالها فإن ذلك لم يقف حائلا دون ظهور ألوان من التمرد الفردي، فقد يرفض الفرد مجتمعه الذي ينتمي إليه ويهجره إلى مجتمعات أخرى تحت ضغوط اجتماعية يمارسها هذا المجتمع حتى يصل هذا إلى عدم الرغبة في الانتماء إليه ويحاول جاهدا الانفصال عنه وهذا ما يتحقق في تجربة "الصِّمة بن عبد الله القشيري" الذي واجه غربته بين أهله وعجزه في السيطرة على الظروف التي تواجهها باغتراب آخر ولكن ما أن تخطت قدماه ربى (نجد) حتى التهبت في نفسه نوازع الشوق والندم ولكن كبرياءه حال بينه وبين نوازعه:

بنا بين المنيفة فالضم المنابين المنيفة فالضم عسرار فما بعد العشية من عسرار

أقول لصاحبي والعيس تهوى تمتّع من شميم عـرار نجــــد

^{.13-12:} فاطمة حميد السويدي: الاغتراب في الشعر الأموي، ص $^{-(1)}$

^{.94 :} ص : $^{(2)}$ بدر ضيف: شعر طريح بن إسماعيل الثقفي، دار الوفاء، ط1، $^{(2)}$ ، ص

⁽³⁾⁻ بدر ضيف: شعر طريح بن إسماعيل الثقفي، ص: 95.

ألا يا حبذا نفحات نجد لقطار

لقد كان غضبه وتمرده مشاعر مؤقتة إلا أن هجرته كانت دائمة منذ أن استقر في المناطق المفتوحة وظل ارتباطه (بنجد) موطنه الأصلى قويا متصلا مفعما بمشاعر الحب والتلاحم.

فإنّي أحبّ النير والبرق التي هما النيَرُ حُبًا خالط اللحم والدما » (1).

إضافة إلى العاملين الاقتصادي والاجتماعي، اللذان كان لهما الدور الكبير في إبراز ظاهرة الاغتراب في العصر الأموي نجد عوامل أخرى ساهمت في ظهور هذه الظاهرة كالعامل البيئي أو الحضاري وكذا العامل السياسي.

ونتيجة لهذه العوامل ظهرت ألوان كثيرة للاغتراب، كالاغتراب الاجتماعي، والاغتراب العاطفي، والاغتراب السياسي.

هذا الأخير الذي كان « له الدور الأساسي في تشكيل الحياة السياسية لذلك العصر» (2) وانه في أواخر هذا النّوع من الاغتراب..

«أما في العصر العباسي فقد تغير الحال فظفرت الثورة العباسية فيه بالبيت الأموي الذي كانت نفوس الرعية تمتلئ سخطا وحفيظة عليه لما أذاقهم من الظلم، ولما حرمهم من الإنصاف والعدل الاجتماعي ولما ازدرى من الحق والواجب » $^{(8)}$, ومن ثمّ سقطت دولة بني أمية واستولى أبو السفاح عليها فعمل بذلك «على إبادة الأمويين وأخذ يتعقبهم تعذيبا وتنكيلا، وأعمل السيّف فيهم حتى أتى عليهم، ولم ينج منهم أحد إلا من هام على وجهه وهرب إلى أصقاع الأرض، ومن أبرز هؤلاء كان الأمير" عبد الرحمان بن معاوية بن هشام بن عبد الملك " الذي لقب بالدّاخل، فقد أفلت من يد بني العباس، وفر متخفيا من الشام إلى مصر إلى شمالي إفريقيا ثم إلى المغرب، في رحلة شاقة مليئة بالمغامرة والمخاطرة» $^{(4)}$ التي كانت — بالتّأكيد — بحثا عن الموطن الآمن والعيش الهانئ فوجد ما كان يطلبه في بلد المغرب «حيث أسس بما دولة أموية حديدة ظلت نحو ثلاثمائة عام» $^{(5)}$ ، لكن استقراره بالمغرب لم ينسه وطنه الشام وأهله الذين تعرضوا للمحن والأهوال والويلات التي تركت في نفس عبد الرحمان الدّاخل أثرا كبيرا ، فحاول أن ينفس عن معاناته بأبيات شعرية تصوّر اغترابه العميق وشوقه الكبير الى موطنه ، كهذه الأبيات التي يقول فيها:

⁽¹⁾ فاطمة حميد السويدي: الاغتراب في الشعر الأموي، ص: 13 - 14.

⁽²⁾ سميرة سلامي: الاغتراب في الشعر العباسي القرن الرابع الهجري، ص:86.

⁽³⁾ شوقي ضيف:تاريخ الأدب العربي،العصر العبّاسي الأوّل، ص:14-15

^{(4)-س}ميرة سلامي:الاغتراب في الشعر العبّاسي القرن الرابع الهجري،ص:91.

^{(&}lt;sup>5)-</sup> شوقي ضيف:تاريخ الأدب العربي،العصر العبّاسي الأوّل، ص:14 .

أقر من بعضي السلام لبعضي وفؤادي و مالكيه بارض وطوى البين عن جفوني غمضي فعسى باجتماعنا سوف يقضي

أيّها الراكب الميّمم أرضي إنّ جسمي كما تراه بأرض قدّر البين بيننا فافترقنـــاقد قضى الله بالفراق علينا

لقد شعر الداخل بتمزّق داخلي ، فهو يحيا بجسمه في أرض الغربة-المغرب- ،لكن قلبه هناك في أرض الشام أين يوجد أهله وأحبته وإخوانه.

ويقال أنَّه أوَّل ما نزل الى منية الرصافة، نظر إلى نخلة مفردة فهاجت شجنه، وتذكّر بلده،فبدأ يقول:

تناءت بأرض الغرب عن بلد النخل وطول التنائي عن بني وعن أهلي فمثلك في الإقصاء والمنتأى مثلي يسح ويستمري السماكين بالوبل⁽²⁾

تبدّت لنا وسط الرصافة نخلــة فقلت شبيهي في التغرب والنّــوى نشأت بأرض أنت غريبـــــة سقتك غوادي المزن من صوبما الذي

فهذه النخلة غريبة غربة" عبد الرحمن الداخل"، فقد انتزعت من مكالها الأصلي وهي الصحراء ووضعت في الأندلس، وهذا ما نجده عند عبد الرحمن الداخل، فكأنّه يخاطب نفسه هنا داعيا لها بالسقيا.

وقد أدّت طبيعة التطور الحضاري إلى تغيير في مفهوم الوطن، إذ أصبح يعني المدينة التي يعيش فيها الإنسان محاولا التكيّف معها ومن هنا أصبح الاغتراب عن الوطن يعني الاغتراب عن المدينة أو المكان الذي يعيش فيه الإنسان، وظهر هذا النوع من الاغتراب حليا في الشعر، فقد عبّر عنه الشعراء مبينين ألم الفرقة للأهل والجيران والأصدقاء، وهذا ما نستشفه عند" مطيع بن إياس "الذي أحس بألم الفرقة فتشوق إلى الرّي وأهلها حينما كان متواجدا في حلوان ببغداد في أبياته التي يقول فيها:

وابكيا لي من ريب هـذا الزّمان رق بـين الألاف والحيــران قة أبكاكما الذي أبكـــاني⁽³⁾ بفراق الأحباب والخـــالان

أسعداني يا نخلتي حلـــوان واعلما أنّ ريبه لم يزل يـف ولعمري لو ذقتما ألم الفـــر كم رمتني صروف هذي الليالي

⁽¹⁾⁻سميرة سلامي:الاغتراب في الشعر العبّاسي القرن الرابع الهجري، ص: 91 - 92.

⁽²⁾ ينظر سميرة سلامي:الاغتراب في الشعر العبّاسي القرن الرابع الهجري، ص: 91 - 92، وياقوت الحموي: معجم البلدان ، ص: 1298.

⁽د، ط، د، ت) ، ج13، ص: 331 عني، دار الكتب ، (د، ط، د، ت) ، ج13، ص: 331 عني الفرج الأصفهاني: الأغاني، دار الكتب

«أما "أبو تمام" فيعلن أن الاغتراب قد تملك حسده، وأنّ الدّهر مصرّ على أن يفرّق بينه وبين وطنه وإخوانه، فكلّما اتخذ وطنا غرّبه الدّهر، ولهذا فهو دائم التّوديع ودائم الأحزان والآلام وفي شوق مستمر يقول:

ما اليوم أوّل توديع ولا الثاني دع الفراق فإنّ الدهر ساعده بالشام أهلي وبغداد الهوى وأنا وما اظنّ النّوى ترضى بما صنعت

البين أكثر من شوقي وأخراني فصار أملك من روقي بجثماني بالرقتين وبالفسطاط إخــواني حتى تشافه بي أقصى خراسان»(1)

ويظل "البحتري" يردد في أشعاره حنينه وشوقه إلى الشام يقول:

أيّام نرتبع اللّوى ونصيف في ناجر برد الشآم وريف في ناجر برد الشآم وريف في ضفتيه تلاعه وكهوف منها خيال ما يغب مطيف في سير يشق على الهدان وجيفه (2)

فسقى اللّوى لا بل سقى عهد اللّوى حنّت ركابي بالعـــراق وشاقهـــا ومدافع الساجور حيث تقابلـــت ويهيجـني ألّا يــزال يــزورين وشفاء ما تجد الضلوع من الحــوى

ولذلك نحده يلح في قصائد كثيرة أن يأذن له بالرحيل إلى موطنه وذلك بمثل قوله:

إلى بلدي وأنت به جديــــر (3)

وأعتقت الرقاب فمر بعتقيي

كما نجد" أبا نواس" من أشد شعراء تلك الحقبة إحساسا بالاغتراب فنجده يحن حنينا شديدا إلى بغداد، فهو يقول:

ولي نحو أكناف العراق حنين(4)

كفي حزنا أنيّ بفسطاط نازح

وهو يعبر عن عمق الهوة التي تفصله عن مجتمعه وعن رجال السياسة المتواجدين في عصره يقول:

هذازمان القرود فاخضع

وقد أعلن أبو نواس رفضه في وجه معاصريه لكلّ ما يتمسكون به من قيم ومفاهيم وخاصة المفاهيم الدينية يقول:

^{(1) -} الخطيب التبريزي: ديوان أبي تمام ، دار المعارف، مصر، ط2، (د، ت)، م3، ص : 308،310.،وينظر إيليا الحاوي:شرح ديوان البحتري، دار الكتاب اللّبناني، بيروت، ط1، 1981، ج1، ص :594.

⁽²⁾ يوسف الشيخ محمد: ديوان البحتري، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان، ط1، 1987، ج1، ص 65، 66.

^{.280} مصر، (د، ط، د، تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الثاني، دار المعارف، مصر، (د، ط، د، ت)، ج $^{-3}$ ، ص $^{-3}$

^{(&}lt;sup>4)-</sup> على فاعور:ديوان أبي نواس، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان، ط2، 1994، ص:537.

ديني لنفسي ودين الناس للناس (1)

مالي وللناس كم يلْحونني سفها

وهذا ما جعل "أبا نواس" يتجه إلى الخمرة لتبديد غربته والقضاء عليها ، فالخمرة في نظره هي التي تنسيه همومه وأوجاعه وتنقله إلى عالم مليء بالبهجة والسرور فهو يقول:

بكأسك حتى لا تكون هموم (2)

إذا خطرت فيك الهموم فداوها

و قو له:

ألا فاسقى خمرا وقل لي هي الخمر ولا تسقني سرا إذا أمكن الجهر⁽³⁾

« ونقف على عمق الاغتراب عن طبائع الناس وأحلاقهم في هذه المرحلة عند الشاعر "على بن الجهم" الذي عاني من غربة الحبس والنفي فهو يقول لأحيه مشيرا إلى معاناته:

وتأتى بالسعادة والشقاء

هي الأيام تكلمنا وتأسو

ولكنه يحذر فيها أخاه من البشر وتقلُّبُهم ومن غدرهم وحياناهم، معربا عن حيبة أمله بهم، وعن يأسه من صحبتهم وعن شدة إحساسه بالانفصال عنهم، يقول:

> فهم تبع المخافة والرجاء لأمر ما غدا حسن الإخــاء وهم بالأمس إخوان الصقاء بمال أو بجاه أو تسراء صديقا فادعوا قدم الجفــاء وعودا في الصباح وفي المساء

توقّ الناس يا ابن أبي وأمي ولا يغررك، من وغد إخاء ألم تر مظهرين عليّ عيبا فلما أن بليت غدوا وراحوا أبَتْ أخطارهم أن ينصرويي وخافوا أن يقال لهم خذلتم عليهم لعنة الله ابتــــداء

ولما خرج من السجن زهد في الناس والحياة، ورأى أنه لم يعد له صديق وأنه إن كان في الناس من يوثق به ويعتمد عليه فقد مات، فصار يذهب إلى المقابر ويجلس بها وحيدا ويسأله رجل ما يجلسك بين المقابر، فيجيبه

ويذكر الأهل والجيران والوطنا

يشتاق كل غريب عند غربته

⁽¹⁾⁻ ينظر سميرة سلامي:الاغتراب في الشعر العبّاسي القرن الرابع الهجري، ص:95.

⁽²⁾⁻على فاعور:ديوان أبي نوّاس ،ص:463.

^{(&}lt;sup>3)-</sup>شوقي ضيف :تاريخ الأدب العربي ،العصر العباسي الأوّل ،ص :225.

إلا المقابر إذ صارت لهم وطنا(1)

وليس لى وطن أمسيت أذكره

من خلال هذين البيتين نلمس حنينه وشوقه الى من هم في القبور من أهل وأصدقاء.

ولأبي العتاهية أبيات مشهورة، توضح لنا حالته وحالة الناس في عصره، يقول:

م نصائحا متتاليسة عار الرعية غيالية وأرى الضرورة فياشية كالمية كالمياكيات تستماليا تستم عليات الماكيات تا ملمة هي ماهيات تا وللجسوم العارياة كالمن الرعية شافيات الرعية شافيات الرعية شافيات

من مبلغ عني الإ مــــار أس إنــي أرى الأسعـــار أس وأرى المكــاسب نــزرة من يرتجي للـناس غيــر من مصبيـات جُــوع من مرتجي لدفــاع كــر من للبطــون الجائــعا ألقيـــت أخبــارا إلى

فقد اتجه هؤلاء المعذبون الذين عانوا من الغربة في المجتمع ونظمه الظالمة إلى عالم أخر حيث يكون فيه هذا المغترب زاهدا في الدنيا ومن متاعها الفاني، هذا العالم الذي صوره "أبو العتاهية" وأمثاله كثير فأظهروا لنا قيما مثلى كالصبر والقناعة والتوكل على الله والرضا على قدر الله وغيرها كثير من تلك القيم التي أسهب الشعراء الزهاد في الحث عليها عن طريق أشعارهم الخالدة.

إذن هذه هي صور الاغتراب التي عاشها الشعراء وعبروا عنها بأشعار مختلفة تجسد لنا اغتراكم وبعدهم وانفصالهم في فترة كثرت فيها الفتن وتوالت فيها رياح الحروب والثورات من كل فج، هذا ما جعل هذه الحقبة من الزمن - القرن الرابع الهجري - مميزة وزاخرة بوقائع وأحداث وفي كل المحالات خاصة المحال السياسي الذي كان يحركه العامل السياسي؛ «حيث لم يعرف العالم الإسلامي عصرا كالقرن الرابع الهجري، اضطربت فيه الحياة السياسية اضطرابا بينا، فكثرت الفتن وسفكت الدماء، ويحدثنا "مسكويه" فيقول: " وانبسطت العامة وأغار بعضها على بعض، وظهرت الأهواء المختلفة والنيات المتعادية وفشا القتل، حتى كان لا يعدم كل يوم عدة قتلى، لا يعرف قاتلوهم، وإن عرفوا لم يتمكن منهم، فانقطعت موارد الأموال، وحربت النواحي المتباعدة بخراب دار المملكة، وظهرت في كل

⁽¹⁾ سميرة سلامي:الاغتراب في الشعر العباسي القرن الرابع الهجري، ص:98-99 ،و شوقي ضيف:تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول، ص:252 وشوقي ضيف:تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول، ص:252 وشوقي ضيف:تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول، ص:252

قرية رئيس منها مستول عليها، وتباغوا بينهم، والسلطان صفر اليدين، والرعية هالكون والدور خراب والأقوات معدومة والعبيد متهارجون" » (1).

"فمسكويه" وصف لنا هذا الوضع الفوضوي الذي كان عليه الناس في القرن الرابع الهجري هذا ما قلل من الأمن والأمان والطمأنينة، فساد الخوف وقوى الظلم، وهناك العامل الاقتصادي « والمتمثل في فساد النظام المالي الذي أدى بدوره إلى خلل في التوازن الاقتصادي بين طبقات المجتمع حيث يمكننا التمييز بين طبقتين في المجتمع، طبقة الخاصة وهي الطبقة المستغلة وتشمل الخليفة والملوك والقادة والوزراء، وذوي النفوذ وبعض التجار والإقطاعيين وطبقة العامة وهي الطبقة المستغلة وتضم أغلبية أفراد الشعب، وقد عرفت الطبقة المستغلة بشراستها في استغلال الطبقة المعدمة وابتزاز أموال الرعية واتبعت أساليب فيها الكثير من التعسف والظلم والقهر والتعذيب بغية الحصول على المال » (2).

وهناك إلى جانب العامل الاقتصادي والسياسي عامل آخر، ألا وهو العامل الاجتماعي الذي كان له الدور الكبير في إبراز ظاهرة الاغتراب في هذا القرن يقدم "أبو حيان التوحيدي" وهو ابن القرن الرابع في كتابه "الإمتاع والمؤانسة" صورة عن مجتمعه وعصره، توضح بجلاء مدى تفسخ الحياة الاجتماعية وانحلال الأحلاق يقول: « وقد بلينا بهذا الدهر الخالي من الديانين الذين يصلحون أنفسهم ويصلحون غيرهم بفضل صلاحهم، الخاوي من الكرام الذين كانوا يتسعون في أحوالهم، ويوسعون على غيرهم من سعتهم، وكانوا يهتمون بذخائر الشكر المعجل في الدنيا ويحرصون على ودائع الأجر المؤجل في الأخرى، ويتلذذون بالثناء، ويهتزون للدعاء، وتملكهم الأريحية، عند مسألة المحتاج وتعتريهم الهزة معها والابتهاج، وذلك لعشقهم الثناء الباقي، والصنيع الواقي، ويرون الغنيمة في الغرامة، والربح في البذل، والحظ في الإيثار، والزيادة في النقص» (3).

ومما يجدر ذكره أنَّ هناك عاملا رابعا من عوامل الاغتراب أسهم ولكن على نحو آحر، في زيادة حدة الإحساس بالاغتراب في القرن الرابع انه العامل الثقافي « فعلى الرغم مما دب في حسم الدولة من انحلال وتفكك وضعف ووهن وعلى الرغم من حالة الفساد والفوضى و الاضطراب التي سادت المحتمع، فإن القرن الرابع كان من أرقى العصور أدبيا وعلميا وعقليا ويعود الفضل في هذا الرقي الثقافي إلى جملة أسباب منها:

·108، 105: صميرة سلامي:الاغتراب في الشعر العباسي القرن الرابع الهجري، ص

⁽¹⁾ سميرة سلامي : الاغتراب في الشعر العباسي القرن الرابع الهجري، ص: 101، 105.

⁽³⁾⁻ أبو حيان التوحيدي: الامتاع والمؤانسة، صححه وضبطه وشرح غريبه حليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1997، ص :20.

امتزاج الثقافات الناجم عن النشاط في حركة الترجمة من اللغات الأجنبية وخاصة اليونانية والفارسية والهندية إلى اللغة العربية.

ومن أسباب الرواج الثقافي في القرن الرابع أيضا توزع مراكز الحكم في الدولة بعد أن استقلت كثير من الأقاليم عن الخلافة العباسية فظهرت تبعا لذلك منارات كثيرة للعلم والأدب كالري وبخاري وغزنة وحلب والموصل والقاهرة وقرطبة وغيرها من العواصم التي أخذت تنافس بغداد بعد أن كانت وحدها مركزا للحركة العلمية والأدبية والفكرية وقد عمد ملوك هذه الأقاليم إلى التنافس فيما بينهم في تشجيع العلماء ورعاية رجال الأدب والفكر فقربوا العلماء وحثوهم على التصنيف والتأليف وفتحوا أبواهم للأدباء والشعراء وأغدقوا عليهم الأموال والأعطيات.

وإضافة إلى الملوك والخلفاء فقد كان للوزراء في القرن الرابع دورهم البارز في نمو الحركة الفكرية والأدبية وكان منهم عدد من الكتاب البارزين كالوزير "أبي الفضل بن العميد"، والوزير "الصاحب بن عباد" وكذا الوزير "المهلبي" و"سابور بن أردشير" اللذين كانت لهما مكانة في الأدب والشعر.

كل ما تقدم إضافة إلى ظهور الكثير من الفرق والجماعات المختلفة الترعات والاتجاهات وما قام بينهما من حدل ونقاش أسهم بشكل فعال في نهضة الحركة الفكرية والثقافية في القرن الرابع الهجري، لا ريب أنه كلما كان لهذه النهضة الثقافية أثر كبير في نمو وعي الناس، وعمق تفكيرهم، ولا ريب أنه كلما ازداد وعي الإنسان واتسعت ثقافته ازدادت معاناته، والشعراء إضافة إلى ثقافتهم الواسعة يتمتعون بحس مرهف، ومن هنا فإن شيئا كبيرا من الأزمة والمعاناة لابد أن يهيمن على تجارهم الشعرية حين يوجدون في مجتمع فاسد كمجتمع القرن الرابع الهجري »(1).

37

⁽¹⁾⁻ سميرة سلامي: الاغتراب في الشعر العباسي القرن الرابع الهجري، ص: 114، 118.

في شعر المعري

توطئة:

إنّ ظاهرة الغربة بأنواعها لم تنشأ من فراغ إبان العصر العباسي وإنما نشأت نتيجة دواعي وأسباب سياسية واقتصادية وثقافية واجتماعية، حيث كانت لهذه العوامل أدوار فعالة في إبراز مثل تلك الأنواع السابق ذكرها في الفصل الأول سواء كانت غربة اجتماعية أو سياسية أو ذاتية أو زمانية وغيرها كثير.

وأوّل نوع ظهر من خلال شعر المعري هو الاغتراب الزماني الذي سنحاول تسليط الضوء عليه ودراسته وتحليله علّنا نستفيد منه ونفيد به.

فالاغتراب الزماني يظهر على غير عادته غير بعيد عن الوطن والأهل والأحباب، وإنما يظهر داخل الوطن فالشعراء حين يعبرون عن اغترابهم الزماني يكونون داخل أوطالهم غير بعيدين عنه لم يبرحوه الى أي مكان آخر، ومع ذلك يحسون بالاغتراب داخله عكس الشعراء في _ الغربة المكانية _ الذين يعبرون عن حنينهم وأشواقهم الى أوطالهم وعن الآلام التي يتلقوها حراء الابتعاد عن التراب والأهل والأحباب فهذا الفراق والعذاب يعلهم يتطلعون دائما ويتوقون الى ذلك اليوم الذي يعودون فيه الى أوطالهم وأماكن ذكرياتهم، فينعمون بذلك بالدفء العاطفي الذي حرموا منه ويهنؤون في ظل أهليهم وذويهم وهذا الاغتراب؛ أي الاغتراب الذي يحدث داخل الوطن برع فيه الشعراء وأحادوا، فعبروا عنه بمختلف الألفاظ والأقاويل فها هو (عبده بدوي) يعرفه بقوله:

«الاغتراب يمثل نزوحا من نوع آخر حتى ولو كان الإنسان يعيش في الوطن فهو يرفض أشياء ويتحداها ويختلف مع أكثر من أسلوب سيطر على الحياة، وإذا كان في بعض الأحيان لا يملك إلا الصمت، فإنه في أحيان أخرى لا يملك إلا أن يصرح، أو يبوح أو يئن ...الخ إحساس ضاغط بأن العالم من حوله لا يحس به، ولا يصغي للصراخ، والبوح والأنين وفي ضوء هذا يحس بالاحتناق » (1).

"فعبده بدوي" بقوله هذا يلمح الى أن الاغتراب هو نزوح ولكن من نوع أحر غير الذي نعرفه كون الإنسان يغترب مكانيا؛ أي يبتعد ويخرج عن المكان الذي كان فيه، فهو يؤكد بأن التروح والانفصال والاغتراب يكون حتى داخل الوطن _ مثلما قلنا _ غير بعيد عنه.

 $^{^{(1)}}$ عبده بدوي:الغربة والاغتراب والشعر، دار قبا للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1998، ص: 8-9.

الفصل الثانى: الاغتراب الزماني

في شعر المعري

فإذا كان الاغتراب الزماني لا يظهر إلا في ظلّ الوطن بأحداثه لأنّه عامل مهم في إذكائه وإظهاره، فما معنى الزمان؟ أهو موضوع قديم أم جديد ؟ وما موقف الشعراء منه ؟ فهذه الأسئلة وغيرها سوف نجيب عنها في هاته النقطة التي تثير لنا الاغتراب الزماني في شعر أحد أعلام الأدب العربي ألا وهو المعري.

وعلى إثر هذا نقول أن الزمان أو (الدهر) هو موضوع قديم شغل الإنسان العربي منذ القدم، وكذا لم يغفل الشعر والشعراء عن هذه المسألة فعالجوها وعبروا عنها أحسن تعبير، وهذا ما نلاحظه في قول " زهير بن أبي سلمي ":

بدا لي أن الناس تفنى نفوسه م ولا أرى الدهر فانياً الله والم أرى الدهر فانياً

فزهير هنا يقف حائرا أمام المفارقة العجيبة للحياة بين حتمية الفناء التي لا بد منهاو أبدية واستمرارية الدهر،فهذه المفارقة في الحياة جعلت زهير وغيره في عداء كبير مع الدهر وما يحكم به من مصائب ومشاكل وآفات، هذا ما جعل " امرأ القيس" يعدّه غولا يخون العهود ولا يوفي بما ويلتهم الرجال فيقول:

ألم أخبرك أنّ الدهر غــول ختور العهد يلتهم الرجـالا⁽²⁾ وقد جاءنا القرآن الكريم بآيات محكمات توضح إحداها نظرة الإنسان العربي القديم الى الزمان وموقفه منه بقوله: ﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ (3).

ويقول الأعشى:

يظل رجيما لريب المنصون وللسقم في أهله والحسزن

^{(&}lt;sup>1)</sup>- زهير ابن أبي سلمي: الديوان شرحه وقدم له علي حسين فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1998، ص: 140.

 $^{^{(2)}}$ - امرؤ القيس: الديوان، ص: 150.

⁽³⁾- سورة الجاثية / 24.

الفصل الثاني : الاغتراب الزماني

فى شعر المعري

فالآية القرآنية تنسب الى الدهر _ من وجهة النظر الجاهلية _ قوة الفعل والتأثير على الإنسان وهلاكه، والأعشى يشير الى هذا المعنى نفسه، خاصة إذا عرفنا أن الجاهليين لم يفرقوا بين الدهر والزمان والمنون والمنية والحتف والآجال وما أشبه في المعنى » (1)،ثمّ بعد ذلك تبلور مفهوم الزمن وأصبح واضحا فتمثّلوه

«بأنّه مظهر وهمي يَحْدَوْدِق بنا فيتجسد فينا، وفي الأشياء التي تحيط بنا » (2) ويظهر هذا من خلال ملامستنا إيّاه في واقعنا المعيش ، «وهو بوصفه تجربة يتميز في جوهره بالتواتر والتكرار فهو ينطوي على دورات متعاقبة للأحداث، للميلاد، وللموت والانحلال، بحيث يعكس دورات الشمس والقمر والفصول والوقت المناسب لأداء الأشياء يأتي مرة تلو الأخرى على فترات منتظمة » (3).

وكما نجده عند الشعراء العرب القدماء نجده عند الغربيين، حيث اهتم الكثير من الشعراء والفلاسفة الغربيين بموضوع الزمن والزمان، فنجد مثلا «أرسطوالذي حاول أن يربط الزمان بالحركة والمتناهي واللامتناهي وبالخلاء والعلل ...الخ) » (4).

كما يمثل الزمن عند (برجسون) تجربة نوعية لا كمية حين يكون زمنا مسقطا على المكان أو المسافة، لا بد أن يستعاد لا متقطعا على أنه لحظات عاشها المرء، وإنما لا بد من بعث الروابط التي تصل بين تلك اللحظات (5).

⁽¹⁾ عبد القادر عبد الحميد زيدان :التمرد والغربة في الشعر الجاهلي، دار الوفاء، ط1، 2003، ص: 186.

⁽²⁾ عبد المالك مرتاض: الأدب الجزائري القديم، دراسة في الجذور، دار هومة ، (د، ط)، 2005، ص: 182.

⁽³⁾ جموعة من المفكرين المتخصصين:فكرة الزمان عبر التاريخ، ترجمة: فؤاد كامل، مراجعة شوقي حلال، المجلس الـــوطني للثقافـــة والفنون والآداب ، الكويت، سلسلة عالم المعرفة، يناير 1978، ع 159، ص: 12.

⁽⁴⁾ عبد الرزاق قسوم: مفهوم الزمان في فلسفة ابن رشد، المؤسسة الوطنية للكتاب، 3 شارع زيغود يوسف، الجزائر، 1986، ص: 52.

⁽⁵⁾ ينظر: إحسان عباس: اتجاهات الشعر العربي المعاصر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ، سلسلة عالم المعرفة، 1988، عدد 2، ص: 68.

الفصل الثاني : الاغتراب الزماني

في شعر المعري

هذا عن مفهوم الزمان عند الفلاسفة والشعراء الغربيين والعرب منذ العصر الجاهلي الى غاية العصر العباسي، العصر الذي سوف نحاول اكتشافه من خلال شعر أبي العلاء المعري كنموذج.

وقد تجلت في هذا الموضوع الفرعي _الاغتراب الزماني - موضوعات فرعية أخرى سوف نلقي عليها الضوء محاولين معالجتها ودراستها من خلال شعر أبي العلاء المعري المتجسد في ديوانيه سقط الزندواللزوميات.

1- الشاعر وأحداث الزمان:

إنَّ موضوع الزمان كغيره من المواضيع الأحرى قد أخذ قسطا وافرا من الاهتمام والمعالجة لدى شاعرنا أبي العلاء المعري، وهذا ما نستشفه في أشعاره المتناثرة هنا وهناك.

نزول كما زال أباؤنكا ويبقى الزمان على ما ترى فارد كما زال أباؤنكا ونجم يغور ونجم يكرى فارد المان على ما ترى فارد المان على ما ترى

« فأبو العلاء يحدثنا عن الزمان، فيذكر لنا زمانين: أحدهما زمان أبدي سرمدي والآخر زماننا؛ أي عمرنا، وأيضا عمر النجوم والكواكب والنهار والليل وكل مظاهر الطبيعة، هذا الزمان الأخير يبدأ وينتهي في حركة دائرة مستمرة هو الآخر، في داخل الزمان السرمدي الأول » $\binom{(2)}{3}$.

ويقول الشاعر في لزومياته:

أعجب بدهرك أولاه وآخروه إنّ الزمان قديم سنه حدث (3). فالزمان على حد قول المعري قديم قدم الإنسان، ظهر ومنذ الأزل بظهور الإنسان والحياة فهو يتعجب من هذا الدهر منذ بدايته الى هايته، وقد توالت الأيام فيه وتعاقبت من صبح وإمساء وهذا ما لاحظه وعبر عنه بقوله:

يأتي على الخلق إصباح وإمساء وكلنا لصروف الدهر نُسَّاء إلى أن يقول:

⁽¹⁾ طه حسين: المجموعة الكاملة أبو العلاء المعري، دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة، ط2، 1983، ص .270.

^{(&}lt;sup>2)</sup>- عبد القادر زيدان: قضايا العصر في أدب أبي العلاء المعري، دار الوفاء، ط1، 2004، ص: 171.

^{(3) -} أبو العلاء المعري: اللزوميات، حققه وأشرف على طباعته جماعة من الأخصائيين، منشورات محمد علي بيضون، دار العلميـــة ، بيروت، لبنان، (د، ط)، 2001، ج1، ص: 166.

الفصل الثاني : الاغتراب الزماني

في شعر المعري

خسست يا أمّنا الدنيا فأف لنا بنو الخسيسة أو باش أخسّاء (1)

والدهر عند المعري ليس سوى ثلاثة أيام متمثلة في الماضي والحاضر والمستقبل؛ فهو يقول:

ثلاثة أيام هي الدهر كلاه واليوم والغامس واليوم والغامس واليوم والغامس والعامس والعامس

ونجده شاكيا من هذا الزمان الذي كواه بحوادثه بقوله:

مدّ الزّمان وأشوتني حوادثه حتى مللت، وذمت نفسي العمرا (3)

« فقد نسب العرب إليه كل غدر وعاهة ومصيبة تلم بالإنسان كما ألهم لا يبرحون يعاتبونه ويبثون شكواهم من أقداره المستبدة الظالمة » (4).

وهذا ما فعله المعري بقوله هذا الذي شكا فيه من حوادث هذا الزمان التي جعلته يمل العيش ويتمنى الموت والخلاص من هذه الدنيا التي هي كلها مصائب ومشاكل، لا ينفك الإنسان أن يخرج من مشكل ومطب حتى يقع في مطب آخر، هذا إن دل على شيء فإنه يدل على كثرة المشاكل والآفات والمآزق التي في كثير من الأحيان يكون الإنسان في غنى عنها ولكن يجد نفسه في خضمها يتصارع مع أحداثها ويتجرع آلامها، فهي بالتأكيد كلها تعب ومشقة، وهذا ما يظهر في قول الشاعر يتعجب من الذين يريدونها باستمرار ويطلبون العيش فيها ويتمنون البقاء فيها الى آخر العمر رغم كل ما فيها من مكر وحداع وزيغ وغش ومتاع وغيرها من الصفات والخصائص التي تميز الحياة الدنيا عن غيرها من الحياة فهو يقول:

تعب كلها الحياة، فما أعجب بالله من راغب في ازدياد (5)

^{(1) -} أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج1، ص: 39.

^{(&}lt;sup>2)</sup> أبو العلاء المعري: ديوان سقط الزند، شرحه أحمد شمس الدين ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ، ط1، 1990، ص:75.

⁽³⁾⁻ أبو العلاء المعري، سقط الزند، ص :315.

^{(&}lt;sup>4)</sup> إيليا الحاوي: في النقد والأدب، مقدمات جماعية عامة مقطوعات من العصر الإسلامي والأموي، دار الكتاب اللبنــــاني، بــــيروت، ط5، ج2، ص: 37.

^{.197 :} أبو العلاء المعري: سقط الزند، ص $^{(5)}$

الفصل الثابي: الاغتراب الزمانى

في شعر المعرى

فهو يرى أنَّ ما يظنه الناس نعمة وحير إنما هو نقمة وشر تقذفنا به الدنيا، وليس في الحياة شيء من حير، وإنما هي كلها مصائب وعيشها شقاء وآلام، فيقول:

و يقول:

وقد بلونا العيش أطـوارا

فما وجدنا فيهسا غير الشقاء (2)

ويذهب المعري أبعد من هذا فيرى أنَّ الشقاء يسيطر على كل نواحي الحياة ويسدّ تغراها وهو يعبر عن هذه الحسرة فيقول:

لا أزعم الصفو مازحا كـــدرا بل مزمعي أنّ كلّه كــدر (3)

ففي هذا البيت يؤكد المعري حلو الدنيا من كل حير وصفو ونعيم والشقاء فيها دائم وأكيد، والمصائب لا تنفك تطارد بني البشر بسمومها وويلاها لذلك يطلب عدم المزيد من الحياة الدنيا وذلك بقوله:

فإنسى عنها، فلا تطلب الدنيا وإن كنت ناشئا بالأخلاء، أرْبأ

تبث سرايا أو جيوش وما نوب الأيـــام إلا كتائــب بر⁴) تعسا

ومن حلال تتبعنا لديوانيه وأشعاره نحده يتكلم تارة عن الزمن وتارة عن الدهر بقوله:

عليه ،وسيف الدهر عنه كهام مضى زمن و العزّ بان رواقـــــه وما الدهر إلا دولة ثم صولـــة وما العيش إلا صحة

وسقــام⁽⁵⁾

⁽¹⁾– أبو العلاء المعري: اللزوميات، علق عليه شرحا عزيز زند، دار المعارف للطباعة والنـــشر، سوســــة، تـــونس، (د ، ط، د ، ت)،

⁽²⁾- أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج1، ص: 370.

⁽³⁾ أبو العلاء المعري:اللزوميات، ج1، ص :324 .

⁽⁴⁾– أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج1، ص :38 .

⁽⁵⁾- أبو العلاء المعري: سقط الزند، ص:120.

الفصل الثانى: الاغتراب الزمانى

في شعر المعرى

وتارة أخرى نحده يحكى عن الأيام وتعاقب الليل والنهار في الدهر وهذا ما يظهر جليا في قو له:

نهار وليل عوقبا أنا فيهمـــا كاني بخيطي باطلل أتشبت وليدا بترب الأرض يلهو ويعبث (1) أظن زماني كونه وفســــاده

ومازال يتحدث عن الليل وكيف يرجو أن يطول شبابه؛ أي يدوم ويستمر ولكنه من شدة هول ما في هذه البلاد شاب قبل وقت المشيب فيقول:

رجا الليل فيها أن يدوم شبابـــه فلما رآها شاب قبل احتلامه(2)

كما نجد حياله يتمنى استدامة الظلام لفرط شغفه به؛ لأن الخيال لا يظهر عادة إلا في الظلام، وبالإضافة الى ظلام الليل يتمنى زيادة سواد القلب والبصر؛ هذا ما يظهر في قوله:

يود أن ظلام الليل دام لـــه وزيد فيه سواد القلب والبصر (3)

ولكنه في أبيات أحرى يصف كيف أن الممدوح يبيت يقظانا في الليالي المظلمة في معارك دائمة تكاثرت فيها الأهوال حتى هاب الليل منها فدعا خالقه أن يعيد عليه ضوء الصباح لينجو مما هو فيه من الأهوال بقوله:

بضوء الصبح خالقه ابتهــــالا (4) يبيت مُسَهَّدًا والليل يدعـــو

فواقع الليل يعكس آلام المغترب النفسية ويحكى جانبا من معاناته الإنسانية ⁽⁵⁾،ففي هذا البيت ضرب من ضروب البلاغة حيث نلمح إستعارة الشاعر لصفة الدّعاء من الإنسان والتصاقها باللّيل الذي يدل على الزمن.

« وله مدلولات كثيرة تختلف من شاعر لآخر اختلافا ينبع من الحالة النفسية التي هو عليها وبالتالي يحمل الليل باستمرار رموز متنوعة مختلفة » ⁽⁶⁾.

⁽¹⁾⁻ أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج1، ص :166.

⁽²⁾- أبو العلاء المعري: سقط الزند، ص: 103.

⁽³⁾⁻ أبو العلاء المعري: سقط الزند، ص: 36 .

⁽⁴⁾– أبو العلاء المعري: سقط الزند، ص :27.

^{(&}lt;sup>5)</sup> ينظر مي يوسف حليف :ظاهرة الاغتراب عند شعراء المعلقات، ص : 24.

⁽⁶⁾ عبد القادر عبد الحميد زيدان: التمرد والغربة في الشعر الجاهلي، ص: 172.

الفصل الثاني : الاغتراب الزماني

في شعر المعري

إذن بعد هذه الرحلة التي استوقفتنا مع أبي العلاء المعري في غربته الزمانية يظهر لنا حليا كيف أن المعري لم يلق باللوم على الزمن أو الدهر بقدر ما ألقى اللوم على أهل زمانه، ويرجع ذلك الى النظرة الوجودية والعقلية والتي لا تلقي بالاتمام على الزمن وإنما على البشر الذين حق على الزمان أن يشكوهم لو استطاع تكلما، وهذا ما يبينه المعري بقوله:

ما الدهر أضحكنا و ${\bf K}$ أبكانا ولو استطاع تكلما لشكانا $^{(1)}$

نبكي ونضحك والقضاء مسلـــط نشكو الزمان وما أتى بجنايــــــة

فقد ألقى هنا اللوم على أهل زمانه، فكل ما لحقه من حوادث وآلام ومشقة كانت بسبب البشر، فهم المسؤولون عنها، لذلك حاول الاعتزال عن أهل زمانه وهذا ما يتبدى في قوله:

إن عوشروا بين محبوب وممقوت

ولا أعاشر أهل العصر إلهـــم (2)

ويقول أيضا مفضلا الخمول والاعتزال: وأصبح واحد الرجلين إمــــا ولو جرت النباهة في طريق الــــ

فقد وجد في العزلة والوحدة التي فرضها على نفسه الراحة العظمى المرجوة لمثله في دنياه، والطهارة من دنس العصر ولؤم أهله:

إلا لأن تهجره أهال الغدر والجهال ما هو إلا الغدر والجهال قلبا، وفي الكون بين الناس

هذا زمان ليــــس لأهلــــه حان رحيل النفــس عن عـــالم في الوحدة الراحة العظمى فأخي بها

إثقال

(3)

⁽¹⁾ ينظر: عزيز السيد حاسم:الاغتراب في الحياة والشعر الشريف الرضي، ص:30- 31.

^{(2) -} أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج1، ص .152.

⁽³⁾ أشرف على دعدور: الغربة في الشعر الأندلسي، ص: 47.

الفصل الثاني : الاغتراب الزماني

في شعر المعري

ويقول في موضع آخر:

وقربكم يجني همومي و

طهارة نفسي في التباعد عنكـــم إدناســـي (1)

هذا البيت دليل على أنّ المعري قد وجد في أهل زمانه كل الصفات والسلوكات القبيحة والمستهجنة والتي جعلته يتأكد من أنّ مخالطته إياهم وعدم البعد عنهم يدنسه مثلهم ويجعله يكتسب ما فيهم من عيوب وصفات لذلك وجد في البعد والنوى والوحدة والاعتزال عن هذا الزمان وأهله حلا لائقا، خاصة وأنه يرى نفسه بعيدا كل البعد عنهم في صفاته وسلوكا ته، فنجده يحس بمكانته ويبالغ في الاعتزاز بنفسه ويتعمق في فهم واقعه النفسي، فيظهر في قصيدته (ألا في سبيل المجد) بأنه رجل حازم تدفعه الجرأة الى تسجيل التفرد لنفسه في زمانه وما قبل زمانه، فيظهر شجاعا يتفوق على الآخرين من فصل القول ورفعة الشأن في وقت ساد فيه الجهل والذل والهوان والظلم فهو يقول:

عفاف وإقدام، وحزم،

ألا في سبيل المجد ما أنا فاعـــــل ونائـــــل!

يُصدّق واش أو يُخيّب

أعندي، وقد مارست كُــلَّ خفيــــة سائـــــل ؟

وأيسر هجري أنسني عنسك

أقل صدودي أنني لك مبغض؛

فأهون شيء ما تقول

إذا هبت النكباء، بيني وبينكم؛ العبواذل

ولا ذنب لي، إلا العلبي

تعد ذنوبي، عند قـــوم كثيـــرة

رجعت، وعندي للأنام

كأني، إذا طلت الزمان وأهله طوائسل

47

⁽¹⁾ عائشة عبد الرحمن : مع أبي العلاء في رحلة حياته، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1972، ص :198 – 199.

الفصل الثاني: الاغتراب الزماتي

فى شعر المعري

وقد سار ذكري في البلاد، فمن لهم بإخفاء شمس، ضوءها متكاميل

يُهمُّ الليالي بعض ما أنا مضمر ويثقل رضوى دون ما أنا حامل

وأغدوا ولو أن الصباح صوارم؛ وأسري، ولو أن الظلام جحافيل

وإبي جواد لم يُحَلَّ لجامه، ونصل يمان أغفلته الصياقيل

فإن كان في لُبْسِ الفتى شرف لـــه، فما الــسيف إلا غمــده والحمائــــل

ولي منطق لم يرضى لي كنه منزلي؛ على أنني بين السماكين نال

ولما رأيت الجهل، في الناس فاشيا؛ تجاهلت، حتى ظُـــنَّ أين جاهــــل

فوا عجبا؟ كم يدعي الفضل ناقص، ووا أسفا! كم يظهر النقص فاضل (1)

إلى آخر الأبيات، فالقصيدة طويلة « وهي تطرح خلاصة رؤية وفلسفة حياة من خلال ما امتلأت به نفس صاحبها من إحساس بتضخم كيانه، أسهم في زيادته لديه تلك الغربة التي فرضها على نفسه بعيدا عن مجتمعه، وكأنّه لا يريد أن يأبه به بعد أن عجز عن فهم حقيقة مكانته كما فهمها هو نفسه (2).

(1) أبو العلاء المعري :سقط الزند ،ص :106،وطه حسين: أبو العلاء المعري حياته وشعره، دار النفس للنشر (د، ط، د ، ت)، ص: .95

(2) عبد الله التطاوي: القصيدة العباسية قضايا واتجاهات، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة ، (د، ط، د،ت)، ص:349.

الفصل الثانى : الاغتراب الزماني

في شعر المعري

لقد أجريت إحصاءا لكلمة الزمان وتواترها في ديوانيه سقط الزند واللّزوميات إضافة الى ما ينتمي إليها وما يدور في حقلها الدلالي من ألفاظ وعبارات ،تكشف لنا عن مدى اغتراب المعري وعن أهمية الموضوع ومكانته من شبكة الموضوعات الفرعية الأخرى التي تنتظم ضمن الموضوع الرئيسي؛أي الاغتراب.

ولمعرفة ذلك وإثباته علميا سنتأمل الجدول الآتي:

التكـــــرار	الكلمــــة
211	الزمان + الزمن
262	الدهر
185	الدنيا
122	الحياة
197	الدجى + الليالي + الليل
110	الأيام
05	الشهور
34	الخطوب

فمن خلال هذا الجدول يبدو أنّ كلمة (دهر) هي الأكثر تواترا بين المجموعة المختارة ، وقد تكمن علة ذلك في كون « لفظ الدهر من أكثر الألفاظ دورانا في كلام الجماعة العربية » (1) أو ربما لأنها تحمل شحنة عاطفية ووقع حاص لا يتوفر في غيره.

تضاف الى كلمة الدّهر لفظتا الزمان والزمن وهما اسم للقليل أو الكثير من الوقت فلفظة الزّمان يتخللها المد الذي يسمح بانسياب آلام المعري معه عند ما يتذكره لذلك تكرر (184) مرة في حين لم يتكرر لفظ الزمن سوى (27) مرة فضلا عن الليالي والتي تكرر (38) مرة، والليل والذي تكرر (38) مرة،

⁽¹⁾ كريم زكي حسام الدين: الزمان الدلالي، دراسة لغوية لمفهوم الزمن وألفاظه، في الثقافة العربية، دار غريب، القاهرة، ط2، (د،ت)، ص:120.

الفصل الثانى: الاغتراب الزماني

في شعر المعري

والأيام تكررت (110) مرة، والشهور تكررت (5) مرات فقط، فإذا ما قارنا هذه الألفاظ بالدّهر والزمن نجدها أقل اطرادا منهما، وذلك راجع ربما للأثر الوجداني الذي يخلفونه كما صادفتنا بعض الكلمات التي تنتمي الى الموضوع الفرعي-الشاعر وأحداث الزمن-من مثل خطوب، رزايا، صروف...

2- الشاعر والموت:

« يعتبر الموت موضوعا بالغ الصعوبة، وترجع الصعوبة الى عوامل كثيرة: فالموت من ناحية، موضوع ينطوي على كثير من المفارقات والمتناقضات وهو من ناحية ثانية موضوع كريه مزعج لا يشجع على التفكير أو الحديث ؛أمّا أنه ينطوي على كثير من المفارقات فهذا واضح من مجرد النظرة العابرة الى طبيعته: فطبيعة الموت هي الكلية المطلقة فجميع البشر فانون ولا محالة » (1) فكل من هو على الأرض سوف يذوق طعم الموت وهذا ما يبيّنه الله تعالى في الآية الكريمة:

إذ قال سبحانه وتعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسِ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾ (2).

ومن الطبيعة المتناقضة للموت أيضا مثلما أقر الكاتب في كتاب (الموت في الفكر العربي) أنه يجمع بين اليقين وعدم اليقين، فأنا أعرف بالضرورة أنني سأموت، لكني لا أعرف مطلقا متى سيكون ذلك كما قال (بسكال) بحق: « أن كل ما أعرفه هو أنه لا بد لي أن أموت عما قريب، ولكنني لا أجهل شيئا قدر ما أجهل هذا الموت الذي ليس لي عليه يدان، فأنا على يقين من شيء واحد فحسب هو أنه إذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ، أمّا متى يجيء الأجل فعلمه عند الله، ومن طبيعة الموت أيضا أنّه الحد النهائي الذي يتحدى القيم ويكذب شتى مزاعم الإنسان، ويقول أبيقور: "ليس

⁽¹⁾⁻ حاك شورون، الموت في الفكر الغربي، ترجمة كامل يوسف حسين، مراجعة إمام عبد الفتاح، سلسلة عالم المعرفة، يناير 1978، ع 76، ص: 09.

⁽²⁾ سورة العنكبوت/ 57.

⁽³⁾⁻ حاك شورون، الموت في الفكر الغربي،ص: 99.

⁽⁴⁾ سناء حضر :النّظرية الخلقية عند أبي العلاء المعري بين الفلسفة والدّين ،ص: 250.

^{(&}lt;sup>5)</sup>-أحمد محمّد عبد الخالق :قلق الموت ،المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ،الكويت ،سلسلة عالم المعرفة ،1998 ،ع111 ،ص :16.

الفصل الثانى : الاغتراب الزماني

في شعر المعري

للموت وجود بالقياس إلينا لأنه طالما كنا أحياء فليس ثمة موت، وبمجرد ما يوجد الموت فإننا لن نكون أحياء " $^{(1)}$ ".

وليس يكفي أن نقول أن الإنسان هو الموجود الوحيد الذي يموت بمعنى الكلمة وإنما ينبغي أن نقول أيضا أنه الموجود الوحيد الذي يملك يقينا مزعجا عن حقيقة الموت، وكما قال الفيلسوف الرواقي سفيكا: «إذا أردت ألا تخشى الموت فإن عليك ألا تكف لحظة عن التفكير فيه وغريزة الخوف من الموت متأصلة في الانسان من طفولته حتى تسلمه الى القبر، وكثيرا ما تتصادم هذه الغريزة مع الغرائز الأحرى كالغضب وجب الابتكار والاستطلاع » (2) فمثلما وحدت الحياة وحد الموت فكلٌ منّا خلق ولكن لا يوجد واحد من بيننا سوف يخلد فكلّنا فانون والى القبور لاحقون .

« فالموت إذن حادث من نوع مختلف تماما، إنّه حادث عنيف يكسر إيقاع الحياة الرتيب نسبيا وليس هذا فقط بل إنه يوقف دورتما ويجعلها تقف حامدة عند تاريخ يستحيل أن تتحرك بعده.

فإذا كانت في الحياة الدنيا للإنسان حوادث مهمة، فإن الموت آخرها وأهمها ومنهيها، ليس قبله حادث أهم وليس بعده حركة منظورة ولا توقعات قريبة ولا آمال عريضة، ليس ثمة بعده أعمال تكتسب ولا ذنوب ترتكب، وكل ذلك علمه عند ربي » (3) حيث يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا أُتيتُمْ منَ العلْم إلَّا قَليلًا ﴾(4).

لقد كان الموت مصدر قلق للبشرية جمعاء ونحد بالمقابل له الخلود الذي يعتبر كحلم ولكن هذا الأحير يبدده الواقع الذي نعيشه لأنّ كل خطوة نتقدمها في العمر هي خطوة نحو الممات وهذا ما يبيّنه حاتم الطائي بقوله:

يسعى الفتى، وحمام الموت يدركـــه وكل يوم يُدنّي للفتى الأجــــل₍₁₎

⁽¹⁾⁻ سورة الإسراء /35.

⁽²⁾ حاتم الطائي :الديوان ،شرحه وقدّم له حمد رشاد ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،لبنان ،ط1 ،1986 ، ص :93.

⁽³⁾⁻زهير ابن أبي سلمي :الدّيوان ،شرحه وقدّم له حسين فاعور ،دار الكتب العلمية ،بيروت ـــلبنان ،ط1 ،1988 ، ص :110.

⁽⁴⁾ سناء خضر :النّظرية الخلقية عند أبي العلاء المعري بين الفلسفة والدّين ،ص :251.

الفصل الثاني : الاغتراب الزماني

في شعر المعري

فكل يوم يزيد في عمر الإنسان ينقص من إمكانية عيشه ويقرب إليه ساعة النهاية والفناء، فكلما اكتسب الإنسان سنين معاشه حسر مثلها، فيصبح هنا المكسب قرين الخسارة، لأن الارتقاء في العمر هو قرب من الأجل ودنو منه وهذا ما يظهر لنا في حقيقة الأمر في حياتنا ومن خلال الواقع المعيش، وهي حقيقة أكيدة ومسلم بها عند الخاص والعام فلا تحتاج الى دليل بحكم المعايشة لها في هذه الحياة.

وقد أكدها الكثير من الشعراء من بينهم زهير بن أبي سلمي بقوله:

وأعلم ما في اليوم والأمس قبله ولكنني عن علم ما في غد عَم (2) ويقول:

ومن هاب أسباب المنايا ينلنه وإن يرق أسباب السماء بسلم (3) الآخر المتعلق بالحياة الأخرى، فالإنسان يعلم ماضيه الذي مرّ به وحاضره المعيش، ولكنه يجهل مستقبله لأنه في علم الغيب.

فإذن هذه مختلف الرؤى حول حتمية الموت لزهير وحاتم الطائي ومختلف الغربيين الذين استدلينا بهم لإثراء هذا الموضوع ، فما هي حقيقة الموت عند شاعرنا أبي العلاء المعري ؟ وكيف تجسدت عنده ؟ وما موقفه منها ؟.

لقد ذكرت آنفا أنّ أبا العلاء المعري قد سئم من الحياة ومل العيش فيها لما المن القد ذكرت آنفا أنّ أبا العلاء المعري قد سئم من الحياة ومل المعري يمقتها وناسها الثام وشرور فهي نقمة على الإنسان ودار بلاء، كل شيء فيها جعل المعري يمقتها وناسها وهذا ما جعله يفضل الموت، احتقارا أو كرها لها _ للدنيا _ فقد تمثلها غولا بعكس الآخرين الذين تمثلوها عروسا بقوله:

طن الحياة عروسا خلقها حسن وإنما هي غول خلقها شرس (4)

ولكن هناك صراع يعيشه المعري بين حب الدنيا ومقتها، بين الفزع من الموت والترحيب به، فالموت هو الحقيقة التي لم يشك فيها بعد إيمانه ورغم ذلك فهو يخافه بل ويستغيث منه فيقول:

⁽¹⁾⁻ أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج2 ،ص :457.

الفصل الثابي: الاغتراب الزمانى

في شعر المعرى

أنبانا اللب بلقيا الــــر دي

وهناك من يرجع سبب خوف المعري من الموت الى جهله وخوفه مما وراء الموت.

ونلاحظ أنَّ المعري كان يكره حقيقة الموت في القديم ربما لأنه لم يتوصل الى كره الحياة وذم العيش فيها، فقد كان لازال في شبابه مفعم بالحركة والحماس متفاعلا تواقا الى العيش أكبر قدر لكي يحصل فيها على أعلى المراتب وأسماها من علم ووجاهة إذ لم تضنه الحياة وتتعبه بمشاكلها ومصائبها، فلم يتوصل بذلك الى الشقاء الذي بات يتكبده والمعاناة التي كان يتجرع مرارتها كل يوم وليلة مثلما وصل إليه في شيخوخته فيقول:

وما أنا فيه قـــد كفيت

قديما كرهت الموت والله شاهــــد وقد عشت حتى اسمحت لى قرونتي وأحسبه لو جـــاءبي لأبيتــــه إذا أنا وارابي التـــراب فخلـــني

ثم لا نلبث أن نجد المعري مشتاقا الى الموت لأنه سئم الحياة وملها ، فبات مؤمنا به تواقا لملاقاته، وقد تمناه بعد الخمسين من عمره فيقول:

إذا كنتُ قد جاوزت خمسين حجـة ولم ألق خيـرا فالمنية لي ستــرُ وما أتوقى والخطوبُ كثيرةٌ من الدّهر إلا أن يحلّ بي الهتر و(٥)

فهو بذلك بعد هذا السن يدعو ربه بأن يرحله لأنه أطال البقاء في هذه الدنيا يقول:

رب متى أرحـــل عن هــذه الـــ دنيا فإنى قد أطلت المقـام ويقول: يا رب أخرجني الى دار الرضى عجلا فهذا عالم منكوس (4)

فهو هنا يطلب من الله أن يعجل في رحيله من دار الدنيا الى دار الآخرة فإذن هو يتمنى الموت، ويرى أنه هو الراحة من عناء الحياة حيث قال:

من عالم هو بالأذى مجبول⁽¹⁾

ما بعد ذين سوى الحمام، وإنسى لإخال أن الهجر في طويــــل. وفضيلة النوم الخروج بأهلــــــه

^{.251:} سناء خضر: النظرية الخلقية عند أبي العلاء المعري، ص

^{(&}lt;sup>2)</sup>- أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج1، ص: 149- 150.

^{(3) –} أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج1، ص: 280.

⁽⁴⁾⁻ سميرة سلامي: الاغتراب في الشعر العباسي القرن الرابع الهجري ، ص :213.

الفصل الثاني : الاغتراب الزماني

في شعر المعري

و قال:

ما أوسع الموت يستريح به الجسم المعنّـــــــــى ويخنث اللّجــــــب (²⁾ و يقول:

إنْ يقرب الموت مني فلست أكره، قربه وذاك أمنع حصن يصبر القبر دربه مني مني عصن يلقه لا يراقب خطبا ولا يخشه كربه (3) ويقول في موضع آخر:

ضجعة الموت رقدة يستريح الجسم ويقول:

لو لم تكن طرق هذا الموت موحشة مخشية لاعتراها القوم أفواجـــا وكان من ألقت الدنيا عليــــه أذى يؤمها تاركا للعيش أمواجـــا كـــاس المنيــة أولى بي وأروح لي من أن أكابــد إثراء واحواجـــا

فيها والعيش مثل السهاد⁽⁴⁾

فالشاعر يتكلم في هذه الأبيات الأخيرة عن الموت وطرق الوصول إليه فلولا الصعوبة والمشقة في الوصول إليه بحسب رأيه لذهب إليه كل الأقوام للخلاص من هذه الدنيا، كما أكد على أحقية الموت بالنسبة له للاستراحة من هذه الحياة التي أتعبته وأرقته من دون شك وهو يقول في هذا المعنى أيضا:

يدل على فضل الممات وكونـــه إراحة جسم أن مسلكه صعـب (6)

⁽¹⁾ عمر الفروخ: حكيم المعرة، دار لبنان، بيروت، لبنان، (د،ت، د،ط) ، ص: 3.

⁽²⁾ عزيز السيد حاسم: الاغتراب في حياة وشعر الشريف الرضي، ص: 40.

⁽³⁾⁻ أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج1، ص: 96.

[.] 360 : -360 . -360 . -360 . -360 .

 $^{^{(5)}}$ أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج $^{(5)}$ ص: 177.

⁹¹: ص : العلاء في سجنه، دار المعارف، مصر ، ط10، (د،ت)، ص $^{(6)}$

الفصل الثانى : الاغتراب الزماني

في شعر المعري

وقد فضل أبو العلاء المعري الموت على الحياة لأسباب عديدة منها: إحساسه بخواء الحياة وعبثيتها، وانعدام المنطق والخير فيها، جعله يرى أنه لا سند يرتكن إليه الإنسان سوى الموت، بل إن الموت هو الأمل والمرتجى لأنه المخلص من العذاب، إضافة إلى أن الموت هو الحقيقة الوحيدة والمؤكدة في حياة الإنسان المليئة بالمعاناة (1).

فهي فرض على الإنسان سوف يصل إليها ويذوق منها لا محالة وهذا ما يؤكده قول الشاعر:

ولو أنه بعض النجوم التي تسري هوى بسنان مثل قادمة النســر

تباركت إن الموت فرض على الفتى ورب امرئ كالنسر في العز والعـــلا

(2)

والشيء الذي يهون على الإنسان ويجعله يتقبل حقيقة الموت هو أنه عابر سبيل في هذه الدنيا ولا محالة هو زائل وراحل منها إلى حياة أخرى حتى وإن كان بدون رضاه فإنه ونتيجة القهر الذي يركبه من هذه الدنيا يهون عليه الأمر ويتقبله بقوله:

وهو ن ما نلقى من البؤس أنسا بنو سفر أو عابرون على جسر وما يترك الإنسان دنيا راضيا بعز ولكن مستضاما على قسر (3)

ويقول أيضا في هذا المجال مبينا حتمية الموت على الإنسان بدون اختبار بعد أن تمعن في الحقائق جميعا ووجد أن حقيقة الموت أكيدة ومحتمة على الإنسان وهي واقعة لا محالة، ومن دون شك، فلذلك تساءل عن البلاد التي تحوي قبره بقوله:

سألت عن الحقائق كل يـــوم فما ألفيت إلّا حرف جحـــد سوى أني أزول بغير شـــك ففي أيّ البلاد يكون لحـــدي (4)

فالحياة علة دواؤها الموت وهذا ما يظهر في قوله:

وما العيش إلا علة برؤها الـــردى فخلّى سبيلي أنصرف لطياتي (5).

⁽¹⁾ ينظر سناء خضر :النظرية الخلقية عند أبي العلاء المعري، ص: 252.

 $^{^{(2)}}$ أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج1، ص: 351.

^{(3) -} أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج1، ص: 351.

^{(4) -} أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج1، ص

^{(&}lt;sup>5)</sup> – سميرة سلامي: الاغتراب في الشعر العباسي القرن الرابع الهجري، ص: 213 ، 1986، ص: 213.

الفصل الثانى: الاغتراب الزماني

في شعر المعري

ولأنّ الموت إزالة من هذه الحياة فهو عيد بالنسبة له، ويمثل له رمز للسعادة والفرح وهذا ما يظهر في قوله:

أنا صائم طول الحياة و إنما فطري الحمام و يوم ذاك أعيد (1)

ولكن أية راحة وأية سعادة يتحدث عنها أبو العلاء المعري ؟ هل رأى فيه النهاية والفناء لحياته في الدنيا، ومن ثمة الخلاص من الشقاء ؟أم أنه بداية لحياة أخرى ملؤها النعيم والسعادة خالية من الشرور والآثام؟.

وهذا ما يتبين في أشعار أبي العلاء، حيث يقول:

وقد بلونا العية أطهواره فما وجدنا فيه غير

الشقــــاء

تقدّم الناس فيا شوقنا إلى إتّباع الأهيل والأصدقاء

ما أطيب المــوت لشـرا بــه إن صحّ للأموات وشــك التقــاء⁽²⁾

فهو يشتاق الى الأهل والأصدقاء الذين ارتحلوا عنه ويشتهي الموت ويراه عذبا طيبا في حالة واحدة هي حالة اللقاء بهم.

لقد كره أبو العلاء ما حوله من عالم وضاق به، ورأى أن الحياة كما يفهمها هؤلاء لا تساوي شيئا فترع الى حياة أخرى، يستطيع فيها الاندماج مع البشر على أساس من النقاء والصفاء والحبة والطهر ولم يجد هذا ممكنا إلا في الحياة الآخرة، حياة الخلود التي يجتمع فيها الأطهار الصالحون ويتضح هذا في قوله:

إن كان نقلي عن الدنيا يكـــون لي خير وأرحب فانقلني على عجـــل

-

⁽⁶⁾⁻عائشة عبد الرحمن : مع أبي العلاء في رحلة حياته ،ص:201، و يوسف فرحات:كتاب الموسوعة الفلسفة الإسلامية وأعلامها، ط1441.

^{. 53 :} أبو العلاء المعري، اللزوميات، ج1، ص $^{(2)}$

الفصل الثاني : الاغتراب الزماني

في شعر المعري

وإن علمت مالي عند آخريق شرا وأضيق فاسنأ ربّ في الأجرال (1)

فهو هنا يتمنى الموت بعجل إذا كان مصيره الجنة حيث يمكن خلاصه فيها من الاغتراب والانفصال والشقاء، أما إذا كان مصيره جهنم فهو يرجوا التأجيل والتأخير، ولذلك قال مشتاقا للدار الآخرة:

متى أنا للدار المريحة ظاعـــن فقد طال في دار العناء مقامـــي وقد ذقتها ما بين شهـد وعلقـم وجّربتها من صحــة وســقام (2)

« وقد ارتبط تفضيله للموت بالتشاؤم، وتشاؤمه يرجع إلى اعتقاده أنّ الشر في الوجود غالب على الخير، وأن طبيعة الانسان مبنية على الفساد، والحياة تنطوي على تناقض مفجع، وهو ما يمكن أن نسميه بمسألة الوجود، وفي نهاية حياة الإنسان القصيرة والمليئة بالآلام لا يجد إلا شيئا واحدا هو الموت والعدم» $^{(8)}$.

وهذا ما نستشفه في أقواله:

إذا غدوت ببطن الأرض مضطجـــعا فثم أفقد أوصابي وأمراضـــي

ويقول: الموت جنس ما تميز واحـــد كثل الجسوم الى التراب

وترتفع نزعة التشاؤم عنده فيقول:

يحطمنا ريب الزمان كأنّا زجاج ولكن لا يعاد له سبك (4)

إذا ما تتبعنا أشعار المعري وجدنا بأن فقدانه لأهله وأحلَّائه إلى الأبد بين الفينة والأخرى كان عاملا حاسما ساعد في تعميق اغترابه وتضخيم شعوره بالوحدة والضياع.

^{(1) -} سميرة سلامي : الاغتراب في الشعر العباسي القرن الرابع الهجري، ص 13: - 214.

⁽²⁾ أبو العلاء المعري:اللزوميات، ج2، ص

⁽³⁾ سناء حضر: النظرية الخلقية عند أبي العلاء المعري، ص: 252.

⁽⁴⁾ عزيز السيد جاسم: الاغتراب في حياة الشعر الشريف الرضي، ص: 40.

الفصل الثابي: الاغتراب الزمانى

في شعر المعرى

ومن بين الذين تأثر بموتهم وفجع بهذه الكارثة التي حلت وحدثت له وهو في ديار الغربة موت أمه وهو ببغداد، فقد قال فيها:

وإن قال العـواذل لا همـام يعز على أن سارت أمامي بلفظ سالك مجرى الطعام رضيع ما بلغت مدى الفطام (1)

سمعت نعیها! صمی صمـــام وأمتّني إلى الأجـــــداث أم وأكبر أن يرثيـــها لســــابي كأن نواجـــدي رُديت بصخـــــر مضت وقـــد اكتهلتُ فخلت أنّي

فموت أمه صم أذنه عن السمع من شدة الصدمة فعز عليه أن يفقدها وهو الذي مازال يحتاج إليها برغم كبره، إلا أنه مازال كالرضيع الذي فطم.

ويواصل في رثاء أمه فيقول:

يحاول المعري في مرثيته هاته أن يبعث لها رسولا يبلغها السلام ، ولشدة اشتياقه لها وحبا في الملاقاة بها يسأل عن زمن اللقاء.

هذا بالإضافة الى موت أبيه وصاحبه المفضل، فكل هذه الأحداث والأحزان من فقد الأحبة يوما بعد يوم ساعدت في إحساسه بالوحدة في هذا العالم فهو كالغريب لا أب له و لا أم و لا صاحب يستند عليه.

« وقد ربط المعري بين ثنائية الموت والألم واللذة حيث يقول:

إنّ حزنا في ساعة الموت أضـــعا ف سرور في ساعة الميـــلاد

وهنا نرى أن المعري يبرز لنا فلسفته في اللذة والألم من حيث أن السعادة أو اللذة قد يعقبها ألم أكبر منها بكثير، كما أن الألم قد يعقبه لذة $^{(8)}$.

^{(1) -} عائشة عبد الرحمن: مع أبي العلاء في رحلة حياته، ص: 159.

⁽²⁾- على شلق: أبو العلاء المعري والضبابية المشرقة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، 1981، ص :25.

⁽¹⁾ سناء حضر: النظرية الخلقية عند أبي العلاء المعرى، ص: 253 ، 255.

الفصل الثانى: الاغتراب الزماني

في شعر المعري

كما نحده قد ربط بين الموت والحرية، فقد انتهى الى نتيجة استراح إليها وهو راضٍ عنها وهي أنّ الموت على الرغم من كره الانسان له إلا أنه يحمل معه الحرية التي يتمناها الإنسان ففي الموت إنعتاق وتحرر من الدنيا وشرورها فقد أدرك أنّ الحياة لا قيمة لها وما العيش فيها سوى عبث والخلاص منها يكون بالموت فيقول:

موت يسير معه رهـــه خير من السير وطول البقـــاء وقد بلونا العيش أطــواره فما وجدنا فيه غير الشقــاء

كما نحده في مواضع أحرى يربط بين الموت والأخلاق فيقول:

وقد علمنا بأنا، في عواقينـــا إلى الزوال، ففيم الضغن والحســد (1)

ومن هنا نستخلص أن المعري كغيره من المسلمين آمن بحقيقة الموت ولم ينكرها، فهو حتمية وفرض على الإنسان سوف يجتاز طريقه كل فرد في هذا الوجود، إلا أن المعري في كثير من الأحيان بالرغم من الخوف الذي كان يعتريه بين الفينة والأخرى كان تواقا إليه مشتاقا للقائه وذلك لاعتبارات عدة منها كرهه للحياة.

وهكذا بعد هذه الدراسة للموضوع الفرعي - الشاعر والموت - ارتأيت أن أحصي عن طريق ديوانيه سقط الزند و اللزوميات كل الكلمات التي تندرج تحت لفظة (موت) وتحمل نفس المدلول، كما هو مبيّن في الجدول الآتي:.

التكرار	الكلمة
120	الموت
99	المنية +المنايا + المنون
62	الحمام

يبدو من هذا الجدول أن لفظة (موت) بعدّها الموضوع الفرعي الرئيسي أكثر تواترا بين المجموعة، ويرجع ذلك لكثرة طلبه لأنه كان يتمنى الموت ويشتاق إليه فهو المخلص من العذاب الذي كان يعيشه والشقاء الذي يتكبده.

إضافة الى لفظة موت نحده استعمل لفظة المنية كمفرد حيث كررها (6مرات) واستعملها بصيغة الجمع والتي تمثلت في لفظة (المنايا) المكررة (74) مرة، والمنون المكررة

59

⁽¹⁾ ينظر سناء خضر:النظرية الخلقية عند أبي العلاء المعري، ص 253 ، 255.

الفصل الثاني : الاغتراب الزماتي

في شعر المعري

ب (19) مرة، كما لا أنسى لفظة (الحمام) التي عوض بها الموت والمنايا فقد كررها (62) مرة، وذلك لأهميتها وقيمتها عنده.

فإذن يظهر لنا حليا أن المعري من أولئك الذين شعروا وهم داخل أوطاهم بنوع من الانفصال والضياع والتمزق وذلك راجع الى عوامل كثيرة جعلته يحس بالاغتراب بين ناسه وأهل زمانه، خاصة وأن هذا الزمان بات لا يرحم وهو ملم بالكثير من المصائب و الآفات التي قد تضر بالإنسان، فهي تعكس مميزات الناس في هذا الزمان المر الذي طالما اشتكى منه المعري فقد أذاقه مرارة العيش لما لاقاه فيه من ويلات وآهات جعلته يؤمن بفكرة كانت أقل تقدير بعيدة كل البعد عن تفكيره ومخيلته ألا وهي الموت، فهذا الأخير الذي بات يتمناه ويطلبه ليل نهار من رب السماوات لكي يربحه من تعب الحياة ومشقاها خاصة بعد كبره ونفاذ كل فرص الحياة من تحقيق آمال والوصول الى مراتب عليا وسامية في هذه الدنيا التي كره العيش فيها خاصة بعدما علم حقيقتها لأنها لا تبعث على خير فهي مصدر لكل شر، والعيش فيها مأثم وظلم.

والزمان والموت عنصران أو موضوعان _ إن صح التعبير _ فرعيان لموضوع فرعي ألا وهو الاغتراب الزماني، فقد كانت بصماتهما واضحة من خلال ديوانيه سقط الزند و اللزوميات وقد عبرت عنهما مختلف الكلمات التي تدور في حقل دلالي واحد مثل الدهر والزمان والأيام والخطوب هذا إضافة الى الموت والمنايا والمنية والمنون ومختلف الألفاظ الأخرى التي تحمل نفس المعنى.

لقد عد الأدب عند بعض المدارس الحديثة بأنه: « تعبير عن المحتمع وبالتالي، فالمحتمع هو الذي يشكل العمل الفني ويحدد قيمته، ونحن مع إيماننا الكامل بأن المحتمع جزء لا يتجزأ من الوجود الذي هو موضوع الأدب والفن بعامة إلا أن الأديب هو الذي يرى الوجود من خلال ذاته، يحاول إدراكه وتفسيره والتعبير عنه» (1).

والوجود هنا هو الوجود بكل نواحيه طبيعية أو احتماعية أو نفسية أو فكرية.

ومن هنا يمكن القول بأنّ موقف الشاعر بعدّه _ فنانا _ من المجتمع ورؤيته له يتشكلان عن طريق منظاره الخاص الذي يتحكم فيه تكوينه النفسي والاجتماعي والثقافي والاقتصادي وغيرها، وهذا يعني أن تفاعله مع المجتمع أو الانفصال والتمرد عليه ورفضه والخروج عن دائرته، وهذا لا يكون للمجتمع بقدر ما يكون رفضا لعاداته وتقاليده وقيمه السائدة ومن هنا يكون الشاعر قد اغترب عن المجتمع وقيمه لأنّ الاغتراب هو: « شعور الفرد بالانفصال عن حانب أو أكثر من حوانب المجتمع، كالشعور بالانفصال عن الآخرين، أو عن القيم والأعراف والعادات السائدة في المجتمع، أو عن السلطة السياسية الحاكمة »(2) لذا ارتأيت تناول الاغتراب الاجتماعي ودواعيه التي جعلت الشاعر يغترب وذلك من خلال الموضوعات الفرعية التالية:

1- الاغتراب عن الناس والذي يشمل عناصر كذم أهل الدين والنسك وذم أهل الأدب والشعراء إضافة الى ذم النساء.

2- كما نجد إضافة الى موضوع الاغتراب عن الناس، الاغتراب عن قيم المحتمع وأعرافه السائدة، وكذا الإغتراب السياسي ودواعيه التي أثرت عليه وجعلته يغترب وينفصل عن المحتمع بما فيه من سلطة سياسية.

1- الاغتراب عن الناس:

لقد ذمّ أبو العلاء المعري أهل زمانه، و فضح فسادهم وما اتصفو به من نفاق ورياء وجهل ، لقد تأمل فيمن حوله فوجد الناس على مختلف فئاهم يغرقون في بحر من الفساد فضاق بهم وصب غضبه على كل فئة منهم وذمهم، ومن بين الفئات التي ذمها المعري فئة أهل الدين والنساك وفي ذلك يقول:

وقد فتشت عن أصحاب ديــن هم نسك وليس هم ريـاء (3)

⁽¹⁾⁻ محمد زكى العشماوي:قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث ،دار المعرفة الجامعية (د، ط) ، 1998، ص : 22- 23.

^{(2) -} سميرة سلامي: الاغتراب في الشعر العباسي القرن الرابع الهجري، ص: 151.

⁽³⁾ أبو العلاء المعري : اللزوميات ، ج1، ص :41.

الاغتراب الاجتماعي والسياسي في شعر المعري

الفصل الثالث:

لكنه لم يعثر علي هذه الفئة بعد هذا التفتيش، فحق له أن يهاجمهم هجوما شديدا، وعلماء الدين مراؤون ومنافقون في نظره، يظهرون الصلاح والتقوى والنسك، ويخفون في نفوسهم الطمع والجشع وحب المال:

-كذب يقال على المنابر دائم المنابر دائم أخلا يميد لما يقال المنبر ويقول:

- لعمرك ما في عالم الأرض زاهد يقينا ولا الرهبان أهل الصوامع فهو يؤكد على أن علماء الدين لا يدفعهم إلا التكسب والطمع في اعتناقهم للدين:

- وإنماح حمل التوراة قارئها كسب الفوائد لا حب التلاوات إضافة الى قوله:

- وليس عندهم دين ولا نسك فلا تغرنك أيد تحمل السُبحا وكم شيوخ غدوا بيضا مفارقهم يسبحون وباتوا في الخنا سُبُحا ويواصل قوله:

- وتحب أن يثني عليك بأنك الـ بر التقي وأنت صل أرقم الى أن يقول:

- لقد صل هذا الخلق ما كان فيهم ولا كائن حتى القيامة زاهد وما عنوا فقال وابن ناسك وابن

فقد كان يذم الخطباء الذين يصفون الأمراء والحكام بصفات حميدة كالتقوى والهداية والعمل والصلاح وغيرها من الصفات التي تميزهم وتحبذهم عند العامة من الشعب على حين ألهم - الأمراء والحكام - في الهوى والضلال؛ فهو يقول:

ما أجهل الأمم الذين عرفتهم ولعل سالفهم أضل وأبتر يدعون في جمعا هم بسفاهة لأميرهم، فيكاد يبكى المنبر

نعم يكاد يبكي المنبر من ضلالات ذلك الخطيب المرائي الذي يخدع الجماعات ويصور لها الحالة على غير حقيقتها، لا في الشؤون السياسية بل في الشؤون الاجتماعية فيصفه بقوله:

طلب الخسائس وارتقى في منبر يصف الحساب الأمة ليهولها ويكون غير مصدق بقيامــــة أمسي يمثل في النفوس ذهولهـــا

⁽¹⁾ يوسف خليف : في الشعر العباسي نحو منهج جديد، مكتبة غريب دار قباء للطباعة (د، ط، د ، ت)، ص : 182 - 183.

^{(2) -} ابن القديم: أبو العلاء المعري، دار سعد للطباعة والنشر، مصر، (د،ط)، 1945، ص: 180.

ويقول:

رويدك قد غُــررْتَ وأن ت حــر يحرم فيكم الصهباء صبيحا يقول لكم: غدوت بلا كساء إذا فعل الفتي ما عنه ينهي

فمن جهتين لا جهة أساء(1)

بصاحب حيلة يعظ النساء

ويشرها على عمد مساء

فقد نظر الشاعر هنا وعبر بهذه القصيدة عن السلطة الدينية التي رجالها جماعة من الفاسدين والطامعين في السلطة فقط، وليس لهم من الدين إلا الاسم، والذين عندهم مصيدة يصطادون بما الناس فلا بدّ للإنسان من التنبه لمكرهم وفسادهم حتى لا يقع في شراكهم لقد آلم المعري ما جرى في هذا المحتمع من طرف أهل الدين من مخالفتهم لتعاليم الدين واستعمالهم النفاق والرياء، إضافة إلى كل الأحداث والتراعات التي كانت تقع بين الحين والآخر مما ساعد على ترك آثار وحيمة على نفسية المعري، وهذا ما جعله يحس بالانفصال عنهم والإبتعاد يقول:

> غدا أهل الشرائع في اختلاف تُقَض به المضاجع والمهود فقد كذبت على عيسى النصارى كما كذبت على موسى اليهود $^{(2)}$

ويقول أيضا في موضع آخر:

على يمين لله مالك دين ويشكوك جار بائس وخدين

توهَّمْتَ يا مغرور أنك ديــــن تسير إلى البيت الحرام تنسكا

فهو هنا يشعر بالغربة والنفور والاشمئزاز من هؤلاء الذين نصبوا أنفسهم على الأمة وتعاليم الدين فجناياتهم كبيرة، وهم أحق من غيرهم بالسخط والذم لمخالفة الدين وكذا لنفاقهم الاجتماعي؛ فيقول أبضا:

> ما أسلم المسلمون شرهـــم ولا يهود لتوبة هـــادوا وكلهم لي بذاك أشهاد $^{(4)}$ ولا النصارى لدينهم نصروا

فهو يكاد يجزم بأن الشر والنفاق متأصل في زوار كل المعابد الدينية يقول:

ومساجد معمورة وكنائسس

^{(&}lt;sup>1)</sup>- أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج1، ص: 48.

^{(&}lt;sup>2)</sup>- أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج1، ص: 226.

⁽³⁾- أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج2، ص: 775 –776.

^{(&}lt;sup>4)</sup>- أبو العلاء المعري:اللزوميات، ج1، ص: 233.

الفصل الثالث:

وطباع كل في الشرور حبائس ومآرب الرجل الشريف خسائس⁽¹⁾

فالصائبون يعظمون كواكبيا أنى ينال أخو الديانة سيؤددا

« ويقول فياختلاف فقهاء المذاهب:

وقال أبو حنيفة لا يجــوز وما اهتدت الفتاة ولا العجوز

أجاز الشافعي فعال شـــيء فضَّل الشيب والشبان مـــنا

ويضيق بنا المحال لو حاولنا سرد ما قاله في الهجوم على أصحاب الديانات المختلفة، لكن ما لا بد لنا من قوله، هو أنّ المعري لم يهاجم الأديان كما الهمه كثير من الدارسين وإنما هاجم أصحابها الذين $^{(2)}$.

واختلاف فقهاء المذاهب دليل على وجود اختلاف في الفرق والمذاهب نفسها،فهويقول في المعتزلة:

أقول له في اللفظ دينك أجــزل(3)

ومعتزلي لم أوافقه، ساعـــــة

كما يقول في الأشاعرة:

استغفر الله وأترك ما حكى لهم وكذا يقول:

واستحسنوا من قبيح الفعل ما شرعوا (5)

وخالفوا الشرع لما جاءهم بتقى وفي المرجئة والمعتزلة يقول:

عــن مقامكــم بمعـزل (6)

أرجــؤا أو اعتــزلوا، فـــإيي وفي الصوفية يقول:

صوفية، شهدت، للعقل نسبتهم بألهم ضأن صوف، نطحها يقصُ (⁷⁾ إضافة إلى وجود فرق أخرى هاجمها المعري وأنكر عليها في أشعاره.

_

^{(&}lt;sup>1)</sup>- أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج2، ص: 464.

 $^{^{(2)}}$ - سميرة سلامي: الاغتراب في الشعر العباسي، ص $^{(2)}$

^{(3) -} سناء خضر:النظرية الخلقية عند أبي العلاء المعري بين الفلسفة والدين، ص: 45.

^{(4) -} أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج1،ص: 109.

⁽⁵⁾- أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج2،ص: 523.

^{(6) -} أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج2،ص:690.

⁽⁷⁾- أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج2،ص: 497.

ثم إن اختلاف المذاهب والعقائد أدى الى ظهور الصراع بينها، وقد انعكس ذلك على الناس مما أدى الى ضعف العقيدة الدينية وقد كتب المعري في لزومياته مصورا إفساد العقائد قائلا:

إذا كان علم الناس ليس بنافـــع قضى الله فينا بالذي هو كائـــن وهل يأبق الإنسان من ملك ربــه

ولا دافع، فالخسر للعلماء فتم، وضاعت حكمة الحكماء فيخرج من أرض له وسماء (1)

ويواصل قوله:

سنتبع آثار الذين تحمّل والقد طال في هذا الأنام تعجي أرامي فتشوى من أعاديه أسهمي وهل أعظم الاغصون وريقه وقد بان أن النحس ليسس بغافل أفيقوا أفيقوا ياغواة، فإنما أرادوا بها جمع الحطام فأدركوا

على ساقة من أعبد وإماء فيا لرواء قوبلوا بظماء وما ضاق عني سهمه برماء وهل ماؤها إلّا جني دماء ؟ له عمل في أنجم الفهماء دياناتكم مكر من القدماء وبادوا وماتت سنة اللؤماء

كما هاجم المعري إضافة الى أهل الدين الدجالين من المتصوفة، فهو يقول في هذا الشأن:

فهل زرت الرجال أو اعتميت كأنفه م ثمال من كميت

فقد هاجم المعري الدجالين من الناس الذين ادعوا التصوف وهم بعيدون عنه، فتزينوا به لخداع الناس والوصول الى قلوبم وغاياتم يقول في هذه الأبيات:

-سألت منجمها عن الطفل الذي في المهدكم هو عائش دهـــره فأجابها مائة ليأخــذ درهـــما وأتى الحِمام وليدها في شهــره -ينجمون ولا يدرون لو سئلــوا عن البعوضــة أبى منهـــم تقف (4)

فالمنجمون كذابون محتالون هدفهم ابتزاز أموال السذج ضعاف العقول.

⁽¹⁾⁻ أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج1،ص: 49.

⁽²⁾ فاروق شوشة: لزوميات المعري، صوت إحتجاج وإدانة، مجلة العربي، العدد 534، مايو 2003، ص:162.

⁽³⁾⁻ أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج1،ص :162.

⁽⁴⁾ _ يوسف خليف :في الشعر العباسي، نحو منهج جديد، ص : 183.

و لم يكتف أبو العلاء المعري بمهاجمة أهل الدين والمتصوفة فقط بل ذهب الى أبعد من ذلك الى حيث الأدب والشعراء، فعنفهم لألهم أحلوا بوظيفة الريادة، فباعوا نفوسهم وسلكوا طريق المكر والخداع والاحتيال من أجل التكسب يقول:

زخارف مثل زمــزمة الذبــاب تلصص في المدائــح والســباب وأسرق للمقــال من الزبـــاب كأنّا منه في مجـــرى سبــاب كنظم قيــل في آل الحــبــاب(1)

بني الآداب غرتكم قديمـــا وما شعراؤكـم إلا ذئــاب أضر لمن تود مـن الأعــادي أقارضكم ثناء غــير حـق وما سُـم الحبـاب لـدي إلا

فالشعراء في العصر العباسي وقفوا أذلة أمام أبواب الملوك والأمراء، وسخروا شعرهم لمدح الحكام لغاية ما فإما للتكسب وإما من أجل تشويه حقائق ساطعة يعرفها الجميع على هذا الأمير أو الحاكم لكي يفوز في الأخير بمال أو مرتبة تعلي من شأنه، « لكن أبو العلاء كان يختلف عنهم كل الاختلاف، فهو أبي، كريم النفس، لم يطرق مسامع الرؤساء بالنشيد، و لم يمدح طلبا للجوائز والمكافآت، ومن هنا كان إحساسه المر بالاغتراب عنهم وكان إعلانه في الأبيات السابقة أن مديح هؤلاء الذين أدمنوا على شرب الخمرة حتى الثمالة يساوي في ألمه ووقعه على نفسه السم الزعاف (2) و لم يتوقف غضب المعري على أهل الأدب في الانفصال والبعد عنهم فقط وإنما وصل الى حد السخرية منهم ومن شعراء التكسب يقول:

أرواحهم بالرزايا في الصناعات في جذب نفع بنظم أو سجاعات⁽³⁾ تكسب الناس بالأجسام فامتهنوا وحاولوا الرزق بالأفواه فاجتهدوا

ويقول إذا شاع شعر التكسب وانتشر بين الناس، فإن الشعر الحقيقي يصاب بالكساد، ويظهر ذلك في قوله:

يحق كساد الشعر في كل موطن إذا نفقت هذي العروض الكواسد⁽⁴⁾

«وعلى الجملة، كان أبو العلاء أديبا ولكنه يمقت أخلاق الأدباء ويذمها ويطهر نفسه منها، فلا يفسق ولا يدعو الى فسق، يقول:

^{(&}lt;sup>1)</sup> أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج1،ص :114-115.

^{(2) -} سميرة سلامي: الاغتراب في الشعر العباسي القرن الرابع الهجري، ص: 172.

^{(3) -} أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج1، ص: 153.

⁽⁴⁾⁻أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج1،ص: 209.

الفصل الثالث:

إلى المين إلا معشــر أدبــاء ⁽¹⁾

وما أدب الأقوام في كل بلدة ويقول أيضا:

خيرا وأن شرارها شعراؤهـــا⁽²⁾

فرقا شعرت بألها لا تقتـــــني

« وهكذا لقد اضطرب كل شيء في نظره اضطربت مقاييس الحياة واختل النظام، و لم يعد ينظر الى الحياة إلا هذه النظرة السوداء البغيظة التي فيها حيوط فلسفته التشاؤمية»(3).

وكان للنساء أيضا، نصيب وافر من ذم المعري ونقده وأكثر ما كان يثير نقمته عليهن، ما شاع بينهن من تبرج وغواية وغدر وحيانة للأزواج يقول:

هن يضيع الشرف التليد⁽⁴⁾

ألا إن النساء حبال غــــى

ويقول:

يرى العين منها حليها وخضاها وحاول رضاها واحذرن غضاها من الغار إذ تسقى الخليل رضاها أقل الذي تجني الغواني تبــــرّج فإن أنت عاشرت الكعاب فصادها فكم بكرت تسقى الأمر حليلــها

وقد ذهب المعري الى أبعد من ذلك حين أقر بأن مجيء البنت فيه بؤس وشقاء ليس منه فائدة ودفنها أحسن من عيشها يقو ل:

وإن تعط الإناث فأي بــؤس يردن بعولة ويردن حليـــا ولسن بدافعات يوم حــرب ودفن والحوادث فاجعـات

فهي مصدر فتنة يتعرض لها الرجل يقول:

ولا ترجع بإيماء سلاما ألات الظلم جئن بشر ظلم

تبين في وجوه مقسمات ويلقين الخطوب ملومات ولا في غارة متغشمات لاحداهن إحدى المكرمات

على بيض أشرن مسلمات وقد واجهنا متظلمات

⁽¹⁾⁻أبو العلاء المعري:اللزوميات، ج1، ص: 157.

^{(2) –} طه حسين:أبو العلاء المعري حياته وشعره، ص: 63.

^{(3) -} أبو العلاء المعري : اللزوميات : ج1 ، ص : 43.

^{(&}lt;sup>4)</sup> -ابن العديم :أبو العلاء المعري، ص: 187.

^{(&}lt;sup>5)</sup>-سميرة سلامي: الاغتراب في الشعر العباسي القرن الرابع الهجري، ص:172.

⁽⁶⁾⁻ أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج1،ص: 83.

ومواطن الزلل بين الرجل والمرأة كثيرة جدا وكلها ترجع الى الاختلاط، فقد ألح في ألا يدخل عليها من المعلمين إلا الشيخ الفاني أو العجوز الهالك يقول:

ليأخذن التلاوة عن عجـــوز يسبحن المليك بكل جنـــح فما عيب علي الفتيات لحـــن ولا يدنين من رجل ضريــر سوى من كان مرتعشا يــداه

ولو اجتمعت النسوة للعبادة واعتكفن في المساجد لأمكن أن يكون اجتماعهن من أسباب الغواية يقول:

أمانا من غوارر مجرمــــات⁽³⁾

وليس عكوفهن على المصلى

ولذلك ولخطورة هذا الاختلاط أفصح أبو العلاء بمنع المرأة من الاختلاط بالأجانب، وأن تشغل نفسها بإدارة شؤون بيتها، وبأن تقوم بالعبادة وبغزل الصوف إن وحدت فراغا، أما العلم فلا حاجة لها به إلا القليل منه كأن تتعلم سورتين قصيرتين من سور القرآن تتلوها في صلاتها، وأما ما فوق ذلك فهو خطر عليها يقول في تائيته:

ولا تحمد حسانك إن توافــــق فحمل مغـازل النســوان أولى سهام إن عرفن كتـاب لســن إلى أن يقول:

بأيد للسطور مقومات هن من اليراع مقلمات رجعن بما يسوء مسمّمات (4)

⁽¹⁾⁻ أبو العلاء المعري:اللزوميات، ج1، ص: 161.

^{(2) -} أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج1،ص:156.

⁽³⁾⁻طه حسين : المجموعة الكاملة ، ص: 09.

⁽⁴⁾ أبو العلاء المعري: اللزوميات :ج1 :ص : 159

علمّوهن الغزل والنسج والرد ن وخلو كتابة وقراءة فصلاة الفتاة الخمد والإخلاق الفتاة وقاداً

وهو يوصيها بالزواج مع أنه يكرهه، فزواجها صيانة لها من الزلل فيقول:

وما حفظ الخريدة مثل بعــــل تكون به من المتحرمـــات يحوط ذمارها من كل خطـــب ويمنعها مصاعب مقرمـــات (2)

فذمه للنساء وكرهه لهم بجعله يكره الارتباط بهم فهذا ما جعله ينفصل عنهن وينعزل ولا يفكر بالزواج بإحداهن.

وعموما جميع البشر عنده سواء في الفساد وقبح الطباع لأنهم ثمرة فساد وهكذا فكل حي فوق الأرض ظالم وشرير وكاذب والأجدر بالعاقل أن لا يتزوج، أو أن يقترن بامرأة عقيم، لأن النسل جناية الآباء على الأبناء فتراه يقول:

« لكن هجوم أبي العلاء على النساء، لم يكن أعنف من هجومه على باقي البشر، وهن لسن إلا فئة من الناس الذين شك أبو العلاء في إمكانية العثور على إنسان طاهر بينهم:

أيوجد في الورى نفر طهـــارى أم الأقوام كلهم رجــوس (4)

« لكن ما رآه منهم من فساد عام وشامل جعل حيرته وشكه لا يدومان طويلا فأطلق صيحته التي تنفي وجود الإنسان الجيد بين البشر يقول:

قالو: فلان جيد لصديقـــه لا يكذبوا ما في البرية جيــد (5) وقال:

⁽¹⁾⁻ طه حسين : المجموعة الكاملة ، ص :308.

⁽²⁾ عائشة عبد الرحمن: مع أبي العلاء المعري في رحلة حياته، ص: 270.

⁽³⁾⁻ سميرة سلامي:الاغتراب في الشعر العباسي القرن الرابع الهجري، ص: 173.

^{(&}lt;sup>4)</sup>- أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج2،ص:462.

⁽⁵⁾ عائشة عبد الرحمان: مع أبي العلاء المعري في رحلة حياته ،ص: 270، وسميرة سلامي: الاغتراب في الشعر العباسي القرن الرابع الهجري، ص: 173.

لو غربل الناس كما يُعدموا سقطا لا تحصل شيء في الغرابيل لو غربل النار خُصِّي من جني أكلت أجسادهم وأبت أكل السرابيل (1)

« وهكذا تحول المحتمع بطوائفه وطبقاته أمام أبي العلاء الى غرفة تشريح وتحول الناس بين يديه الى مرضى يريد أن يكشف عما في أعماقهم من أدواء وعلل لا ليشفيها ويلتمس لها الدواء، ولكن ليثبت رأيه في فساد المحتمع وأنه لا أمل في إصلاحه وعلاجه

داء هذا الأنام لا يقبل الطب وقدما أراه داء نجسيا (2)

وعلى الجملة، الناس على اختلاف أشكالهم وأجناسهم وألوالهم هم أنحاس في نظر المعري إذ يقول:

شر أشجار علمت بها شجرات أثمرت ناسا هلت بيضا وأغربه وأتت بالقوم أجناسا كلهم أخفت جوانحه ماردا في الصدر خناسا في الصدر خناسا ألم تسق عذاً ولا أرجًا بال أذيات وأدناسا (3)

ويقول:

وجوهكم كلف وأفواهكم عدى وأكبادكم سود وأعينكــــم زرق(4)

فهو هنا يذم أهل عصره عامة ويرى الشر متأصلا، في نفوس البشر مذ خلقوا فقد ورثوه عن جدهم القديم يقول:

في كل نفس منه عرق ضارب⁽⁵⁾

إلى دناياه والأهواء أهـوال(6)

شیئا سواه فلیس خیم نحار $^{(7)}$

والشر في الجد القديم غريزة ويؤكد أن الشر طبع في الإنسان خلق معه:

الشر طبع ودنيا المرء فائــــدة

ويقول:

والشر في طبع الأنام فان يبن ويقول أيضا:

⁽¹⁾ أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج2،ص: 667.

⁽²⁾ يوسف خليف:في الشعر العياسي، منهج جديد، ص

^{(3) -} أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج2،ص: 465.

^{(&}lt;sup>4)</sup> - أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج2، ص: 559.

^{(&}lt;sup>5)</sup>- أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج1، ص :76 .

⁽⁶⁾⁻ أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج2،ص: 619.

⁽⁷⁾- أبو العلاء المعري:اللزوميات، ج1،ص: 390.

الفصل الثالث:

والشر في الخلق طبع لا يزايله فقس على خزر في العين أو نجل(1)

ويؤكد أنه غرس من قابيل وهابيل، فما كانت الجريمة إلا بسبب الشر الذي فطر عليه أبوهما فيقول:

مضى الزمان ونفس الحي مولعـــة بالشر من قبل هابيـــل وقابيل (2).

ولذلك انتشر الشربين الناس وقد صوره المعري بقوله:

والشرحم ومن تسلم له إبــل من غارة الجيش يتركها لخــــرّاب(٥).

وهكذا فقد أدرك أبو العلاء المعري أنّ الهوة عميقة بينه وبين أهل زمانه، بين إنسان حر التفكير، عزيز النفس، رقيق المشاعر والأحاسيس وبين مجتمع بات فيه الشر متأصل، فمعاناته هاته جعلته يغترب عنهم وينأى، وهذا ما كان واضحا في اغترابه عن أهل زمانه المتمثلين في أهل الدين والنساك والأدباء والشعراء إضافة الى ذم النساء والدجالين الذي لمسنا معاناته منهم وذمه لهم.

وبالاستناد الى الإحصاء دائما إذا ما تتبعنا ديواني المعري المتمثلان في كل من سقط الزند واللزوميات ، نجد بعض الكلمات التي ترددت كثيرا من خلال أشعاره مثل، مارد، مغرور رياء وغيرها من الكلمات المعبرة عن مدى سخط وذم المعري لهؤلاء الفصائل من الناس المتمثلين في أهل الدين والأدب والنساء والدجالين.

2- الاغتراب عن قيم المجتمع وعاداته وأعرافه السائدة:

« في مجتمع القرن الرابع الهجري، اختلت الموازين وكثرت الالتواءات فتبدلت الأعراف وانحرفت القيم الأخلاقية والاجتماعية، وطغت عليها القيم الفاسدة والعادات الشاذة والغريبة، وأصبح من لم ينجرف مع تيار العصر ينظر حوله، فلا يرى إلا مظاهر التناقضات التي تدعو الى العجب، حتى ليحس أن العقل عبئ على صاحبه وأن الصدق مذمة يؤاخذ عليها، وأن الجهر بالحقيقة اعتداء، وأن الاستقامة في القول والعمل انحراف ما بعده انحراف ، وكما شعرت النفوس النبيلة الأصيلة بالاغتراب عن الناس الذي عمهم الفساد من كل صوب كذلك كان الأمر بالنسبة لآفات الوضع الاجتماعي وعيوبه، فهذا شاعر المعرة الكبير أبو العلاء ينتقد ما أصاب مجتمعه من اختلال في القيم بلهجة مليئة بالحزن والتشاؤم واليأس » (4) لذلك نحده يقول:

فقد فُقدَ الصدق ومات الهـــدى واستحسن الغدر وقل الوفاء

⁽¹⁾⁻ أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج2، ص: 664.

^{(2) -} أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج2، ص: 667.

^{(3) -} أبو العلاء المعري:اللزوميات، ج1، ص: 111.

^{(&}lt;sup>4)</sup>- سميرة سلامي: الاغتراب في الشعر العباس القرن الرابع الهجري، ص: 174.

أن الردى مما عناه الشفاء(1) واستشعر العاقل في سقمــــه

لقد كره المعري الحياة ولم يجد لها أي معنى خاصة وأنها في عالم يخجل الإنسان فيه من الهدى فيستره ويفاحر بالضلال والغي فيعلن عنه ويرتكبه.

ويقول المعري:

أمّا الهدى فوجدنه ما بينـــنا سرا ولكن الضلال جهــارا! (٠٠٠٠

ولا شك أن سوء الحالة الاجتماعية مرتبط بسوء توزيع الثروة، أو بالمعنى الأصح بسوء الحالة الاقتصادية ⁽³⁾ .

ويحدثنا باحث مدقق عن واقع ذلك العصر الاقتصادي فيقول: كان المال وفيرا كثيرا، والترف والنعيم أقصاه في بلاط الخلفاء وقصور الأمراء والخاصة، أما الشعب فأكثره بائس فقير.

ثم نراه يضيف: « كان هناك طبقتان متميزتان كل التمييز، فالخليفة ورجال دولته وأهوالهم وأتباعهم طبقة الخاصة، وهم عدد قليل بالنسبة لمجموع الأمة، وبقية الناس وهم الأكثر طبقة العامة من علماء وتجار وصناع ومزارعين ورعاع، وأغلب هؤلاء فقراء إلا من اتصل منهم بالخلفاء والأمراء »(4) وقد أشار المعري الى ذلك التناقض الصارخ في توزيع الثروة فقال:

يعرى الفقير وبالدينار كسوتـــه وفي صواتك ما إعداده خــوف (5) .

ويصف لنا حالة الفقير وبؤسه، فيقول:

والأرض تغلق دونه أبوابـــها ويرى العداوة لا يرى أسباجك هشت إليه وحركت أذنابجا نبحت عليه وكشرت أنياهها⁽⁶⁾ يغدو الفقير وكل شيء ضــــده فتراه محقوقا وليس بمذنب حتى الكلاب إذا أرادت ذابزة وإذا رأت يوما فقيرا بائسا

⁽¹⁾⁻ أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج1، ص: 54.

^{(2) -} أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج1،ص: 314.

⁽³⁾⁻ ينظر سناء حضر: النظرية الخلقية عند أبي العلاء المعري بين الفلسفة والدين، ص: 41.

⁽⁴⁾ عبد القادر زيدان: قضايا العصر في أدب أبي العلاء المعري، ص: 182.

^{(5) -} أبو العلاء المعري:اللزوميات، ج2، ص: 543.

⁽⁶⁾⁻ مصطفى صالح كشاف :مصادر دراسة أبي العلاء المعري، مطبعة العلم، دمشق، 1978، ص: 326.

الفصل الثالث:

فالفقير إذن له تأثير كبير على نفسية الإنسان « وقد استعان الباحثون بعلم النفس وهم يتحدثون عن عقدة الفقر، وكيف يكون تأثيرها على الأفراد ودفعها إياهم بحثا عن الطريق الى الثراء، في محاولة لتحقيق نوع من المساواة النسبية تبعا لما يحققون من ثروة تأتي بها غزواهم المستمرة $^{(1)}$.

وقد شعر أبو العلاء المعري بالظلم في توزيع الثروات، ويفسر مشاهد الظلم بقوله:

غنى زيد يكون لفقر عمرو وأحكام الحوادث لا يقسنه (2)

«فالخيرات التي تنتجها الأرض وتنتجها الحضارة، كلها محصورة لا يمكن أن تتفاوت حظوظ الناس منها إلا إذا كان الظلم مصدر التفاوت فإذا ظفر زيد بالغني، فلا بد أن يضطر عمرو إلى الفقر، وهو يكره هذا الظلم فيقول»:

> ولو أطعت لما فاؤوا بأجلاب(3) والظلم عندي قبيح لا أجــوزه

والأغنياء بخلاء مغتصبون لحقوق الفقراء، والناس مع ذلك يجلونهم ويعظمونهم:

طود الضني بإعطاء المثاقيل ولوعاهم فقير ما أجابــوه(4)

وفي المعاشر من لو جاز من ذهب أجلوا مكثر وتنصفوه وعابوا من أقل وأنبوه لبي الغني بنو حــواء من طمــع

ومعظم الناس عند المعري غير عادلين، أو غير منصفين، لا يعطون صاحب الحق حقه، أو يبالغون في الثناء على من لا يستحق، لقد ضاق بأمثال هؤلاء واشتاق الى بشر يعطون الحق لأصحابه يقول:

> أذكر فيه بغير ما يجبب م وبيني وبينه احجب قوم فأمري وأمرهم عجب⁽⁵⁾

من لي أن أقيـــم في بلــــد أقررت بالجهــل وادعى فهمــي

وقد انتشرت في هذا العصر بعض القيم كنقص الثقة في المجتمع _ بحسب رأي المعري _ فوجود إخوان الثقة صعب كصعوبة رجوع الصبا بعد الشيب يقول:

بأعوز من أخى ثقة يفــــاد⁽⁶⁾

وليس صبا يفاد وراء شيبب

⁽¹⁾⁻ عبد القادر عبد الحميد زيدان: التمرد والغربة في الشعر الجاهلي، ص: 113.

^{(2) -} أبو العلاء المعري:اللزوميات، ج2، ص: 794.

⁽³⁾– سميرة سلامي:الاغتراب في الشعر العياسي القرن الرابع الهجري، ص: 179،و أبو العلاء المعري:اللزوميات، ج1، ص: 109.

^{(&}lt;sup>4)</sup> يوسف خليف: في الشعر العباسي نحو منهج جديد، ص: 182.

⁽⁵⁾– أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج1، ص : 78– 79.

^{(6) -} أبو العلاء المعري: سقط الزند، ص: 64.

لفصل الثالث:

ويقول:

عصا في يد الأعمى يروم بها الهدى أبرله من كل خدن وصاحب $^{(1)}$

فمعرفته بإنسان عصره وصلت به الى حد فقدان الثقة الذي عبر عنه بهذا القول.

وانتشرت الغيبة في المجتمع وقد أعابها المعري في خطابه مع من يعتابه هو شخصيا فيقول:

رويدك أيها العاوي ورائىي لتخبرني، متى نطق الجماد⁽²⁾

فيقول في هذا البيت، أيها العاوي ورائي كما يعوي الكلب خفف من عوائك وأخبرني متى حرت العادة بأن ينطق الجماد فتكون من الناطقين، ومتى تكلم الأموات فتكون من المتكلمين.

كما ساد في هذا العصر الجهل كثيرا حتى أصبح الناس يصدقون ما ترفضه العقول:

قد صدق الناس ما الألباب تبطله حتى لظنوا عجوزا تحلب القمرا

أناقة هو أم شاة فيمنحها عسا تغيث به الأضياف أو غمرا (3)

« ولعل أقوى صور الاغتراب التي نلمحها عند أبي العلاء صورة اغترابه الفكري وهذا أمر بديهي بالنسبة لمفكر كأبي العلاء، كان دائما يحتكم الى العقل في كل ما يناقش من قضايا وأفكار جاءت بها الرواية من زمن سالف، تقبلها معاصروه بلا مناقشة أو تمحيص أو رؤية للحياة أفرزها عصره المضطرب فجاءت هي كذلك أكثر ما تكون من الاضطراب

> لقد صدئت أفهام قوم فهل لها صقال ويحتاج الحسام الى الصقل وكم غرّت الدنيا بنيها وساءني مع الناس مين في الأحاديث والنقل (4)

« فالمعري يؤمن بقدرة العقل على الإبداع المتجدد بتجدد الحياة ويسخر من أولئك الذين يقولون في كل زمان، ما ترك الأول للآخر شيئا، وقد عبر عن إيمانه هذا بقوله:

إني وإن كنت الأخير زمانـــه لأت بما لم تستطعه الأوائـــل (5)

ويشير إلى المقلد الذي يعتمد النقل دون العقل فيقول:

^{.101} أبو العلاء المعري:اللزوميات، ج1، ص $^{(1)}$

^{(&}lt;sup>2)</sup>- أبو العلاء المعري:سقط الزند، ص: 65.

⁽³⁾ أبو العلاء المعري:اللزوميات، ج1، ص:335.

⁽⁴⁾– عبد القادر زيدان: قضايا العصر في أدب أبي العلاء ، ص :187،أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج2،ص: 653...

⁽⁵⁾ عائشة عبد الرحمن: مع أبي العلاء في رحلة حياته، ص:58، وينظر أبو العلاء المعري: سقط الزند، ص:66 106

الفصل الثالث:

في كل أمرك تقليد رضيت بــه حتى مقالك ربي واحد أحــد (1)

« فلا شك أن يغترب أبو العلاء وصفه صاحب منهج في الحياة، يقوم على العقل ويهتدي به كل أمر عن أناس غلبت عليهم طباعهم ورغباتهم، فصاروا أسرى لهذه الطباع، تقودهم الى حيث تريد كما تقاد وتسحب بهيمة الأنعام

إذا ما أشار العقل بالرشد جرهم إلى الغي طبع أخذه أخذ ساحب(2)

« وعندما يغيب العقل، وتصاب الذات الإنسانية بهذا القدر المدمر من التسطيح والضياع، تتكشف لنا أزمة الإنسان المفكر، فنراه شقيا باغترابه، شقيا بفشله من العثور بمن يتفهم لما يقول: حتى نراه يلتزم الصمت فيما التزم من أشياء:

رأيت سكويني متجرا فلزمتك إذا لم يفد ربحا فلست بخاسر (3)

والمتفحص في أفكار أبي العلاء يراه غريبا متفردا في نظرته للمجتمع، ناقدا لكل ما يتخبط فيه أهل زمانه من فساد في العقائد والملل، وإهمال لفرائضه وسخرية من تعاليمه وقيمه الروحية وهذا ما يعكسه ديوانه اللزوميات فهو يقول متلهفا على ما أصاب الدين من اضمحلال وذمور يقول:

 ففي على ليلة ويـوم
 تألفت منهما الشهـور

 وألفيا عنصـريْ زمـان
 ليس لأسراره ظهـور

 قد أصبح الدين مضمحلا
 وغيرت آية الدهـور

 فلا زكـاة ولا صيـام
 ولا صـلاة ولا طهـور (٤)

« وفي هذه الأبيات أيضا، شكوى مما شاع في عصره من بغاء، ومجون ودعارة ويسخر أبو العلاء المعري سخرية لاذعة مما شاع في مجتمعه من إيمان بالأوهام والخرافات، وتصديق الأقاويل السخيفة التي تجعل للنجوم والكواكب تأثيرا كبيرا على الناس في سعدها ونحسها يقول:

تشاءم بالعواطس أهل جهل وأهون إن خفتن وإن عطسنه وهان على الفراقد والثريا شخوص في مضاجعها درسنه

^{(1) -} أبو العلاء المعري : اللزوميات ، ج1 ،ص :218.

⁽²⁾ عبد القادر زيدان: قضايا العصر في أدب أبي العلاء، ص:189، وأبو العلاء المعري: اللزوميات، ج1، ص:101.

⁽³⁾⁻ عبد القادر زيدان: قضايا العصر في أدب أبي العلاء، ص: 189،وأبو العلاء المعري: اللزوميات ،ج1،ص: 359.

⁽⁴⁾⁻ أبو العلاء المعري : اللزوميات ، ج1 ،ص :295.

وما حفلت حضار و لا سهيل بأبشار يمانية يد سنده (1)

وفي أمكنة أخرى يوجه نقده وسخريته أيضا الى ما عرف في مجتمعه من إيمان بالتنجيم يقول:

ومرآة المنجم وهي صغرى أرته كل عامرة وقفر (2)

« فقد أنكر أبو العلاء هذه الحياة من حوله، ودعا الى إصلاح المجتمع وتغيير المنكر فيه» ($^{(3)}$ وهذا ما حسده ديواناه اللذان يعكسان اغترابه عن مجتمعه وقيمه وعاداته، فوحدنا فيه نغمة التلهف والتحسر والشكوى، كما وحدنا السخرية والرفض والثورة على هذه الأوضاع وهذا التناقض الحاصل في الحياة الاحتماعية والاقتصادية « فإذن كان طبيعيا، وهذا حال عصر أبي العلاء، أقل "زمانه " أن نراه يعاني من اغترابه فيه، ونقول فيه لأنه لم يشأ أن يرحل عنه الى بلاد غير بلاده ومن ثم كانت معاناته الدائمة وعذابه المقيم، كما جاء في قوله :

إنّ زماني برزاياه لي صيري أمرح في قده (4)

« وأيًّا كانت نوعية ذلك المرح المقيد، أو القيد كان طبيعيا أن يغترب أبو العلاء وأن يحدثنا عن صور اغترابه التي هي في حقيقتها إدانة لعصره، وكشف عما به زيف وانحطاط »(5).

وعلى اعتبار أن الإحصائيات التي قمت بها في هذا الموضوع لدوانيه سقط الزند و اللزوميات غالبا ما تتعدى الكلمة مثلما قال (عبد الكريم حسن): « لا تقود الى حقائق نهائية، فالموضوع يتعدى الكلمة غالبا بشموليته وامتداده »(6) فإننا نكتفي هنا ببعض الكلمات التي ذكرت في ديوانيه بشأن هذا الموضوع وترددت كثيرا منها مثلا: شر، غواة، رياء، حيلة، مكر، لؤم، ذباب، ذئاب، بؤس، داء، أدناس، أذيات، دنايا، ضلال، كلاب، ظلم، جهل، الغي العاوي، رياء، مغرور، مارد وغيرها من الكلمات المستعملة في كلام المعري ومن العبارات نجد مثلا: حين بشر، أم الأقوام كلهم رحوس، لا يكذبوا ما في البرية من حيد، فقد فقد الصدق ومات الهوى داء هذا الأنام لا يقبل الطب، استحسن الغدر وقل الوفاء، شر أشجار علمت بها شجرات أثمرت ناسا، بل وجوههم كلف وأفواههم عدى، وأكبادهم سود وأعينهم زرق.

⁽¹⁾⁻سميرة سلامي ،الاغتراب في لشعر العباسي القرن الرابع الهجري ،ص :180-181،و أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج2،ص :796.

^{(2) -} أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج1،ص: 375.

⁽³⁾⁻ مصطفى البشير قط:قراءات في النقد والأدب، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ط1، 2008، ص :82.

⁽⁴⁾⁻عبد القادر زيدان: قضايا العصر في أدب أبي العلاء، و أبو العلاء المعري: سقط الزند، ص:207.

⁽⁵⁾ عبد القادر زيدان: قضايا العصر في أدب أبي العلاء، ص: 187.

⁽⁶⁾⁻ عبد الكريم حسن:المنهج الموضوعي نظرية وتطبيق ، ص:51.

إذن – وحسب ما يلاحظ – أن هذه الكلمات وهذه العبارات كلها تعكس نظرة المعري الى من حوله وهي نظرة كلها تشاؤم وحيرة خاصة وألهم في نظره ما هم إلا وشاة ومكرة يميزهم الظلم والجهل واللؤم والشر والغد.

فالمعري ولأنه وحد صورا مختلفة في مجتمعه تعكسها تصرفات الناس من حوله كالجهل والظلم والفساد والانحلال الخلقي والشرك إضافة الى نقص الثقة والفقر اللذين سادا بدرجة كبيرة في المجتمع كل هذه التصرفات والسلوكات جعلت المعري يعتزل المجتمع مخافة أن تلتصق هاته السلوكات به وتجعله واحدا من مجتمعه، فهروبه واضح من خلال أشعاره فهو يحاول دائما أن ينعزل عنهم وأن لا يبدو مثلهم في تعامله مع الناس وفي تصرفاته التي يحرص من دون شك على تحصينها من كل الآفات وتهذيبها إن أخطأت فاغترابه عن قيم مجتمعه وعاداته السائدة واضحة من خلال ديوانيه سقط الزند واللزوميات وهذا ما عمدنا إلى تفسيره فيما سبق عن طريق الإحصاء الذي أحرى حول شعره.

3- الاغتراب السياسى:

لقد عاش شاعرنا - أبو العلاء المعري - في عصر سادت فيه الإظطرابات والفتن فكانت فترة السوداء « تصدعت فيها السيادة على مذبح الشهوات التي كانت تضطرم في صدور المتغلبين من الديلم ومن إليهم من الأعاجم المتسلطين لقد فسدت الحياة السياسية وفسدت الحياة الاجتماعية حتى أصبحت البلدان العربية، وكألها على بركان، دول مختلفات المنازع والأهداف قد انتثرت في الرقعة الإسلامية الكبرى، نزعات فردية في إهاب من المطامع الصارخة، تجيش في كل صدر، جمعيات سرية تستهدف غابات مريبة مذاهب جديدة هدامة ترمى الى نزعات سياسية خطيرة »(1).

فهذا الفساد وهذا الانحلال الخلقي والتحلل من المعايير والاظطرابات في الأوضاع والقيم الإنسانية هي كلها صفات ومميزات لذلك العصر الذي عاش فيه المعري، وقد تحسد أكثر ما تحسد في الملوك والأمراء والوزراء والولاة وغيرهم من رجال الدولة الذين مارسوا أبشع الطرق المتمثلة في الظلم والجور والإستغلال للرّعية ،حيث أدى الى حدوث هوة كبيرة بين الحاكم والناس وكان لابد للشعب الذي ذاق الأمرين من ظلم حكامه، ورآهم ينغمسون في الرذيلة من أن يفقد ثقته بمؤلاء الحكام وأن يعلن بالتالى سخطه العنيف على سياسة الدولة(2).

وقد عبر شعراء العصر العباسي عن اغتراهم السياسي بأساليب مختلفة وطرق شتى وهذا ما نجده عند أبي العلاء المعري، فهو « أديب حساس وشاعر عميق التفكير وفيلسوف حُرْد ونظرة نافذة، رأى

⁽¹⁾⁻ ابن العديم: أبو العلاء المعري، ص: 166.

⁽²⁾ _ينظر سميرة سلامي:الاغتراب في الشعر العباسي القرن الرابع الهجري، ص: 181.

القصل الثالث:

وطنه نهبا للأهواء والشهوات ورأى البلاد العربية وقد انتهت الى ما انتهت إليه من الضعف والاضطراب والفوضى، بديهي أن يؤثر ذلك في أدبه، وأن تشيع روح السخرية في هذا الأدب وأن يقسو قسوة مرة على من يظهرون بصور من ملائكة الرحمان بينما هم أبالسة »(1) إنّهم الحكام والساسة، الذين يخدعون الناس بأقوالهم وأساليبهم.

فالمعري له رأي واضح في السياسة، يظهر من حراء قوله:

وإذا الرئاسة لم تعن بسياس_ة عقلية خطئ الصواب السائس(2)

فالسياسي يجب أن يمتلك عقلا كبيرا يسير به أمور الدولة لكي تكون سياسته صائبة وعادلة، ولكن هذا لم يتوفر في رجال الدولة وحكام عصره، هذا ما عمّق اغترابه عنهم وجعله يتأفف منهم.

فهو يقول:

يسوسون الأمور بغير عقــــل فينفذ أمرهم ويقال: ساسة فأف من الحيـــاة وأف مـــني ومن زمن رئاسته خساسة (3)

فلو حكموا عقولهم لميزوا بين الباطل والحق ولميزوا بين الظلم والعدل وأكثر شيء كان يثير سخط المعري هو ظلم الحكام واستغلالهم للرعية وتحميلهم للضرائب والمكوس والغرامات بسبب وبدون سبب فهو يقول في ذلك:

ورأى ملوكا لا تحوطه رعية فعلام تؤخذ جزية ومكوس (4)

فالملوك أصبحوا عبيدا لشهواهم، أما الشعب الضعيف فتفرض عليه هذه الغرامات وتسلط عليه الديون من كل صوب يقول:

> وجدت الناس في هرج ومررج فشأن ملوكهم عزف ونزف

> > ويقول:

للذات النفوس عبيد قـــن⁽⁵⁾

غواة بين معتزل ومرجــــــــى

وأصحاب الأمور جباة حرج

أتعجب من ملوك الأرض أمسوا

 $^{^{(1)}}$ ابن العديم: أبو العلاء المعري، ص $^{(1)}$

^{(2) -} أبو العلاء المعري:اللزوميات، ج2،ص: 464.

^{(3) -} أبو العلاء المعري:اللزوميات، ج2،ص: 466.

^{(4) -} أبو العلاء المعري:اللزوميات، ج1، ص

^{(&}lt;sup>5)</sup>- ابن العديم: أبو العلاء المعري، ص: 177.

الاغتراب الاجتماعي والسياسي في شعر المعري

الفصل الثالث:

فهذه الأوضاع التي عرفها الناس في هذا العصر من انحلال وفقر وغرامات جعلت المعري يفكر في الهجرة لأي بقعة أخرى تخلوا من هذا الفساد ولكنه لم يجد حلا لهذا المأزق الذي تورط فيه من دون قصد فكل البلدان العربية تقريبا تعاني ما يعانيه المعري في بلده يقول:

كيف التخلص والبسيطة لجـــة والجو غيم بالنوائب يسجـم فسد الزمان فلا رشـاد ناجــم بين الأنام ولا ضلال منجم

ولأن الشاعر لم تتح له فرصة الهروب إلى بلاد أخرى، لجأ الى اعتزال الناس ولزوم بيته والاكتفاء بالنظر من بعيد لجوانب الحياة حاصة منها الاجتماعية والسياسية، هاته الأخيرة التي خضعت الى ذم ومهاجمة كل شيء فيها بداية من الحكام الى سياستهم المتبعة فهو يقول عن هذه الحياة السياسية المضطربة:

مل المقام فكم أعاشر أماة أمرت بغير صلاحها أمراؤها ظلموا الرعية واستجازوا كيدها فعدوا مصالحها وهم أجراؤها (2)

ويقول:

أن المعاشر ما اهتدت لصواها⁽³⁾

ويقول عن فقدان العدل:

- فظالم آخذ مالا یحـــل لـــه ومنصف ظل فیهم لیس ینتصف (⁴⁾
- أرى حلبا حــازها صـــالح وجال سنـــان على جلقـــا(⁵⁾

فقد خانوا الأمانة ولم يقوموا بواجبهم تحاه رعاياهم:

يجوز فينفى الملك هن مستحقه فتسكب أسراب العيون الدوامع في الملك هن مستحقه فيفترض أن يكون الحكام خير قدوة، وهذا ما طمح إليه المعري، ولكن عصره كان حافلا بالحكام الذين هم شر قدوة يقول:

يضرب للناس شر سكـــه⁽⁷⁾

بكل أرض أمير سروء

 $^{^{(1)}}$ ابن العديم:أبو العلاء المعري ، ص: $^{(1)}$

^{(2) -} أبو العلاء المعري : اللزوميات، ج1، ص: 43 .

⁽³⁾⁻ سناء حضر: النظرية الخلقية عند أبي العلاء المعري بين الفلسفة والدين، ص: 40.

^{(4) -} أبو العلاء المعري:اللزوميات، ج2، ص: 542.

^{(&}lt;sup>5)</sup>- أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج2، ص: 576.

^{(6) -} أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج2، ص: 533.

⁽⁷⁾-أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج2، ص: 598.

الفصل الثالث:

« فطبيعي أن نرى المعري ينتقد سياسة الحكام ويدعوا الى العدل والإنصاف، ويسخط على الظالمين وهو الذي رأى وطنه نهب للأهواء والشهوات، ورأى بلاده تتخبط في مشاكل لا نهاية له»ا (¹).

فقد قسى على الملوك والأمراء وانتقد سياستهم خاصة بعدما وجد أن هؤلاء الحكام لا هُّم لهم سوى تحقيق المتعة واللذة، فهي شغلهم الشاغل يسعون دائما الى الوصول إليها عن طريق الخمر والعبث بالنساء وغيرهم من الوسائل المستعملة في تحقيق مثل هاته الأمور يقول:

ملوكنا الصالحون كلهم زير نساء يهش للزيرة (2)

كما وجه نقده وسخطه لأولئك الذين تبعوا القضاة وساروا مثلهم فقبلوا الرشوة وجاروا في أحكامهم ويسميهم بالعدول فيقول:

> وفي الجوامـع والأسواق خراب جار واسم أولاك القوم أعراب $^{(3)}$

في البدو خراب أذواد مسومـــة

و يقو ل:

عدول هم ظلم الضعيف سجية يسمون أعراب القرى والجوامع (4)

« وقد تأثر أبو العلاء من غير شك بالمذاهب المختلفة القائمة في عصره، فدرسها وجادل فيها، ولكنه لم يستق منها لنفسه إلا خلاصتها وأدناها الى مزاجه »(⁵⁾ فقد سئمت نفسه هذه المعارك والمنازعات التي كانت تقوم بين أصحاب هذه الفرق إذ « كان يرى في هذه المذاهب الشائعة التي سادت عصره وسيلة للسيطرة والحكم فما كان أصحابها ليقصدون المثل العليا في مذاهبهم التي ابتدعوها ودعوا إليها»(6) لذلك لم ينحاز الى أحد « ولم يمالي أحدا لقد اتّهم جميع السياسيين بالجور والمكر بغية جلب الدنيا إليهم، يستوي في ذلك الحاكم السني والإمام الشيعي وزعماء الحركات الثورية كصاحب الزنج وزعيم القرامطة .

> العمر والجور شأنكم في النساء ناطق في الكتيبة الخرساء

يا ملوك البلاد فزتم بنسيئ يرتجي الناس أن يقوم إمـــام

⁽¹⁾⁻سناء خضر: النظرية الخلقية عند أبي العلاء المعري بين الفلسفة والدين، ص: 39.

^{(2) -} أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج1، ص: 348.

^{(3) –} أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج1، ص: 70.

^{(&}lt;sup>4)</sup>- أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج2، ص: 533.

⁽⁵⁾⁻ سناء حضر: النظرية الخلقية عند أبي العلاء المعري بين الفلسفة والدين، ص: 40.

⁽⁶⁾- ابن العديم:أبو العلاء المعري، ص 179. سميرة سلامي، الاغتراب في الشعر العباسي القرن الرابع الهجري، ص: 186.

مشيرا في صبحه والمساء مة عند المسير والإرساء ب لجذب الدنيا إلى الرؤساء (1)

فإذن المنطلق واحد عند جميع السياسيين في البدء يطلقون الشعارات التي ترفع من معنويات الشعب يعدون بالعدل والمساواة وإعطاء الحقوق وتلبية كل المتطلبات وما إن يصلوا الى الحكم حتى ينقلبوا رأسا على عقب، ولذلك يقول المعري لا يوجد إمام للناس يمكن الاطمئنان إليه سوى العقل الذي يميز به بين الخير والشر وبين الظلم والعدل، ولكنه يبقى مجيء هذا الإمام ليرفع الغبن ويأتي بالعدل فيقول:

متى يقوم إمام يستقيد لنـــا فتعرف العدل أجبال وغيطان (2)

« لقد شعر أبو العلاء بأن الأرض ملئت جورا و لم ير حاكما، في زمنه استطاع تحقيق العدل، فيئس من الساسة في كل زمان ومكان، وعند جميع الأقوام والأجناس، ورأى ألهم شر الناس، وهكذا نجد أن ما رآه أبو العلاء من فساد وانحلال في الحياة السياسية في القرن الرابع لم يؤد فقط الى إحساس بالاغتراب عن حكام عصره بل جعله يكره الطبقة الحاكمة والزعماء السياسيين في كل زمان ومكان $^{(8)}$ وبعد هذه الحوصلة التي قدّمتها حول موضوع الاغتراب السياسي وحدت بعد القيام بالإحصاء

وبعد عدد موسله على المنادا الى ديوانيه سقط الزند و اللزوميات بعض العبارات التي تميز وتخدم هذا الموضوع من مثل: أمير سوء، أف من زمن رئاسته حساسة، جزية ومكوس، ظلموا الرعية واستجازوا كيدها، فظالم وآخذ ما لا يحل له، ملوكنا زير نساء، عدول لهم ظلم الضعيف سجية، وهي كلها تدور حول الظلم والجور وعدم العدل بين الناس التي من المفروض أن تكون من أوليات الحكام والرؤساء.

⁽¹⁾⁻سميرة سلامي: الاغتراب في الشعر العباسي القرن الرابع الهجري، ص :186 ،وأبو العلاء المعري:اللزوميات، ج1، ص :51 أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج2، ص :778.

⁽³⁾⁻ سميرة سلامي:الاغتراب في الشعر العباسي القرن الرابع الهجري، ص:187.

1- الاغتراب عن الوطن عند أبى العلاء ودواعيه:

إنّ موضوع الاغتراب تؤدي إليه دوافع سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية أو ثقافية، وفيه أنواع كثيرة منها الاجتماعي والاقتصادي والزماني والمكاني هذا الأخير الذي ظهر ومنذ العصر الجاهلي عانى منه الكثير وقد يلجأ إليه الفرد بمحض إرادته أو اضطرارا نتيجة حدث معين يحدث له في المجتمع يضطره إلى هجرة وطنه، وهذا ما حدث بالفعل لدى الشعراء في هذا العصر – العصر العباسي حيث اضطرقم الظروف و الأحوال إلى هجرة أوطاهم وهذا ما نستشفه مثلا عند «الشاعر الموصلي (أبو عثمان الخالدي) الذي اضطره الفقر الى هجرة وطنه و التنقل من بلاط لآخر ثم الرجوع إليه بعد زوال الفاقة والعوز يقول:

لدیك مستوطنات لیس ترتحل دعاة شوق إلى أوطانه عجل فإن آثر شيء عنده القفل

إنا لنرحل و الأهواء أجمعها لكن كل فقير يستفيد غني وكل غاز إذا حملت غنيمته

فهو يصرح بأن الفقر هو السبب الوحيد في هجرته لوطنه، وحين زال السبب، آثر العودة ، فقد ناداه داعي الشوق، لأن الوطن هو أغلى ما في الوجدان، استطاع الإنسان تأمين أسباب الحياة $^{(1)}$.

فالتنقل إذن فيه محاسن كثيرة وإيجابيات جمة لذلك حثنا الله سبحانه وتعالى عليه حيث يقول:

فبالرغم من المشقة والمعاناة التي يتكبدها إلا أنه في الإغتراب فائدة تعود على هذا الإنسان النازح، وقد توالت أشعار المغتربين في هذا العصر إضافة إلى أبي عثمان الخالدي نجد أيضا (بن بابك) و (بن حماد البصري) و (المتنبي) و (أبا فراس الحمداني) و (الشريف المرتضي) وأبا العلاء المعري هذا الأخير الذي تجلى عنده موضوع الاغتراب بصفة ملفتة للإنتنباه مما جعل منه ظاهرة فريدة في الشعر العربي، و مما ساعد على تفرده غربته الدائمة، وإحساسه بالانفصال والانعزال عن المجتمع تارة وعن الوطن تارة أخرى يقول:

^{.124 - 123:} صيرة سلامي:الاغتراب في الشعر العباسي القرن الرابع الهجري، ص

⁽²⁾ سورة الملك/ 15

الفصل الرابع:

ومن عند الظلام طلبت مـــالا فهلًا خلتهن به ذُبسالا(1)

أَعَنْ وخْد القلاص كشفت حالا ودُرّا، خلْت أنجمــه عليــــه

فالشاعر هنا يخاطب نفسه ويعنفها على كثرة أسفاره وترحاله، وينكر عليها ما توهمته من إمكان نيل المال من عند الظلام، فليس الظلام موضعا لطلب المال ثم يتمم ما بدأه في البيت الأول من تعنيف نفسه على السفر الذي لم يصل به الى تأمله.

كما نجده يبين في قصيدته (كم بلدة فارقتها ومعاشر)كيف أنه تنقل بين البلدان والأقوام الذين اعتاد توديعهم يذرفون الدموع عليه ويأسفون لرحيله يقول:

> يذرون من أسف على دموعا فمتى أودع خلّى التوديعا(2)

كم بلدة فارقتها ومعاشر وإذا أضاعتني الخطوب فلن أرى لوداد إخوان الصفاء مضيعا خاللت توديع الأصادق للنّوى

كما أنه في موضع أخر من سقط الزند يتكلم عن المناطق التي مر بما للوصول الى هدفه فهو يقول مثلا بأنه وفد الى هذه البلاد أول الفجر بعد أن سار طيلة الليل في قفار لا يسكنها إلا الذئاب والبقر الوحشية وذلك يظهر في قوله:

حان بين المهاة والسرحـــان(3)

وبلاد وردها، ذنب الســــ

فهذا البيت يدل على ترحاله وتنقله من منطقة لأخرى.

وهو في موضع آخر يحدثنا عما تحشم من مشاق السفر في المهمة القفر مع مخاوفه ووحشيته يقول:

طافوا بها فأنا خوها بجعجـــاع بعصرها، في بعيد الورد لماع وللذراعين أخرى ذات إسراع في مهمة كصلاة الكسف شعشاع من خوف كل طويل الرمح خداع⁽⁴⁾

سارت فزارت بنا الأنبار سالمة ورُبّ ظُهْر وصلناها على عجل بضربتين: لطهر الوجه واحدة وكم قصرنا صلاة غير نافلة وما جهرنا ولم يصدح مؤذننا

كما أنه يبين لنا المناطق التي مر عليها من الأنبار والقادسية الى بادية الشام الى أن و صل الى بغداد.

^{(1) -} أبو العلاء المعري: سقط الزند، ص: 21.

⁽²⁾– أبو العلاء المعري: شرح ديوان سقط الزند، شرح وتعليق ، ن ، رضا، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت ، لبنان، 1987، ص: 190.

⁽³⁾- أبو العلاء المعري: شرح ديوان سقط الزند، ص: 92.

⁽⁴⁾– عائشة عبد الرحمن: مع أبي العلاء المعري في رحلة حياته، ص: 122– 123.

وقد كانت من عادة العرب قديما ألهم أثناء تنقلهم الى مناطق أخرى غير بلدالهم التي يعيشون فيها يتخذون الناقة أنيساً لهم في رحلتهم هاته منذ بدايتها الى لهايتها، وقد شهد المسافر مع ناقته أحداثا جمة في طريقه المحفوف بالمخاطر والمتعب في أحيان كثيرة من شدة الجوع والعطش وطول الطريق مما يجعل الراحلة تضعف وتهزل وهذا ما نلاحظه لدى شاعرنا أبي العلاء وراحلته التي أضناها طول السفر بعدما كانت قبل انطلاقها في السفر كالنخيل في سمنها وعظمها، ولكن السفر أنحلها حتى صارت كالعرجون في تقوسها ونحولها يقول المعري:

وكانت كالنخيل، فظل كل ومشبهه، من الضمر الإهان⁽¹⁾ ويقول في بيت آخر:

وأعيس، لو وافى به خرت مخيط لأنفذه من ضمره والهضامه(2)

فقوله هذا دلالة على أن الجمل هزل من السفر حتى أصبح بالإمكان إيلاحه في ثقب إبرة. وصفة التنقل والترحال هاته غربته عن أهله ووطنه وجعلته يتحسر لذلك نجده يقول:

ويحمل من أرض الأخرى وما درى فواها له بعد البلي يتغرب(3)

ويقول في موضع آخر من قصيدته (كلمت فزد على النعمان ملكا):

ولو لم ألق غيرك في اغترابي لكان لقاءك الحظ الجزيلا (4)

ففي هذا البيت دلالة على أنه اغترب ووجد في غربته أناسا آخرين غير الذين كان يعرفهم.

ولأبي العلاء المعري رحلات في حياته تتراوح بين حلب واللاذقية وطرابلس وبغداد، هذه الأخيرة استوقفتنا كثيرا في أشعاره، فقد ذهب إليها في مرحلة شبابه عكس الرحلات الأخرى التي قام بما وهو في صغره من أجل التعلم والتربية والتدريب.

فبعده عن وطنه المعرة وارتحاله الى بغداد جعله يحس بالغربة والنوى وقد دفعته إليها أسباب ودواعي عدة اختلف الباحثون في تحديدها وتحديد عدد المرات التي ذهب فيها المعري الى بغداد، « وقد جاء في وفيات الأعيان، أن المعري قصد بغداد مرتين، وكان في الخامسة والثلاثين من عمره ثم

^{(1) -} أبو العلاء المعري: سقط الزند، ص: 47.

⁽²⁾ أبو العلاء المعري: سقط الزند، ص: 101.

^{.65:} أبو العلاء المعري: اللزوميات ، ج1، ص $^{(3)}$

^{(&}lt;sup>4)</sup>- أبو العلاء المعري: سقط الزند، ص: 272 .

عاد إليها بعد عام تقريبا أمّا مؤرخوه الآخرون فيجمعون على أنه لم يأتها سوى مرة واحدة ومكث فيها سنة وسبعة أشهر»(1).

والذي يعنينا على كل حال هو أنه سافر الى بغداد ناضج الشباب فتي الرجولة ولكن لم سافر ؟ ما هو سبب حروجه وهجرته من وطنه المعرة ؟

فقد اختلف - مثلما تحدثنا- العلماء في تحديد دواعي اغترابه وهجرته لبلده فمنهم من يقول: «أنه أوذي في وقف له، فرحل الى بغداد متظلما من أمير حلب، لكن أبو العلاء لم يشر الى هذا الوقف قط فيما أطال من حديث عن رحلته $^{(2)}$.

وهناك من رجّح بأنّ الرحلة كانت متعلقة بالمال، ولكن المؤرخ"ابن العديم" نفى هذا الأمر عنه بقوله: « و لم يرحل الى بغداد، لطلب دنيا ولا رفد واستشهد بأبيات أبي العلاء المعري:

أإخواننا بين الفرات وجلق يد الله لاخبرتكم بمحال أنبئكم أني على العهد سالم ووجهي لما يبتذل بسؤال وأني تيممت العراق لغير ما تيممه غيلان عند بلال فأصبحت محسودا بفضلي وحده على بعد أنصاري وقلة مالي (3)

فهو يؤكد من حلال هذه الأبيات أنه من المحال أن يبتذل وجهه بسؤال.

فمهما كانت وجهات نظر المؤرخين واختلافهم حول أسباب رحيل المعري وابتعاده عن بلده الله أننا بالتأكيد سوف نتفق في أمر ما يتمثل في أن الحياة التي كان يعيشها المعري في بلده المعرة هي التي جعلته يهجر بلده وينأى عنها، « فحين ثقلت عليه حياته في المعرة آثر أن يرحل الى بغداد »(4) فقد ضاقت عليه بلده وذلك لسبين هما:

1- « اضطراب الحياة السياسية في بلاد الشام، فالحدود الشمالية معرضة للخطر البيزنطي لاسيما بعد زوال حكم سيف الدولة الذي كان حامي تلك الثغور والمدافع ببطولة عنها، فلا أمل ولا استقرار.

2- طموح أبي العلاء الذي لا يُحَد وتصميمه على أن يبرهن للمبصرين والمتربعين على عرش الحاه والعلم أنه ليس دونهم كفاية ومقدرة هذا من جهة، ومن جهة ثانية لإرضاء نفسه وإقناعها بأن

⁽¹⁾ حليل شرف الدين: في سبيل موسوعة فلسفية، أبو العلاء المعري مبصرين عميان، دار مكتبة الهلال ، (د،ط)، 1995، ص: 81.

^{.115:} ص عائشة عبد الرحمن : مع أبي العلاء في رحلة حياته، ص $^{(2)}$

^{.115} ص: حائشة عبد الرحمن :مع أبي العلاء في رحلة حياته، ص $^{(3)}$

^{(&}lt;sup>4)</sup>- عبد الله الطاوي:القصيدة العباسية قضايا واتجاهات، ص: 344.

مثله لا يقعده عمي مادي، ثم إنّ بغداد كانت قطب الرحى كما يقولون تستقطب كل طالب مجد وشهرة وعلم ففيها تفاعلت الحضارات الثلاث وتمازحت جميع ثقافات الدنيا فمن لم يرها فكأنه ما رأى الدنيا ولا رأى الناس على حد قول بعضهم فكيف لا يزورها أبو العلاء $^{(1)}$

فإذن مهما كانت الأسباب والدواعي التي جعلته ينأى عن بلده، إلا أنه كان يكره الابتعاد عن وطنه الأم في حقيقة الأمر وهذا ما نلمسه في معاتبته لخاله حين هجر الشام وطنه الى المغرب يقول:

أتيت الغرب تختبر العبـــادا ؟ غريب فما الصديق كمــا أرادا فجدد للشآميـــة الـــودادا توافى منطقا غــدر اعتقـــادا وضيّعتْ القــديم المستفـــادا

فهو يدعوه إلى العودة إلى الشام والتمسك به والوفاء له لأن العيش لن يطيب للإنسان إلا في وطنه وبين أهله وناسه وأصدقائه فمن هذه الأبيات يظهر أنّ هجرة المعري عن بلده لم يكن اختيارا وإنما كان اضطرارا نتيجة لتلك الظروف التي عاشها.

هكذا إذن كان لموضوع الاغتراب المكاني صدى واسع، فقد اكتسب طبيعته وأبعاده من خلال ظروف وواقع الشاعر المعيش وتفاعله معهما، فبالتالي انعكس على لغة ديوانيه وعلى فضائه المعجمي، ولكي أوضّح ذلك أكثر سوف أقف عند الجدول الإحصائي المستقى من ديواني المعري المتمثلين في سقط الزند إضافة الى اللزوميات.

^{.82 :} في سبيل موسوعة فلسفية أبو العلاء المعري، ص $^{(1)}$

^{(&}lt;sup>2)</sup>- أبو العلاء المعري: سقط الزند، ص 158- 159.

التكرار ^(*)	الكلمة
02	غربة
05	اغرب _ اغربة _ اغتراب
15	غریب _ متغربوه _ متغربیه
10	يتغرب _ تغرب _ مغرب
01	مغترب
02	غرباء
05	النوي _ نأت
04	الفراق _ التفرق
08	تباعد، بعید، بعاد، بعد
02	غائب
03	نزح، تزح، نازح
06	هجران، هجير، هجر
06	اعتزال، اعتزل، أعزل
04	عزل، معزول، تعزل
02	معزل
04	ارتحل، ارتحال، يرتحل، مرتحل
03	توديع-أودّع-التّوديعا

يبيّن لنا هذا الجدول أغلب الكلمات التي تدور في الحقل الدلالي لموضوع الاغتراب المكاني في ديوانيه، فنجده هنا يستعمل لفظة غربة ومشتقاتها التي تدور في فضائها المعجمي مثل: النوى ، الفراق، البعد، البعاد، الاعتزال والارتحال....إلخ من الكلمات التي لها نفس المعنى مع لفظة غربة، والتي استعملت في مواضيع مختلفة ومتباينة، وهو بصدد المدح، أو الوصف، أو التغزل أوالرثاء ...الخ من الأغراض، وكأن تلك الكلمات تفرض نفسها فرضا على الشاعر فيفك عقالها لكي يستريح من الضغط الذي يولده له الاغتراب.

^{(*)-} التكرار هنا يقتصر على الكلمة ضمن موضوع الغربة المكانية فقط.

فلو جئنا لنحصي لفظة (غربة) مع كل مشتقاتها: اغتراب، غريب، مغترب، اغترب، اغرب وغيرها، لوجدناها ترددت (35)مرة في شعر المعري و من هنا تصبح هذه اللفظة مع من يدخل في حقلها الدلالي أكثر تكرارا بين ألفاظ المجموعة .

فهي مفردة صاحبة شحنة عاطفية، تحمل في مدلولاتها طابع والأسى وتثور الأشجان بمجرد سماعها.

إننا عندما نلقي نظرة على الكلمات التي تنتظم وفق معجم الاغتراب المكاني، وانطلاقامن الجدول وبالاعتماد على الإحصاء نجد أن منها ما يتخللها مد مثل اغتراب، فراق، اعتزال، ارتحال، نوى، بعاد هجران، وهذا المد يسمح بإخراج قدر كبير من الأحزان والآلام والآهات بما يشبه التأوه والتوجع أما النسبة المتبقية فنجد بعض ألفاظها على وزن اسم فاعل من مثل: غربة، بعد وبعضها على وزن اسم فاعل مثل غائب، نازح. اضافة الى وجود بعض الألفاظ ساكنة الوسط مثل غربة، بعد.

فهذا إذن عن موضوع الاغتراب المكاني عند المعري الذي تفرّع الى موضوعات فرعية أحرى كالحنين الى الوطن والحنين الى بغداد ،وهذا ما سوف أوضّحه .

2- تجليات الشوق والحنين في شعر المعري:

لقد أخذ مصطلح الحنين تعريفات جمة في المعجمات والكتب العربية فنجده مثلا يعني في القاموس المحيط: « الشوق وشدة البكاء والطرب، أو صوت الطرب عن حزن أو فرح $^{(1)}$.

أما في مختار الصحاح للرازي فهو: « الشوق أيضا وتوقان النفس »⁽²⁾ فهذا عن مصطلح الحنين، أما عن الشعر المتصل بهذا الموضوع، فيعتبر لونا شعريا كغيره من الألوان والأغراض الأحرى التي ظهرت في الأدب العربي كالرثاء والغزل والوصف والهجاء والحكمة والمدح وغيره من المواضيع التي عرفت في شعرنا العربي.

وقد حاول بعض الدارسين يجملوا بعضا أن يحملوا بعض من ملامحه العامة التي تميزه عن غيره من الألوان وهذا ما يتجلى في كلام (وهب رومية) إذ يصفه بأنه: «شعر وجداني عذب رقيق، يتوهج بالشوق ويفيض بالمشاعر الإنسانية الأصيلة ويمور بالعاطفة الصادقة، شعر مفعم بحزن إنساني شفيف، فيه صفاء الدمع وحرارته، ورقة الحب وانكساره وقسوة الحزن وصفاؤه ولهفة المشتاق الخائب، وصبوة العاشق المحزون الذي لا يستطيع أن يتوب عن الشوق، ولا يقوى على التحمل بالصبر شعر تخالطه مرارة إنسانية عميقة، أو بوح نفسي شفاف كقطعة من الماس يستبطن الذات

www.al-eman.com الفيروز أبادي: القاموس المحيط والقابوس الوسيط، القاموس القاموس المحيط $^{(1)}$

⁽²⁾⁻ الرازي: مختار الصحاح، مادة (حنن).

فيصور أحاسيسها وانفعالاتها وانكساراتها، وحيباتها فتبرز فيه لحظة الضعف الإنساني بكل فتنتها وهائها » (1).

فإذن الحنين وانطلاقا من هذا القول يقطر شوقا، ويمتاز بالعذوبة والرقة والصدق العاطفي، كما نجده يخيم عليه الحزن والإغراق فيه والشفافية والصفاء في إظهار الأحاسيس والانفعالات وتصويرها، وسوف نتأمل هذا اللون في شعر أبي العلاء المعري، ولنتتبع تجليات الشوق والحنين فيه:

أ- الحنين إلى الوطن (المعرة):

إنّ كلمة الوطن كغيرها من الكلمات التي تناولها الباحثون وتعقبوها بالدراسة، فاإذا ما بحثنا عنها في المعاجم العربية نجدها تعني في لسان العرب معاني عديدة، «فالوطن هو المترل تقيم به، وهو موطن الإنسان ومحله، والجمع أوطان، وأوطان الغنم والبقر، مرابضها وأماكنها التي تأوي إليها. ومواطن مكة: مواقفها وهو من ذلك وطن بالمكان وأوطن أقام وأوطنه اتخذه وطنا، يقال أوطن فلان أرض كذا وكذا أي اتخذها محلا ومسكنا يقيم فيها وأوطنت الأرض ووطنتها توطينا واستوطنتها؛ أي اتخذها وطنا وكذلك الإتطان، وهو افتعال منه غير: أما المواطن فكل مقام قام به الإنسان لأمر فهو موطن له، كقولك: إذا أتيت فوقفت في تلك المواطن فادع الله في ولإخواني، وتوطين النفس على الشيء كالتمهيد، وطن نفسه على الشيء وله فتوطنت حملها عليه فتحملت

أما في "أساس البلاغة" للزمخشري فكلمة « وطن هي: كل يحب وطنه وأوطانه وموطنه، والإبل تحن إلى أوطانها، وأوطن الأرض ووطنها وتوطنها واستوطنها، ومن الجحاز: هذه أوطان الغنم لمرا بضها »(3).

وذلت عليه، وقيل: وطّن نفسه على الشيء وله فتوطنت حملها $pprox^{(2)}$.

أما في القاموس المحيط للفيروز أبادي فكلمة « وطن تعني: محركة ويسكن: مترل الإقامة، ومربط البقر والغنم، ج أوطان، ووطن به يطن وأوطن: أقام، وأوطنه ووطنه واستوطنه: اتخذه وطنا $^{(4)}$.

⁽¹⁾⁻ وهب رومية:شعرنا القديم والنقد الجديد، الجحلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، سلسلة عالم المعرفة، مارس 1996، ع207، ص :163

^{. (}عان منظور: لسان العرب، دار صادر بيروت، طبعة جديدة، مادة (وطن) .

^{(3) -} الزمخشري:أساس البلاغة، مادة (وطن).

⁽وطن). الفيروز آبادي:القاموس المحيط، دار الفكر، بيروت، 2005، مادة (وطن).

وتجدر الإشارة إلى أن هناك ألفاظا في اللغة العربية تؤدي المعنى نفسه لكلمة وطن، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر: مغاني « وهي المواضع التي كان بما أهلوها » $^{(1)}$ ، والأرض: « التي عليها الناس » $^{(2)}$ ومعهد وهو في لسان العرب: «الموضع كنت عهدته أو عهدت هوى لك أو كنت تعهد به شيئا والجميع المعاهد » $^{(3)}$.

لقد فطر الإنسان على حب مسقط رأسه والمكان الذي ولد وترعرع فيه يقول تعالى: ﴿ وَلَوْ وَلَوْ وَلَوْ اللَّهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴾ (4) .

فقد ظهر مفهوم الوطن ومنذ القديم وتطور عبر العصور وهذا ما تعكسه مختلف أشعار الشعراء، حيث كانت نزعة الحنين إلى الوطن شائعة عندهم، فهاهو أحدهم يحن ويشتاق إلى وطنه يقول:

أيا أتلات القاع من بطن توضح أيا أثلات القاع قد مل صحبتي ويا أثلاث القاع قلبي موكـــل ألا هل إلى شمّ الخزامي ونظرة فأشرب من ماء الحجيلاء شربة

حنيني الى أطلالكن طويل مسيري، فهل في ظلكن مقيل بكن وجدوى خيركن قليل إلى قرقرى قبل الممات سبيل يداوي كما قبل الممات عليل⁽⁵⁾.

ويعدّ أبو العلاء المعري نموذجا في هذا المضمار، إذ تجلت عاطفة الشوق والحنين في شعره تجاه وطنه بصورة واضحة وهذا ما سوف أبيّنه لاحقا.

وبالرغم من أن أبا العلاء المعري أوصى خاله بعدم التخلي عن وطنه مثلما ذكرنا سابقا إلا أنه هاجر إلى بغداد تاركا وراءه الشام ولكنه «كان حين زار العراق شديد الحزن على المعرة لا يسليه عنها الكرخ وما فيه من ماء عذب، وكان بعده عن أهله وإصفار يده من المال وعزة نفسه عن سؤال

⁽¹⁾⁻ ابن منظو: لسان العرب، مادة (غنا).

 $^{^{(2)}}$ ابن منظور: لسان العرب، ، مادة (أرض) .

⁽³⁾⁻ ابن منظور:لسان العرب، مادة (عهد).

⁽⁴⁾⁻ سورة النساء / 66.

^{(5) -} محمد مصطفى أبو شوارب: جماليات النص الشعري قراءة في أمالي القالي دار الوفاء، الإسكندرية، ط1، 2005، ص

الناس تضاعف في قلبه هذا الحزن، وتذكي في نفسه هذا الأسى، فأنشأ في ذلك قصيدتين من حير ما حوى سقط الزند» (1).

يقول في الأولى:

وكم همّ نضْو أن يطير مع الصبا إلى الشام لولا حبسه بعقال $^{(2)}$.

ويقول:

فيا برق!ليس الكرخ داري وإنما رماني إليه الدهر منذ ليال(٥).

فهو لا شأن له بالكرخ وبغداد، وإنما هو من المعرة التي لطالما حن إليها وتشوق لرؤيتها والعودة إليها أثناء إقامته ببغداد يقول:

طربن لضوء البارق المتعـــالي ببغداد، وهنا، مالهن ومالي سمت نحوه الأبصار حتى كأنهــا بناريه من هنا وثم صوالي إذا طال عنها سرها لو رؤوسها تمد إليه في رؤوس عــوال⁽⁴⁾.

فهو يقول بأنّ الأبصار سمت نحو البارق من جهتي الشام والعراق فحدّقت به كما يحدّق المصطلون بالنار وثنى النار باعتبار ما يرى من البرق من ناحية الشام ومن ناحية بغداد، ويقول كلما ابتعد هذا البارق نحو الشام ضمنت الإبل لو تقطع رؤوسها وترفع إليه على صدور الرماح فهنا إشارة إلى شدة حنينها لوطنها.

فمن شدة شوقه إلى وطنه زاره طيفها في المنام يقول:

هلت، من الشامين، أطيب جرعة وأنزرها، والقوم بالقفر ضلال⁽⁵⁾. فقد تمنى وهو بالكرخ أن يحمل إليه البرق ولو قطرة من ماء المعرة يروي بها ظمأه يقول:

فهل فیك من ماء المعرة قطرة تغیث بها ظمآن لیس بسال⁽⁶⁾ ویقول:

وماء بلادي كان أنجع مشربا ولو أن ماء الكرخ صهباء جريال $^{(1)}$.

⁽¹⁾⁻ طه حسين:أبو العلاء المعري حياته وشعره، ص: 44.

^{(&}lt;sup>2)</sup>- طه حسين:المجموعة الكاملة، ص: 159.

^{(3) -} أبو العلاء المعري: سقط الزند، ص

^{(4) -} أبو العلاء المعري: سقط الزند، ص: 237.

^{(&}lt;sup>5)</sup>- أبو العلاء المعري: سقط الزند، ص: 243.

⁽⁶⁾- سميرة سلامي: الاغتراب في الشعر العباسي القرن الرابع الهجري، ص: 130، وأ العلاء المعري:سقط الزند، ص: 248.

ونلاحظ أنّ ماء المعرة الذي يتشوّق إليه ويتمناه ما هو إلّا ماء آبار لا يقاس الى ما في دجلة والفرات من ماء عذب يقول:

أإخواننا بين الفرات وجلق أنبئكم أني على العهد سالم وأني تيممت العراق لغيرما فأصبحت محمودا بفضلي وحده ندمت على أرض العواصم ، بعدما

يد الله لا خبرتكم بمحال ووجهي لما يتبذل بسؤال تيممه غيلان عند بسلال على بعد أنصاري وقلة مالي (2) غدوت بما في السوم غير مغال

ولأبي العلاء المعري قصيدة أخرى رائعة في الحنين إلى أهله ووطنه، يبدو فيها مشتاقا ،ومتلهفا إلى العودة للقاء أهله وتراب وطنه قال فيها:

تمنيت أن الخمر حلت لنشوة فأذهل أي بالعراق على شفا مقل من الأهلين : يسر وأسرة طويت الصبى طي السجل وزاري متى سألت بغداد، عني وأهلها إذاجُن ليلي جُنن ليبي وزائد فيا وطني! إن فاتني بك سابق فإن أستطع في الحشر آتك زائر! ؟

تجهلني كيف اطمأنت بي الحال رذيُّ الأماني، لا أنيسس ولامسال كفى حزنا بين مشت وإقسلال زمان له بالشيب، حكم، وإسجال فإني عن أهل العواصم سآل خفوق فؤادي كلما خفق الآل من الدهر فلينعم لساكنك البال وهيهات لي يوم القيامة أشغال (3)

إنّه يحس وهو في العراق بغربة موحشة، ووحدة قاتلة فلا أهل ولا أصحاب يستأنس بهم ولا مال يستعين به في ديار الغربة، فهو أكثر تعاسة وهو بعيد عن المعرة التي قضى فيها طفولته، لذلك نجده مصمما على أنه متى أتيحت له الفرصة بالعودة إليها لعاد دون أي تفكير وإليها دون مكان آخر في العالم.

والآن نصل إلى هاته الجداول التي نتتبّع فيها اطراد الموضوع الفرعي -الشّوق والحنين الى الوطن- معجميا من خلال ديوانيه سقط الزند واللزوميات .

الكلمة التكرار	التكرار	الكلمة
----------------	---------	--------

^{(1) -} أبو العلاء المعري: سقط الزند، ص

⁽²⁾ طه حسين :المجموعة الكاملة ،ص :159-160، و أبو العلاء المعري: سقط الزند، ص :242.

⁽³⁾ سميرة سلامي :الاغتراب في الشعر العباسي القرن الرابع الهجري ،ص130.

193	أرض
48	بلاد، بلد

02	وطن
06	أوطان
07	الشام
02	المعرة
01	حلب

التكرار	الكلمة
16	متزل
06	دار
04	مغاني

ما لوحظ - عموما - أنّ المعري استعمل الكلمات التي تدل على بقعة واسعة من الأرض ، مثل: أرض ، بلد، بلاد، مغاني وغيرها، وربما يكمن استعماله هذا على مسحة تجديدية عنده أو لتطور مفهوم الوطن في العصر العباسي، وكلمة (أرض) هي الأكثر تواترا ضمن هذه المجموعات وذلك راجع الى أنّ الأرض مقدسة لدى الإنسان وبينهما علاقة وطيدة ففيها مسكنه ومأواه وفيهارزقه وعمله.

ب- الحنين إلى بغداد:

بغداد هي مدينة من بين المدن التي زارها العديد من الكتّاب والشعراء نظرا لمكانتها المرموقة، ولما حظيت به من علم وثقافة وفن، فكان الكثير من المتعطشين لها يتجهون إليها لينهلوا من ثقافتها وعلمها، ومالها وكل من يذهب إليها يتعلق بها بالرغم من الصعوبات الجمة التي تظهر في البداية نتيجة النوى والبعد ومفارقة الخلان والأصحاب والأهل ، فيصبح كل من يفارقها يركبه الندم طول حياته عليها.

ومن بين الذين جزعوا لفراق بغداد «القاضي أبو محمد عبد الوهاب بن علي بن نصر الملكي. فقد نبا به المقام ببغداد، فخرج يريد مصر وخرج معه أهلها يودعونه، فأخذوا يتوجعون لفراقه فقال والله لو وحدت عندكم في كل يوم مدامن الباقلا ما رافقتكم ثم أنشد يقول:

وحق لها مني السلام المضاعف وإني بشطي جانبيها لعارف ولم تكن الأرزاق فيهاتساعف وأخلاقه تناى به وتخالف

سلام على بغداد من كل منزل فوالله فارقتها عن قلي لهـــا ولكنّها ضاقت عليّ برحبــها وكانت كخل كنت أهوى دنــوه

وكأن بغداد في ذلك العصر كانت تفيض منها تلك العين القصصية التي لا يشرب منها شارب إلا كلف بقربها» (1).

وإضافة إلى القاضي بن نصر الملكي الذي حزن على بغداد حين فارقها نحد أبا العلاء المعري الذي ومن دون شك لحقته آلام الفرقة والحسرة على بغداد بالرغم من أنه كان يحس فيها بالغربة والنوى والوحشة والوحدة، فكان دائما تواقا لرؤية بلده المعرة يحدوه أمل بالعودة إليها في أول فرصة تسنح له، فهذا الشوق العارم لوطنه المعرة وهذا الألم والكآبة واليأس الذي كان يشعر به المعري وهو بعيد عن أهله ووطنه سرعان ما رجع من جديد حين عاد إلى وطنه متذكرا بغداد.

فذابت نفسه حسرة لفراق بغداد وأهلها، فهو إذن «طامح إلى بغداد إن كان في المعرة وهو مشوق إلى المعرة إن كان في بغداد ثم هو محزون على بغداد إن عاد إلى المعرة، وقد صور المتنبي هذه الخصلة تصويرا رائعا في بيته المشهور:

لفارقت شيبي موجع القلب باكيا

خلقتُ ألوفا لو رجعت إلى الصبا

وصور أبو العلاء نفسه هذه الخصلة تصويرا رائعا في شعره الذي بكى فيه الشام حين كان في العراق، والذي ندم فيه على العراق حين عاد إلى الشام»(2).

فعبر عن هذا الإحساس بأشعار رقيقة حفظها ديوانه سقط الزند يقول:

أو دعكم يا أهل بغداد والحشا وداع ضي لم يستقل وإنما ألا زودوني شربة ،ولو أننو وما الفصحاء الصيد والبدو دارها أدرتم مقالا في الجدال بألسن سأعرض إن ناجيت من غيركم، فتى أظن الليالي وهي خون غوادر وكان إختياري أن أموت لديكم فليت هامي حُمّ لي في بلادك

على زفرات ما ينين من اللذع على ألهم قومي وبنهم ربع على ألهم قومي وبنهم ربع قدرت ،إذان أفنيت دجلة بالجرع بأفصح قولا من إمانكم الوكع خلقن فجانين المضرة للنفع وأجعل زوا من بناتي في سمعي بردي الى بغداد ضيقة السدرع هيدا فما ألفيت ذلك في الوسع وجالت رمامي في رياحكم المشع (3)

ويقول:

^{(1) -} طه حسين:أبو العلاء المعري حياته وشعره، ص: 48 - 49.

^{.81-80} : صدين: مع أبي العلاء في سجنه، ص $-^{(2)}$

⁽³⁾⁻ أبو العلاء المعري: سقط الزند، ص: 263، 267.

نبي من الغربان ليس على شرع يخبّرنا أن الشعوب إلى صدّع أصدّقه في مرية وقد امترت صحابة موسى يعد آياته التسع⁽¹⁾

فهذه المقاطع خير دليل على أنَّ المعري حزن على بغداد أثناء وداعه لها حين فارقها.

ويقول أيضا:

نصبنا المطايا بالفلاة على القطع سحاب الرزايا هي صائبة الوقع $^{(2)}$. فدونكم خفض الحياة فإننسا تعجلت إن لم أثن جهدي عليكم

كما نلمح وداعه لها في فقصيدة أنشدها وهو بمدينة السلام تهنئه بمولود لصديقه أبي القاسم التنوحي فقال:

> لطال القول واتصل الـــروي فلا كنا ولا كان المطي إذا فارقتكم، إلا نعسى (3)

ولولا ما تكلفنـــا الليــــالي إذا نأت، العراق بنــــا المطــــايا على الدنيا السلام، فما حياة

« فقد شعر هنا بموت الحياة لفراق بغداد، فذكر النعي في مولد الحياة وهو يهنيء بمولود» (4).

ويحدثنا أبو العلاء أنَّ سببين اثنين صرفاه عن المدينة التي كان عازما على أن يقيم فيها ، أحدهما الفقر والآخر مرض أمه، وهذا ما بيّنه في هذه الأبيات التي بعث بما إلى أبي القاسم التنوخي:

> لم ألقها، وثراء عاد مسفــــوتا أحياهما الله عصر البين ثم قضيى قبل الإياب إلى الذخرين أن موت عنسى دليلا كسر الغمد إصليتا(5)

أثاريي عنكم أمران: والــــدة

فنتيجة لتلك الأسباب وقبل رحيله إلى المعرة متجها إليها من بغداد، قال قصيدة في صديقه (أبي على النهاوندي) فجاءت نشيج و داع وأنينا و حيرة و حزنا على فراقه المحتوم يقول:

> وطير، أن نقيم وأن نقيملا إلى طيب الحياة به سبيلا

كفي بشحوب أوجهنا دليك على إزماعنا عنك الرحيلا أبت صنفا النواعـب من نـياق تأملنا الزمــان غــما وجــــدنا

^{(1) -} أبو العلاء المعري: سقط الزند، ص: 260.

^{(2) -} طه حسين: المجموعة الكاملة، ص:162 - 163.

⁽³⁾- أبو العلاء المعري: سقط الزند، ص :259.

^{(&}lt;sup>4)</sup> عائشة عبد الرحمان: مع أبي العلاء رحلة حياته، ص: 140.

⁽⁵⁾ ينظر طه حسين: أبو العلاء المعري حياته وشعره، ص :42،و أبوالعلاء المعري : سقط الزند، ص: 296–297

يفجعنا ابن دأبة بابن انسس كلفنا بالعراق ونحسن شرخ وردنا ماء دجلة خيير مساء وزلنا بالغليلل وما اشتفينا

نفارقه فلا تبع الحمسولا فلم نلملم به إلا كهولا وزرنا أشرف الشجر النخيلا وغاية كــل شـــيء أن يــزو لا⁽¹⁾.

فجاء بذلك الرحيل بعدما ألف بغداد وأهلها، فعز عليه مفارقتهم متمنيا الاجتماع بمم مرة ثانية:

حتى يعود اجتماع النجم تشتيتا كأنما أنا من أصحاب طالــوتا(*) أعزز على بكون الوصل مبتوتا فقال ما أنصفت بغداد حوشيتا يوم القيامـــة ولم أعدمــــه تبكيــتا إن الصلاة كتاب كان موقو تا(2)

سَقيًا لدجلة والدنيا مفرقية وبعدها لا أريد الشرب من لهـــر بت الزمان حبالي من حبالكـــم ذم الوليد ولم أذمهم جواركهم فإن لقيت وليدا والنوى قلذف أعد من صلواتي حفظ عهدكم ويقول في موضع آخر مبينا حزنه عليها:

يالههف نفسى على أنّى رجعت إلى إذا رأيت أمرورا لا توافقني

هذي البلاد ولم أهلك ببغداذا قلت الإياب الى الأوطان أدى ذا⁽³⁾

فحبه الكبير لبغداد وأهلها جعله يعمد إلى ذكرها ويحن إلى من تركهم هناك من صفوة الأصحاب، فيقول في قصيدة أرسلها إلى صديقه (أبي القاسم بن الحسن التنوحي):

> لنا ببغداد من نهوى تحييه فإن تحملتها عنا فحييتا يا ابن المحسن! ما أُنسيتَ مكرمــة فاذكر مودتنا إنْ كنت أُنسيــتا⁽⁴⁾.

يا عارضا راح تحدوه بوارقـــه للكرخ سلمت من غيث ونجيتا .

كما نلتمس حنينه لأيام الود التي عاشها مع أقرانه وأصحابه في بغداد من خلال رسالته التي رد بها على صديق له في بغداد، فكتب يذكّره بالأيّام الحلوة حين كان المعري بمترله (بالقطيعة) على شط دجلة:

^{(1) -} أبو العلاء: سقط الزند، ص: 269، 272.

^(*) _ يشير إلى الآية الكريمة: فلما فصل طالوت بالجنود قال إن الله مبتليكم بنهر، فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فإنه مني" البقرة /249 (2) - أبو العلاء: سقط الزند، ص:296-297.

^{(3) -} أبو العلاء المعري:اللزوميات، ج1، ص: 271.

⁽⁴⁾⁻ أبو العلاء المعري: سقط الزند، ص: 295.

أذاكر أنت عصرا مر عنــــدك لي أيام واصلتــني ودا وتكرمــــة والآن أشرح أمري غير معتمــــد مد الزمــان وأشوتــني حوادثـــه وحلت كلي ســوى شيب تجــاوزيي جنيت ذنبا وألهى خاطــري وســـن

فليس مثلي بناس ذلك العصرا وبالقطيعة داري تحضر النهرا فيه الإطالة، كيما تعلم الخبرا حتى مللت وذمت نفسي العمرا ولم يبيض على طول المدى الشَّعرا عشرين حولا، فلما نبه اعتذرا (1)

فإذن كان يحمل في أعماقه شوقا كبيرا لبغداد وأهل بغداد، فظن أنه نسيهم على ممر الحقب نتيجة تجافيهم وبعده عنهم إلا أنه سرعان ما تحركت وهاجت مشاعره اتجاههم لما عرف برسالة صديقه.

و بعد هذه اللمحة التي وظفنا فيها حنين المعري إلى بغداد بلد العلم والثقافة نحاول أن نحصي في حدول كالمعتاد، عدد الكلمات التي تصب في هذا الموضوع من خلال ديوانه سقط الزند واللزوميات.

التكرار	الكلمة
03	بغداد
10	العراق
03	الكرخ
01	الزوراء
01	تكريت
01	دجلة
04	الفرات

نلاحظ من خلال هذا الجدول أنه ذكر بغداد في ديوانيه وذكر مختلف المدن فيها من تكريت إلى الزّوراء والعراق ودجلة والفرات، وهي كلها أسماء مدن بالعراق، كما نلاحظ أيضا أنه عمد إلى تكرار اسم العراق (10)مرات أكثر من أسماء المدن الأخرى، ربما لكونها عاصمة المدن الأحرى وتليها بغداد في المرتبة الثانية إذ ذكرها (3)مرات.

والشيء الملاحظ أيضا أنه عمد إلى ذكر بغداد والعراق أكثر من وطنه المعرة إذ لم يذكره إلا مرتين بخلاف العراق.

 $^{^{(1)}}$ أبو العلاء المعري: سقط الزند، ص $^{(1)}$

3- طرق قهر الاغتراب عند المعرى:

لقد أصبح واضحا - بعد كل ما سبق - من أنّ الشاعر أبا العلاء المعري، قاسي ويلات الاغتراب فأجبرته معاناته الشديدة على محاولة إيجاد وسائل تنسيه همومه وأحزانه وتخفف بها شعوره بالاغتراب سواء الذي ينشأ نتيجة انتقاله من مكان إلى آخر أو الذي ينشأ نتيجة الانفصال بينه وبين ذاته ومجتمعه وقد اتجه إلى طريقين لقهر اغترابه أو التخفيف منه باتا واضحين :

أ- العزلة:

إذ حثّ على التفرد والانعزال عن الناس يقول:

ونوى الأوانس غاية الإيـــناس⁽¹⁾.

إن صح عقلك فالتفرد نعمـــــة

ففي التوحد وقاية من الاختلاط و دناياه يقول:

إذا انفرد الفتى أمنت عليه

ويقول في موضع آخر من الديوان:

الحكم لله فالبث مفردا أبدا ولا تكن بصنوف الناس مختلطا(3) .

« لذلك نجده لزم بيته، فلبث تسعا وأربعين سنة في محبسه بالمعرة لم يغادر إلا مرة واحدة لم تتكرر حين حمله قومه على الخروج ليشفع لهم لدى " أسد الدولة " صالح بن مرداس صاحب حلب»(⁴⁾،فهو دائم الجلوس في بيته لا يبرحه إلّا نادرا.

« وقد دفعته إلى هذه العزلة أسباب كثيرة، أولها هذه الغريزة التي ذكرها ودل عليها شعره، ونثره، ومنها ذهاب بصره فإنه حين فقد عينيه جهل كثيرا من آداب الناس في حفلاتهم ومواضعاتهم في أنديتهم ومجالسهم ،وهو - كما قدّمنا- شديد الحياء،عزيز النّفس فكان يكره أن يخطئ ما ألف النّاس فيكون منهم مكان السخرية والاستهزاء، أو مكان العفو والمغفرة أو مكان الشفقة عليه والرثاء، فآثر أن يتجنب عشرتهم ما استطاع ثم كان فقده أباه وأمه وشدة فقره وسوء معاملة الناس له، فقوى ذلك كله في نفسه هذا الميل»(5)فهذه الأمور كلّها عزّزت من وحدته وعزلته الى جانب فشله في الإقامة

⁽¹⁾⁻ أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج2، ص: 483.

^{(&}lt;sup>2)</sup>- أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج2، :ص 509.

⁽³⁾- أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج2، ص: 512.

^{(&}lt;sup>4)</sup> عائشة عبد الرحمان: مع أبي العلاء في رحلة حياته، ص: 175.

⁽⁵⁾⁻ طه حسين:أبو العلاء المعري حياته وشعره، ص: 52- 53.

ببغداد ممّا اضطره إلى الإقامة بمعرة النعمان تلك التي لا تقاس إلى بغداد لإصفارها من العلم وخلوها من العلماء (1).

ففي التفرد والعزلة راحة نفسية وهذا ما جعله يختارها ويظهر ذلك في قوله: في الوحدة الراحة العظمي فأحي بها قلبا وفي الكون بين الناس أثقال⁽²⁾.

وقد إختار المعري العزلة ليطهر نفسه من مجالسة المنافقين فاسمعه يقول:

تخير، فأمّا وحدة مثل ميتــة وأما جليسا في الحياة، منافق (3)

فإذن لزوم بيته كان من بين السجون التي فرضها المعري على نفسه فهو يقول:

أراني في الثلاثة من سجوني فلا تسأل عن الخبر النبيث لفقدي ناظري، ولزوم بيتي وكون النفس في الجسد الخبيث (4)

«ولكن هذه العزلة لم تكن ميسورة كما شاء أبو العلاء، فالتف حوله الطلاب واشتغل بالتعليم والتأليف، فما باختياره كان يلقى زواره فاقتحموا عليه عزلته فشغلوه وشغلوا به على كره منه» فعزلته جعلته يتفرّغ لأشياء كالتأليف والتدريس إذ بلغ عدد هذه المؤلفات العشرات من الكتب والرسائل والدّواوين كما شغل نفسه بتسبيح وتمجيد الله وهذا ما يتبيّن من قول المعري : «لزمت مسكني منذ سنة أربعمائة واجتهدت أن أتوفّر على تسبيح الله وتحميده إلّا أن أضطر الى غير ذلك فأمليت أشياء...وهي على ضروب مختلفة منها ما هو في الزهد والعضات وتمجيد الله سبحانه وتعالى من المنظوم والمنثور» (6).

وثاني وسيلة اتبعها المعري لقهر الاغتراب هي:

ب- الزهد: زهد في الحياة التي أرقته فكان يتمنى الرحيل عنها لو كان الأمر باختياره وعدم البقاء فيها
 يقول:

دعالي بالحياة أخصو وداد رويدك إنما تدعو عليّا وما كان البقاء لي اختيارا لو أن الأمر مردود إليّا (⁷⁾

 $^{^{(1)}}$ ينظرطه حسين: المجموعة الكاملة، ص: $^{(1)}$

^{(2°) -} أبو العلاء المعري:اللزوميات، ج2، ص: 619.

^{(3) -} جعفر حريباني: أبو العلاء المعري رهين المجيسين، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط1، 1990، ص:51.

[.] 167 : - أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج1، ص

^{. 52:} صعفر خريباني: أبو العلاء المعري رهين المحسين، ص

⁽⁶⁾⁻ طه حسين :تعريف القدماء بأبي العلاء ،الدّار القومية للطباعة والنّشر ،القاهرة ،1965 ، ص :38 ،101

⁽⁷⁾ أبو العلاء المعري:اللزوميات، ج2، ص: 873.

فقد كره الدنيا وهجاها في ديوانيه، فتمثّلها غولا ودار شرور وغيرها من النعوت التي ألصقها بها، فهو يقول:

دنياك دار شرور لا سرور بها وليس يدري أخوها كيف يحترس⁽¹⁾.

ويقول عن الدنيا بعدما خبرها بأنها مليئة بأجناس دنيئة، ويعمها الشر من كل حدب و صوب، ولا يحق للإنسان أن يعيش فيها فهو ظالم إن فعل ذلك:

قد فاضت الدنيا بأدناسها على براياها وأجناسها والشر في العالم حتى اليتي مكسبها من فضل عرناسها وكل حى فوقها ظـــالم

رق عي قرق عن هؤلاء الأنجاس لأن في البعد عنهم طهارة يقول:

طهارة مثلي في التباعد عنكم وقربكم يجني همومي وأدناسي عداوة الحمق أعفى من صداقتكم فابعد عن الناس تأمن شر الناس قد آنسوني بإيكاشي إذا بعدوا وأوحشوني في قرب بإيناس (3)

« فقد كان راغبا في الدنيا ثم رغب عنها وكان قادرا في الحالتين ..كان إنسانيا بين الأناسي من أحل إنسانيته كيلا تضيع أو تمان »(4) .

ولكنه انصرف عن كل زحارف الدنيا وزينتها، داعيا إلى التقشف بمثل قوله:

 $^{(5)}$ لا تشرفن بدنيا عنك معرضه فما التشرف بالدنيا هو الشرف $^{(5)}$.

فزهد لمجرد معرفتها ومعرفة الناس فيها.

وزهدني في الخلق معرفتي به معرفتي به وعلمي بأن العالمين هباء (6) « فكان بذلك يأبي على نفسه طيب الطعام، ولين الثياب، ولا يقبل إلا ما خشن منها يقول:

يكفيك طعم جنسه واحـــد أطعمه ضرت بتجنيسها والثوب في أرضك من وحشها يغنيك عن أثواب تنسيها (1)

\) 98 ****

^{(1) -} أبو العلاء المعري:اللزوميات ج2، ص: 456.

^{(2) -} أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج2، ص. 484.

⁽³⁾ أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج2، ص 475،469.

⁽⁴⁾⁻خليل شرف الدين: في سبيل موسوعة فلسفية، ص: 90.

⁽⁵⁾⁻شوقي ضيف: فصول في الشعر ونقده، دار المعارف، الطبعة الثالثة، (د،ت) ،ص: 113.

^{(6) -} أبو العلاء المعري:اللزوميات، ج1، ص: 36.

ونرى بعض المعاصرين يقرأ قوله في اللزوميات:

وقال الفارسون حليف زهد وأخطأت الظنون بما فرسنه وقال الفارسون عن اللفات إلا لأنّ خيارها عنى خنسنه (2)

« فيظن أنه كان على مذهب أبيقور الذي حرم على نفسه اللذات لما يعقبها من آلام ترجحها وعاش معيشة زهد وقناعة، وليس في بيت أبي العلاء ما يفهم من هذا الزهد الأبيقوري المتفلسف، إنما فيهما ما عرف به من تواضع شديد، فهو لا يريد أن يدل على الناس من حوله بزهده ولذلك يزعم أنه زهد V(s).

وقد عرف المعري بأشياء ثلاثة هي البسمة والحنان والحب، أراد أن يغمر الناس ومن هو موجود أمامه، فلم يجد أحدا، لا أبا ولا أما ولا أصدقاء إضافة إلى الظلمة التي كان يعيشها في هذا الوجود، فأفرغ هذه الأشياء في الحيوانات والطير والحشرات وأديم الأرض، والإنسان المستضعف الذي – حسب رأيه – حسر نفسه ووجوده مرتين، مرة يوم ولد من دون حول له ولا قوة، ومرة سلبت قوته من هذا الوجود.

فلذلك نجده لا يأكل لحما ولا بيضا ولا سمكا ولا عسلا، فقد اقتصر على النباتات رحمة بالحيوانات وفي ذلك يقول:

لتعلم أنباء الأمور الصحائـــ ولا تبغ قوتا من غريض الذبائح لأطفالها دون الغواني الصــرائح كواسب من أزهار نبت فــوائح⁽⁴⁾

غدوت مريض العقل والرأي فالقنى فلا تأكلن ما أخرج الماء ظالمسا ولا بيض أُمَّسات أرادت صريحه ودع ضرب النحل الذي بكرت له

فهو يدعو إلى أن يدع السمك في الماء لا يخرجه ظلما، كما يدعوه إلى الإمتناع عن أكل لحوم الذبائح، وأكل البيض الذي تريده أمهاته لتكوين أولادها فلا يأخذه لنفسه أو للجميلات من النساء وينهاه عن أكل عسل النحل، فقد عانت النحلة وهي تجمعه من الأزهار ذوات الرائحة العطرة فنراه

⁽¹⁾⁻شوقي ضيف :فصول في الشعر ونقده ، ص:113، و أبو العلاء المعري:اللزوميات، ج2، ص: 485.

⁽²⁾-أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج2، ص: 795 – 796.

^{(3) -} شوقي ضيف: فصول في الشعر ونقده، ص: 113.

⁽⁴⁾- أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج1، ص: 197.

قانعا بالمال الزهيد، فكان بذلك « غنيا عن المال لا به »(1) فما أراد أن يجمع مالا ولا جاها ولا ملكا ولا محدا يقول:

من مذهبي ألا أشد بفضة قد حي ولا أصغي لشرب معوج لكن أقضي مدتي بتقنع يغني، وأفرح باليسير الأروج هذا ولست أود أني قائم بالملك في ثوبي أغر متروج

«ويقترن زهد أبي العلاء، أو هذا الأصل الأول من أصول فلسفته بأصل ثان هو تشاؤم واسع، تشاؤم يمتد ظلاله بل ظلماته على جميع مناحي الحياة وقد رأيناه يعرض بعض مناحيها السياسية والاحتماعية عرضا قائما، ليس فيه أي بريق من الأمل بل فيه اليأس المضني الذي احتاح الأمة وجعلها تنغمس انغماسا في حمأة الشر »(3).

فيندفع في تشاؤم شديد السواد فيقول:

« فقد غربت من سماء الدنيا كل كواكب السعد ونجومه، و لم يبق إلا نجوم النحس مطلة على الوجود وكأن أحدا لا يستطيع إنقاذ الناس من كوارث هذا النحس وشرها المستطير، ومن أجل هذه الكوارث يمتنع أبو العلاء عن الزواج، وأن يرزق الولد ويشعر أن ذلك جناية خطيرة أن يجلب إلى عالم السوء والنحس الذي يعيشه مولودا يعرض لشروره» (5).

فيطلب من الناس جميعا أن يمتنعوا مثله على الزواج والتناسل حتى تتوقف وتتحطم الحياة البشرية يقول:

لو أن كل نفوس الناس رائية كرأى نفس تناءت عن خزاياها وعطلوا هذه الدنيا فما ولدوا ولا اقتنوا واستراحوا من رزاياها (6)

فهو ينصح النّاس بإخلاص بأن يتّبعوا سياسته فيكفوا عن الزواج حتّى لا يأتي الأولاد؛ فتمتلئّ الدّنيا هم فيسود الشّر ويعمّ أرجاء العالم.

وخلاصة القول أنّ أبا العلاء المعري عانى من الاغتراب بأنواعه المختلفة وشمل الاغتراب الزماني واسعا والاغتراب الاجتماعي والسياسي وكذا الاغتراب المكاني، وهي كلها أشكال وجدت صدى واسعا

⁽²⁾ أبو العلاء المعري:اللزوميات، ج1، ص: 183.

^{.114:} صوقى ضيف: فصول في الشعر ونقده، ص $^{(3)}$

^{(4) -} أبو العلاء المعري:اللزوميات، ج1، ص: 211.

^{(&}lt;sup>5)</sup> - شوقي ضيف: فصول في الشعر ونقده، ص

^{(&}lt;sup>6)</sup> أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج2، ص: 857.

وكبيرا لدى شاعرنا أبو العلاء ، وقد اتجه لقهر اغترابه إلى طرق عدة منها العزلة والانفراد وكذا الزهد في الحياة فلقد أصبح واضحا بعد كل ما تم تناوله أنّ الاغتراب هو الموضوع الرئيسي في شعر أبي العلاء فهو بمتزلة المحرك لشاعريته، وقد تمخضت عنه تلك الموضوعات الفرعية التي عمدنا إلى ذكرها وتفصيل الكلام فيها، أما الآن فسوف نورد مخططا تقريبيا يجسد التشجير الموضوعاتي لموضوع الاغتراب في شعر المعري.

التشجير الموضوعاتي:

هذا رسم بياني يوضح أهم الموضوعات الفرعية المنبثقة عن الموضوع الرئيسي وهو الاغتراب عند هذا الشاعر الفذ – أبو العلاء المعري – الذي ومن دون شك أنّ ظروفه التي مربحا وحياته المؤلمة التي عاشها ومنذ الصغر مبتدأة بعماه، وموت أبيه وأمه، جعلته في تشاؤم كبير من هذه الحياة التي لم يجد فيها ماكان يتمناه لا خيرا ولا سعادة، ولا ناسا طيبين، هذا ما جعله يحاول الابتعاد عنها فأحس بالاغتراب في أحيان كثيرة فكان هذا الأحير هو الموضوع الرئيسي في شعره، وقد أفرز بدوره عدة موضوعات فرعية كما ولّدت بعض هذه الفروع فروعا أحرى.

فالموضوع الفرعي الأول هو الاغتراب الزماني الذي يتم داخل المجتمع وبين أوساط الناس، وقد أفرز موضوعين فرعيين آخرين هما الشاعر وأحداث الزمان ومن بين الكلمات الدالة والمجسدة لهذا الموضوع نحد مثلا: دهر، زمن، زمان، ليالي، أيام، خطوب وغيرها كما تمخض عن الاغتراب الزماني موضوع فرعي ثان وهو الشاعر والموت الذي حددته ألفاظ متواحدة في ديوانيه سقط الزند واللزوميات، وهي: الموت، المنون، الحمام، المنايا، المنية وغيرها.

أما الموضوع الفرعي الثاني لموضوع الاغتراب فهو الاغتراب الاجتماعي والسياسي، فالاغتراب الاجتماعي تمخض عنه موضوعان هما الاغتراب عن الناس المتمثلين في أهل الدين وأهل الأدب والشعراء إضافة إلى المتصوفة والنساء ومن الألفاظ الدالة عليه هو: رياء، مارد، مغرور وغيرها.

والثاني هو الاغتراب عن قيم المجتمع وعاداته وتدور في فضائه المعجمي: غواة: لؤماء، أدناس، ذئاب وغيرها.

أما الموضوع الفرعي الثالث وهو الاغتراب السياسي فقد حاولت إدراجه مع موضوع الاغتراب الاجتماعي في فصل واحد، لأن لهما علاقة ببعضهما بالرغم من أن كل موضوع من هذين الموضوعين يشكل نوعا من أنواع الاغتراب قائما بذاته، والعلاقة تكمن في أن الاغتراب السياسي يعني انفصالا عن طبقات الحكام والأمراء الذين يمثلون الحياة السياسية التي هي جزء من المجتمع، فالمجتمع يدخل في ضمنه كل ما هو متعارف عليه من عادات وتقاليد وأعراف الشعب وهم العامة من الناس إضافة إلى الحكام الذين يمثلون الطبقة العليا في المجتمع ،فأي انسلاخ وانعزال عن السياسة والحكم يعني انفصالا عن المجتمع الذي تمثله هاته الهيئة الحاكمة.

وقد دلت على موضوع الاغتراب السياسي بعض الكلمات من مثل السوء، الظلم، مكوس، غرامات.

والملاحظ هنا أن الموضوعات كلها - تقريبا - متداخلة ماعدا الاغتراب المكاني فنجد مثلا أحداث الزمان متداخلة مع الاغتراب الاجتماعي ومع العزلة وغيرها والاغتراب الاجتماعي متداخل مع الاغتراب السياسي وهكذا

أمّا الموضوع الفرعي الرابع فيتمثل في الاغتراب المكاني والذي أفرزالاغتراب عن الوطن متحسدا في الغربة، والاغتراب، والمغترب، والبعد، وغيرها من الألفاظ الدالة عليه.

وموضوع الحنين الذي هو من مخلفات الاغتراب المكاني يتفرع إلى موضوعين هما الحنين إلى الوطن ومفردات معجمه هي الوطن، البلاد، المعرة، الأرض، والموضوع الفرعي الثاني هو الحنين إلى بغداد والمفردات الدالة عليه هي بغداد، العراق، الكرخ، الفرات، ...الخ.

إضافة الى تلك الموضوعات الفرعية نجد طرق قهر الاغتراب ومن بين هذه الوسائل التي استعملها المعري العزلة إذ استثمرها في تحصيل العلم و التأليف والتدريس إضافة الى زهده في هذه الدنيا التي كانت في نظره كلها مشقة وتعب لذلك لجأ الى هذا النّوع من الوسائل وقد عبّر عنهما المعري مستعملا مختلف الألفاظ مثل الوحدة، الانفراد، الانعزال وغيرها من الكلمات التي تعبّر وتوحي عن هذا الموضوع الفرعي.

إذن هذه هي الموضوعات التي تكوّن موضوع الاغتراب عند المعري وقد استخلصت من ديواني المعري -سقط الزند واللزوميات-فهذه الموضوعات التي أدّت الى اغتراب الشّاعر زمانيا واجتماعيا وسياسيا ومكانيا هي موضوعات تثبت مدى إحساسه العميق بالاغتراب والانعزال.

توطئة:

لقد كانت دراستي في الفصول السابقة منصبة حول موضوع الاغتراب لدى أبي العلاء المعري وعلاقته بواقعه ووسطه الاجتماعي والسياسي والثقافي، أما الآن فسنتناول العناصرالفنية التي استخدمها المعري، لكي يعبّر عن غربته وحنينه، والهدف من ذلك هو محاولة معرفة «كيفية سيطرة الأديب أو الفنان على عناصر لغته واستثمار خصائص الألفاظ، وما توحي به من ارتباطات ومن قرائن $^{(1)}$ خاصة «وأن اللغة هي عنصر من أهم العناصر في العمل الإبداعي $^{(2)}$ فوجودها ضروري في أيّ عملية إبداعية وذلك لتوصيل ماهو في ذهن المتكلّم، «وهي ليست حاهزة إنما تتكون، وهي في تكونما لا نموذج لها من حارج عنصرها المحدد، لكنها بوصفها شكلا تحاول إعادة تشكيل اللغة $^{(6)}$ ونظرا لأهميتها خضعت لتعريف وتحديد مجالاتها من طرف الكثير من الأدباء والنقاد، « فعرفها بذلك القدماء على أنما أداة للتعبير $^{(4)}$ وانطلاقا من هذا القول يتبين أنّ الألفاظ باتت وسائل لتجميد هذه اللغة وهذا ما نستشفه في قول "حليل الحاوي " « إنّ اللغة التي ترسخ فيها تراث شعري تقررت أنماطه وأشكاله تميل إلى الجمود فتمتنع عن اللغة وتقاوم التطور، ويكون على الشاعر الذي يتشوق إلى الأصالة والتحديد أن يشيح عن اللغة التقليدية ويحاول حلق لغة مستمدة من طبيعة تجاربه وتجارب الإنسان في عصره $^{(5)}$.

فحتى يكون الإنسان غير منفصل عن واقعه والوجود الذي هو فيه يجب عليه خلق لغة تعبر عن هذا الأخير – الوجود – بكلمة تدل عليه أو أكثر من كلمة وهذا ما دعا إليه (يوسف الخال) حيث قال : «اللغة ليست صندوقا نحتفظ به في خزائننا ونستخرج منه الألفاظ لكي نضعها علامة على الأشياء والأفكار وليست الألفاظ منفصلة عن الوجود حتى يصح أن نضع الشيء الواحد أكثر من كلمة تدل عليه» (6) فالشكل الفني للغة يختلف من شاعر لآخر ومن تجربة لأخرى إذ تعكس واقعه وفكره ونفسيته. وفي الحقيقة هذه العناصر وعناصر أحرى متكاملة فيما بينها وتعمل مع بعض،أمّا فصلها فقد اقتضت إليه ضرورة البحث.

⁽¹⁾ محمد زكي العشماوي: قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث، ص: 43.

^{.415} ص: 2001، ط)، النقد الأدبي الحديث، لهضة مصر للطباعة، (د، ط)، 2001، ص $^{(2)}$

⁽³⁾– إلياس خوري: الذاكرة المفقودة، دراسات نقدية، شؤون فلسطينية، بيروت، ط1، 1982، ص: 220.

⁽⁴⁾ عبد الحميد حيدة: الاتجاهات الجديدة في الشعر العربي المعاصر، مؤسسة نوفل ،بيروت ،ط1 ،1980، ص:333.

⁽⁵⁾ عز الدين إسماعيل: قضايا الشعر العربي المعاصر، دراسات وشهادات، المنظمة العربية للتربيــة والثقافــة والعلــوم، إدارة الثقافــة، تــونس، 1988، ص: 195.

⁽⁶⁾ يوسف الخال: الحداثة في الشعر ، دار الطليعة، بيروت، (د، ط، د، ت)، ص: 19.

وسنحاول في هذا الفصل التعرف على الطريقة التي وظف بها المعري أدوات لغته للتعبير عن اغترابه.

- وكيف استطاعت صوره التعبير عن غربته وحنينه وشوقه ؟.
- -وعلى الكيفية التي سخر بما العناصر الإيقاعية للألفاظ لحساب معانيه ؟
 - -وكيف أثرهذا الموضوع -الاغتراب- على الموسيقي الشعرية؟

أ- المعجم الشعري:

عندما نحاول أن نتوقف عند المعجم الشعري يعني أنّنا نحاول إلقاء نظرة على الخصائص العامّة للألفاظ الأساسية التي يعتمد عليها المعري للتّعبير عن اغترابه، «حاصة وأنّ مسألة الألفاظ تعدّ من المسائل التي تثار دائما في نقد الشعر» (1).

ونظرا لأهمية هذا العنصر فإنّنا سنحاول تتبعه في ديوانيه سقط الزند واللزوميات لمعرفة ما إن كان موضوع الاغتراب يستأثر بلغة خاصة به في شعر المعري.

والمتمعن في ألفاظ المعري التي سبقت في ديوانيه يجدها غامضة نوعا ما إذا ما قارناها بمن قبله وأقرانه من مثل المتنبي الذي جاء أسلوبه واضحا بعكس أسلوب المعري.

فغموض ألفاظه وقوة أسلوبه وجودة سبكه تدلنا على أنّ هذا الزمن الذي عاش فيه المعري هو زمن التصنع في الأدب شعره ونثره.

وهي أكبر دليل على أنّ المعري يملك قدرات هائلة في مجال الأدب مما جعله يتحدى بها النّاس، حيث قال مفتخرا:

وإنّي وإن كنت الأخير زمانه لآت بما لم تستطعه الأوائل الله (2)

والمعجم الشعري لموضوع الاغتراب يستمد مادته اللغوية من «القرآن الكريم الذي قرأه على يد مشاهير الحفظة والدارسين في عصره» (3) كما يستمد مادته من الحديث الشريف والشعر العربي القديم والأمثال والتاريخ وغيرها.

واستعمالات معجم الاغتراب في شعر المعري تدور في محاور رئيسة تتمثل في مختلف الموضوعات الفرعية التي تناولناها سابقا كالاغتراب الزماني، والاغتراب الاجتماعي والاغتراب المكاني وغيرها.

⁽¹⁾⁻ شوقي ضيف: دراسات في الشعر العربي المعاصر، دار المعارف، مكتبة الدراسات الأدبية، ط8، (د، ت)، ص : 195، 198.

^{.106 : ...} البو العلاء المعري: سقط الزند، ص $^{(2)}$

⁽³⁾⁻ على شلق: أبو العلاء المعري والضبابية المشرقة، ص: 13.

وقد استقى المعري بعض ألفاظه ومعانيه من القرآن الكريم ويظهر ذلك عموما في قوله الذي أشار به الى موسى فقال:

كنت موسى وافتك بنت شعيب غير أن ليس فيكم من فقيــر⁽¹⁾ إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ربِّ إِنِي لمَا أَنزِلتَ إِلِيّ من حير فقير ﴾ (2) .

و قو له:

لست الكليم وفي دار مباركة حللت والجانب الغربي نوديتا⁽³⁾

إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ ﴾ إلى قوله في نفس السورة:

﴿ وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿ (4)

كما نجده يقول:

وألقى الموت، لم تحد المطايا بحاجاتي ولم تجف الجياد⁽⁵⁾

فهو مأخوذ من قوله تعالى : ﴿ فَهُمَا أَوْ جَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ ﴾ (6)

فها هو المعري يقول وهو في صدد الحديث عن الأرض:

وإذا الأرض وهي غبراء صارت من دم الطعن وردة كالدهان (7)

⁽¹⁾⁻ أبو العلاء المعري: سقط الزند، ص: 54.

⁽²⁾ القصص/24.

^{(3) -} أبو العلاء المعري: سقط الزند، ص: 296.

^{.44،30/} القصص ⁽⁴⁾

⁽⁵⁾⁻ أبو العلاء المعري: سقط الزند، ص:65

^{(&}lt;sup>6)-</sup>سورة الحشر/6.

⁽⁷⁾أبو العلاء المعري: سقط الزند، ص: 94.

فهي مأخوذة من قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَان ﴾ (1) وللألفاظ الدينية حظ كذلك في موضوع الاغتراب من ذلك قوله:

إذا الحرباء أظهر دين كسرى فصلى، والنهار أخو الصيام وأذّنت الجنادب في ضحاها أذانا غير منتظر الإمـــام

و يقو ل:

لاص تجزى عن يونس وبراءة (3)

فصلاة الفتاة بالحمد والإخـ

كما نجده يقول:

وقبل صلاته وجب الآذان (4)

ويقول:

وعند ضياء الفجر صليت الضحى وعند غروب الشمس صليت العصر وما يحمل التقصير في كل موطن ولا كل مفروض الصلاة له قصر (5) وقد اقتبس إضافة إلى القرآن الكريم من الحديث النبوي الشريف فنجده يقول:

«قال اعمل لأخراك شروى من يموت غدا وادأب لدنياك فعل الهابر الباقي فهو مقتبس من قول رسول الله الكريم { احرث لدنياك كأنك تعيش أبدا واعمل لآخرتك عمل من $.^{(6)}$ يمو ت غدا

⁽¹⁾ سورة الرحمن/37.

⁽²⁾⁻ أبو العلاء المعري: سقط الزند، ص: 278.

⁽³⁾⁻ أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج1،ص: 49.

⁽⁴⁾⁻ أبو العلاء المعري: سقط الزند، ص: 49.

^{(5) -} أبو العلاء المعري:اللزوميات، ج1،ص: 245.

^{(6) -} أبو العلاء المعري:اللزوميات، ج2،ص:580.

ويمكن أن نتبين إقباله على الشعر القديم وتقيده بتقاليده الفنية الموروثة وسيره على خطى السابقين من خلال هاته القراءات التي سوف نوضحها.

فقد استقى المعري بعض ألفاظه ومعانيه من الشعراء أمثال امرؤ القيس والمسيب بن علس والمتنبي وأبو تمام وغيرهم كثير ممن سوف ندرجهم في هذا الجحال.

ففي البداية نحاول أن نوضح استقاء أبي العلاء المعري للألفاظ المتداولة في أشعار غيره من الشعراء السابقين وهذا ما يظهر في قوله:

ي عنينا بكل أصهب عان(*)

من خمر عانه أم كروم َشبَام⁽¹⁾

إن كنّ لسن الإسراف وإطماع عن المسيّب، أرواح لقعقاع (2)

.

وغذاؤهن الشت والطبساق

أم أم خشف بذي شت وطُبَّاق (3)

نجده حين كان يرثي أمه يستعمل لفظتين "لدريد "للدلالة على عمق المأساة فيقول: همام (4)

عليّ و لاية صمي صمام ولما يأتكم صمى صمام⁽⁵⁾ ولو أنّا جُـنْزنا إلى شربهـا النهـ

َ أَنْفٍ كُلُونَ دَمَ الغَــزالَ مَعَتّــــق

ويقول آخذا عن المسيب بن علس لفظة القعقاع: إنّ الهدايا كرامات لآخذها

ولا هدية عندي غير ما هملــــت

كما أنه أحذ عن تأبط شرا لفظتي الشت والطباق؟، حيث قال المعري:

لم تنصفي، غذيت أطيب مطعمم فقد ظهرت في قول الشاعر الجاهلي تأبط شرا:

كأنما حثحثوا حصا قوادمسه

سمعت نعيها صمي صمام فهاته الكلمة أخذت من قول (دريد):

> متى كان الملوك لكم قطينا فأدوانا ناقتي لا تأكلـــوها

^{(**-}عان : قريبة من الفرات ذكرت في شعر امرئ القيس.

⁽¹⁾⁻ أبو العلاء المعري: سقط الزند، ص: 95.

^{(2) -} أبو العلاء المعري: سقط الزند، ص: 152.

^{(3) -} أبو العلاء المعري: سقط الزند، ص: 195.

^{(&}lt;sup>4)-</sup> أبو العلاء المعري: سقط الزند، ص: 273.

^{(5) -} أبو العلاء المعري: سقط الزند، ص: 273.

فأحذه للألفاظ ومن هذا النوع كثير وظاهر في شعره وديوانيه وهذا ما نلمحه أيضا في قوله:

إذا رفعوا كلامهم بمدح فلفظي في مواطنه رسيس

أخذ من قول ذي الرمة (لفظة رسيس):

إذا غير النأي الحبين لم يكــــد رسيس الهوى من حب مية يبرح(1)

كما أنه لم يهمل من خلال قوله عبارة (ألا يا سلمي)

أموت به واحدا مفردا وأدفن في الأرض لم تظلم وأبعد عن قائل لا سلمت وآخر قال ألا يا سلمي

والتي استقاها من قول هذا الشاعر الذي يقول في بيته:

ألا يا سلمى يا دار مي على البلى ولازال منهلا بجرعائك القطر (2) وكما أحذ أبو العلاء المعري عن الشعراء بعض الألفاظ، نحده يأخذ المعاني والأفكار منهم وهذا ما يظهر في قوله حين شبه الليل بالبحر قال:

كأنّ دجاه الهجر، والصّبح موعد قطعت به بحـــ ا يعبّ عبابــــــــه

فالبيت الأحير يشبه قول امرئ القيس حين قال:

وليل كموج البحر أرخى سدوله ويقول شاعر آخر:

يغطي عيوب المرء كثرة مالـــه ويرزي بعقل المرء قلـــة مالــه فأحذ عنه المعرى هذا المعين ويظهر في قوله:

بوصل وضوء الفجر حب مماطل وليس له إلا التبلج، ساحل

يصدق فيما قال وهو كذوب يحمفه الأقور وهو لبيسب⁽⁴⁾

^{(2) -} أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج2، ص:763.

⁽³⁾⁻ أبو العلاء المعري: سقط الزند، ص: 109

⁽⁴⁾⁻ أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج2، ص:462.

أم الأقوام كلهم رجوس وبالأخوات أعرست المجوس ورزقت إثراء فقيل مقرطسس⁽¹⁾

كما أنه لم يكتف بأخذ الألفاظ والمعاني فقط عن الشعراء بل تعدى إلى توظيف أسمائهم وألقابهم والاستشهاد بمقاطع من أشعارهم ويظهر ذلك في ذكره للحطيئة فقال:

فيها من الأبناء دعوة جرول (*)(2)

قال دنياك أم قد أجاب مليكها ويقول مستعملا امرأ القيس في قصائده:

إذ مال من تحته الغبيط (4)

أين امرؤ القيسس والعذارى ويقول أيضا:

أغــص جميع الشائمين بــريق⁽⁵⁾

كأن بريقا لامرئ القيس لامعا ويقول عنه:

وصاحت ديار الحي أين لبيد وطالت ليال والمعالم بيد⁽⁶⁾

مضى الواقف الكندي والسقط غابر تولى ابن حجــر لا يعــود لشأنــه

والكندي هو امرؤ القيس وقد أشار إلى مطلع معلقته بقوله:

دعا أدمع الكندي في الدُّمن السقط

بنازلة سقط العقيق بمثل ها

فهنا الشطر الثاني من بيت المعري مأخوذ من قول امرئ القيس:

بسقط اللوى بين الدخول فحومـــل⁽⁷⁾

^{(1) -} أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج2، ص

^{(*)-} حرول هو الحطيئة الشاعر المعروف بالهجاء.

^{(2) -} أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج2، ص: 676.

^{(&}lt;sup>3)</sup> أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج2، ص: 756

^{(4) -} أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج2، ص

⁽⁵⁾- أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج2، ص: 579.

^{(6) –} أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج1، ص: 213

⁽⁷⁾ أبو العلاء المعري: سقط الزند ،ص: 298.

كما لم ينس المعري شعراء المعلقات فراح يوظفهم قي شعره ويشخص أهم مميزاتهم فيقول عن لبيد بن ر بيعة:

> تزخر عند الضحى مسابلها أين لبيــــد وأين أسرتـــه

> > وهو القائل أيضا عن عنترة العبسى:

يبكى على منازل عبلـــة (1) هل ترى ناعيا كعنترة العبسي

كما ذكر (ابن العبد) حيث قال:

فمضى وشيكا واستقر الإبـرق⁽²⁾ وتعهد بن العبد بُرقة ثُهمـــد

ونجده في مجال أخر يذكر السليك والشنفرى:

فيا للسليـــك أو الشنفـــرى ⁽³⁾

وبرغم اطَّلاع المعري على الشعر الجاهلي وتأثره به إلَّا أنه لم يكتف به لصقل موهبته وإثراء لغته بل التفت إلى الشعر الإسلامي والأموي والعباسي فأخذ بعض الألفاظ والمعاني من شعراء هذين العصرين من ذلك قول المعرى:

ولا يُعدي على الشمس اضطغـــان ومضطغن عليك وليس يجــــدي فالحاقد عليك في نظر المعري كالحاقد على الشمس لا يضرها ولا ينقص منها شيئا وهذا قريب من قول المتنبى:

> فليس يرفعه شيء ولا يضع من كــان فوق محل الشمس موضعه وقد قال في موضع آخر متأثرا بقول المتنبي حين مدح الحسين بن إسحاق التنوحي:

وصف، لطف الأفكار والأذهان وسجايا محمد أعجــزت في الـــــ

فهو شبيه بقول المتنبي حين قال عن ابن إسحاق:

فأبدع ختى جل عن دقة الفهمم (5) لألقى ابن إسحاق الذي دق فهمــه

 $^{^{(1)}}$ أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج2، ص $^{(1)}$

^{(&}lt;sup>2)</sup>- أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج2، ص: 565.

⁽³⁾- أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج1، ص: 58.

^{(&}lt;sup>4)</sup>- أبو العلاء المعري: سقط الزند، ص:48.

⁽⁵⁾⁻ أبو العلاء المعري: سقط الزند، ص: 94.

وتلقى رداهن الذرى والكواهـــل

عيدان نجد ولم يعبأن بالرثم(1)

وقد ظهر اقتباسه واضحا للمعني في شعر أبي تمام، فيقول المعري مشبها أكابر الناس بالذري وأصاغرهم بالأخفاف:

تحامی الرزایا کل خف ومنســــم

فهو شبيه في المعنى بقول أبي تمام حين قال:

إنّ الرياح إذا ما أعصفت قصفت

وقد تحدث عن الفرزدق فقال عنه:

كما قد يضمن شعره عبارات أو ألفاظ بعينها لشاعر معين دون أن يتصرف فيها ولكنه قد يأتي بها في سياق مختلف غير السياق الذي سيقت فيه، ودليل ذلك ذكره للعجاج وبعض ألفاظه التي قالها في شعره فيقول:

ما خلت همّاما(*) لو إتباعها يفر من خوف أبي جهضم

بو قفة العجـــاج في سمســــم هل سمسم، فيما مضى عـــالم فهو هنا يشير إلى قول العجاج:

بسمسم أو عن يمين سمســـم (3) یا دار سلمی یا سلمی ثم اسلمیی ويشير المعري إلى شاعر آخر من الشعراء المعروفين بالنقائض ألا وهو (حرير) فيقول ذاكرا إياه في مطلع هاته القصيدة:

> يرفض عنه ذكيّ المسك مفتـــوحا ليست كزعم جرير، بل لها مسك فهنا إشارة إلى قول جرير:

تزاحم علجا صادري على كفل لقد قوست أم البعيث ولم تـــزل لها مسكا في غير عــاج ولا ذبـــل⁽⁴⁾ ترى العيس الحولي جونا بكوعها

كما أشار إلى الوليد بن عبيد البحتري وهو من شعراء العصر العباسي حيث قال: وقال الوليد:

وأخظأ، سرب الوحش من ثمر النبع(5) النبع ليس بمثمـــــر

^{(1) -} أبو العلاء المعري: سقط الزند، ص: 110.

^(*) – همام هو الفرزدق.

^{(2) -} أبو العلاء المعري: سقط الزند، ص: 330.

⁽³⁾- أبو العلاء المعري:سقط الزند، ص: 331.

⁽⁴⁾⁻ أبو العلاء المعري : سقط الزند، ص: 294.

⁽⁵⁾⁻ أبو العلاء المعري: سقط الزند، ص: 263.

إضافة إلى أسماء الذين استقى منهم النحو والعروض والأوزان.

تولى سيبويك وجساش سيب من الأيام فاختل الخليل (1)

ويقول:

ما النحو والشعر والكلام وما مرقش والمسيب بن علس (2)

ولأن العصر العباسي الذي عاش فيه أبو العلاء المعري هو عصر الحروب والصراعات وتكاثر الأحزاب والمذاهب، ظهر ذلك حليا في شعره حين كان يصور لنا أسماء أكبر المذاهب المنتشرة آنذاك فقال:

وعنوا فقال الشافعي ومالك وأبو حنيفة قبل والخصاف(3)

والمعري لا يستقي ألفاظه وعباراته من الشعر القديم فقط بل يستند إلى كلام العرب وأقوالهم وأمثالهم مثل قوله مبينا أن جعفر بن علي الذي رثاه هو مدفون قريب منهم ولكنه بعيد عنهم فاستدل باليد كدلالة على القرب مثلما كانت تفعل العرب، واستدل بالكوكب أيضا للدلالة على البعد فقال:

فبات أدبى من يد بينسا كأنه الكوكب في بعده (4)

ويقول:

إذا لاح إيماص (*) سترت وجوهها كأني عمرو والمطي سعالي

فهو يشير هنا بهذا البيت إلى قصة عمرو بن يربوع الذي تزوج وحذّروه من البرق الذي غفل عنه في يوم ما، فلما رأته زوجته قالت هذا البيت:

أمسك بينك عمرو إني آبق برق على أرض السعالي آلق (5)

فالبرق رمز لحنينها إلى وطنها، فسارت بذلك ولم يرها من بعد ذلك، كما أخذ عنهم قولهم للتعبير على الإنسان الذي لا يأتي إلا مرة واحدة يقول:

فهما، للوداع، معتنقــان

« وكأنّ الهلال يهوي الثريا

 $^{^{(1)}}$ أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج2، ص: 623.

^{(2) -} أبو العلاء المعري:اللزوميات، ج2، ص: 489.

⁽³⁾ أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج2، ص: 546.

⁽⁴⁾ أبو العلاء المعري: سقط الزند، ص: 206.

^{(*)-} الإيماص: هو لمع البرق.

^{(&}lt;sup>5)-</sup> أبو العلاء المعري: سقط الزند، ص: 237.

فهو مأخوذ من قولهم: (ما يأتينا فلان إلا عدد القمر والثريا) و (إلاقران القمر الثريا) »(¹⁾.

ويقول:

«وإني لُمُثْر، يا ابن آخــر ليلــــة وإنْ عزّ مال، فالقنوع ثـــراء

(فيا ابن ليلة) يراد به الذم والتعيير، لأن العرب تعتقد أن الأمّ إذا حملت في آخر ليلة من طهرها قبل الحيض جاء ولدها مذموما وهو ما يسمى بالوُضع»(2).

كما اعتمد على بعض الأمثال التي قيلت في سالف الأزمان من مثل:

«لابد للحسناء من ذام، ولا ذام لنفسى غير سيء بختها فهو مأخوذ من المثل الذي يقول: (لا تعدم الحسناء ذاما)» (3) و يقو ل:

«فوطئن أوكار الأنوق وروعت منها وبات المهر ضيف الهيشه مستقى من أمثالهم: (أعز من بيض الأنوق) و (أبعد من بيض الأنوق)» (4) كما استعملت العرب قديما لفظة (قتاد) كمثل يضرب في الأمر الصعب قال المعري:

رآك شوك قتاد ليـس يمكتـه ولو رآك غضيض النبت لا تبقلـك (5)

كما لجأ إلى توظيف التاريخ مثلما نجده يقول موظفا التاريخ الإسلامي:

وعلى الدهر من دماء الشهيد دين على ونجله شاهدان ومبيد الجموع من غطفان راض في كل منطق والمعاني (6)

يا ابن مستعوض الصفوف ببـــدر أحد الخمسة الذين هم الأغــــ

ويقول موظفا التاريخ العام:

 $^{^{(1)}}$ أبو العلاء المعري : سقط الزند، ص: 90.

 $^{^{(2)}}$ أبو العلاء المعري: سقط الزند، ص $^{(2)}$

[.] 210 : سقط الزند، ص $^{(3)}$

^{(&}lt;sup>4)</sup> - أبو العلاء المعري : سقط الزند، ص: 71.

^{(&}lt;sup>5)</sup>- أبو العلاء المعري : اللزوميات، ج2، ص: 607.

⁽⁶⁾⁻أبو العلاء المعري : سقط الزند، ص: 92.

وما نأت القرابة من رجال أبوهم يافث وأبوك سام(1)

فكما هو معروف يافث وسام أولاد نوح عليه السلام، ويافث هو أبو الأتراك والصقالبة ، أما سام فهو أبو العرب وفارس والروم.

ويقول:

وكما عاد أباد وكم ثمود أتاها صالح ذات المرار (2)

وقد عدّد إضافة إلى أسماء كل من قبيلة عاد وثمود، أسماء قبائل أخرى عربية وغير عربية كانت موجودة في القديم وهي على حدّ قوله:

هل فارس والروم والترك أو ربيعة أو مضر أو سباً ناجية في عز أملاك ها ما خباً (3)

ويقول:

لتذكر قضاعة أيّام ها وتُزه بأملاكها حِمْيَ ر فعامل كسرى على قرية من الطّف، سيّدها المنذر (4)

«ويقول مشيرا إلى تلك القصة التي ذكرت في التاريخ من أن موسى نبي الله وجه (يوشع بن نون) إلى أريحا فقتل الجبابرة وبقيت منهم بقية فخشى أن يحول الليل بينه وبينهم فدعا الله بأن يحبس عليهم الشمس ففعل فهو يقول مشيرا إليها:

ويوشع رد يوحا بعض يوم وأنت متى سفرت رددت يوحا فنال محبك الدارين فورا وذاق عدوك الموت المريحا (5).

ويمكن القول أنّ أبا العلاء المعري قد عاد في تكوين معجمه الشعري وإثرائه إلى القرآن والتراث والتاريخ وعودته إليهم لا يعني نقصا في أسلوبه وقدراته ولا يطعن في شاعريته ولا يحطّ من قدره ما دام أنه يصوغ المعاني القديمة صياغة مبتكرة، ويوظف الألفاظ توظيفا جديدا.

^{.711} أبو العلاء المعري : اللزوميات، ج2، ص $^{(1)}$

⁽²⁾ أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج1، ص: 381.

⁽³⁾⁻أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج1، ص: 53.

^{(4) -} أبو العلاء المعري: سقط الزند، ص: 222.

⁽⁵⁾ م أبو العلاء المعري: سقط الزند، ص:63.

و قد تميّز معجم المعري"بالتكرار" « فهو ظاهرة لغوية من حيث اعتماده في صوره البسيطة والمركبة على العلاقات التركيبية بين الكلمات والجمل، والمراد به هو إعادة ذكر حرف أو كلمة أو عبارة بلفظها ومعناها في موضع آخر أو مواضع متعددة الأحداث» (1).

ويظهر لنا تكرار اسم فعل الأمر في قوله:

هيهات هيهات هذا منطق كـــذب في كل صقر زمان كلئن قطم (2) أما تكرار كلمة بعينيها في البيت الواحد فيظهر في قوله:

فلو سمح الزمان بها لفنت ولو سمحت لفن بها الزمان⁽³⁾ وقوله:

ويبدي لدنيا الفتى وجه ضاحك وما فتئت تبدي له وجه عابــس(4) ويقول:

إن دمعي نبع وما العود نبيع وحوافي من مترل الهم ربيع وقل الزمان) وفي فنلاحظ أنّ الشاعر قد كرر كلمة معينة في كل بيت، فنلمح في البيت الأول تكرار لفظة (الزمان) وفي البيت الثاني تكرار لفظة (وجه) وفي البيت الثالث تكرار لكلمة (نبع) وكل هذه التكرارات بمثابة نغمة

تصور المشهد بكامله وتعبر عن جو القصيدة.

ويكون التكرار جملة نحو:

وإن كان غيث، فأعده عن بــلاده وإن كان موت، فاسقها من زؤامه⁽⁶⁾ ونحو قوله أيضا:

وطال وقت علي ماض فغادره بلا جهار ولا أثر ولا أثـر والأرح وقوله:

^{.211} ص: (د، ط، د، ت)، ص: العربي المعاصر، دار الوفاء، (د، ط، د، ت)، ص $^{(1)}$

⁽²⁾⁻ أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج2، ص:710.

⁽³⁾– أبو العلاء المعري: سقط الزند، ص :46.

^{(&}lt;sup>4)</sup> أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج2، ص: 471.

⁽⁵⁾ أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج2، ص:528.

^{(6) -} أبو العلاء المعري: سقط الزند، ص: 104.

^{(7) -} أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج1، ص:364.

فهل زاور هذي الإبل طيف الخيال(1)

لقد زارني طيف الخيال فهاجي ويكرر عدة كلمات في البيت:

كما خُط في القرطاس رسم على رسم

فإين رأيت الحزن للحزن ماحيا

كما قد يكرر كلمة في عدة أبيات من مثل قوله:

كبرت يعد لهـــدي دليــــلا كبرت يجذ قليــــلا قليــــلا⁽³⁾

كبرت فأصبحت للراشدين كبرت فمازال هذا الزمسان

وقد يشمل التكرار عدة أبيات وأحسن مثال قوله:

وعيد فطر وعيد نحير ونحن في حدعة وسحير (⁴⁾ عصر شتاء، وعصر قیظ
ویرم نعمی، ویرم بوس
ویقول:

بشاشة خانت أهلها وبشاش بلحم ويثني مقرما بخشاش⁽⁵⁾

بشاشة أيام مضــت وشبيبــة وما زال هذا الدهر يثني جوامحا

وهكذا، فإنّ التكرار في أسلوب المعري ينطوي على أهمية إيحائية بالغة إذ يأتي به لتأكيد المعنى والإلحاح عليه.

وألاحظ من خلال تتبعي لموضوع الاغتراب عند هذا الشاعر ميزة أخرى من ميزات معجمه الشعري وهو استعماله الواسع لأدوات الاستفهام وذلك للإفصاح عن غربته وحالته السنعورية ؛ منها صيغة الاستفهام: « فهي المعوّل عليها في شعر الغربة، وهي الأساس في البناء، إذ أن الشاعر المغترب يعاني مصيرا مجهولا بين هجرة، وسجن، ووطن ضائع، وقيم عربية إسلامية زائلة، ولا يدري سوى أنه يرسل ذلك الاختناق في شكل أسئلة حيرى، تنم عن عميق الإحساس بالغربة التي فرضت عليه...» (6) وقد وظفت هذه الأدوات لتؤدي معاني عديدة وممتنوّعة، وهذا ما سنحاول توضيحه.

يقول:

 $^{^{(1)}}$ أبو العلاء المعري: سقط الزند، ص: $^{(2)}$

^{(2) -} أبو العلاء المعري: سقط الزند، ص: 171.

^{. 651:} -(3) أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج2، ص

⁽⁴⁾ أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج1، ص: 370.

⁽⁵⁾ أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج2، ص: 491.

⁽⁶⁾⁻ عمر بوقرورة : الغربة والحنين في الشعر الجزائري الحديث، ص: 233.

بتأخر يوم أن أعض على خــس ⁽¹⁾

أخمسين قد أفنيتها ليس نافعي و يقو ل:

أأصبح في الدنيا كما هو عالم وأدخل نارا مثل قيصر أو كسرى (2)

ويقول في موضوع آخر مستفسرا عن الفراق والرحيل من الدنيا:

متى أفارق دنياي التي غـــدرت ويدرك اسمى في الأسماء تطليـس (3)

كما نحده يستفهم عن هذا الموت الذي هو بالتأكيد سوف يفكه من تلك المعيشة - بحسب رأيه -يقو ل:

فالعيش أوثقني وشد رباطـــــا⁽⁴⁾

أيفكني هذا الحمام تفضلا

ويقول:

فمتى أودع خلي التوديـــعا (5)

خاللت توديع الأصادق للنوى

ويقول أيضا:

على قدم كادت من الليل تنهال (6)

وهل يحزن الدمع الغريب قدومه

ويقول مستفهما في أكثر من بيت:

أما لشباب الدجي من مشيب؟ أقصت نسور نجوم السماء فلم تستطع فهضة للمغيب? (7)

أقول، وقد طال ليلكي

فهو هنا يستفهم بالأداة (أما) وغرضه الاستفسار عن الشباب الذي دام طويلا و لم يحن مشيبه.

كما نلاحظ في أشعار المعري ظاهرة أخرى وهي مزج التعجب بالاستفهام في أبيات القصيدة الواحدة وهذا ما يظهر في قوله:

> وهل كُفّ طعن عنكــم ونضال؟ وما حان من شمس النهار زوال؟

بني غدر! هل ألفتم الحرب مُــرة وهل أظلمت سحم الليالي عليكـــم

⁽¹⁾ أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج2، ص: 467.

⁽²⁾ أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج1، ص:62.

⁽³⁾⁻ أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج2، ص: 459.

⁽⁴⁾ أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج2، ص:513.

⁽⁵⁾⁻ أبو العلاء المعري: سقط الزند، ص: 309.

⁽⁶⁾⁻ أبو العلاء المعري: سقط الزند، ص: 245.

⁽⁷⁾⁻ أبو العلاء المعري: سقط الزند، ص:127.

رعال ترامي خلفهن رعــــال؟ (1)

وهل طلعت، شُعث النواضي عوابســا و يقو ل:

فيا برق! ليس الكرخ داري، وإنّما رماني إليه الدهر منذ ليال فهل فيك، من ماء المعرة قط_رة تغيث بها ضمآن ليس بسال؟ (2)

وقد استعمل الشاعر أداة الاستفهام (هل) والغرض منها هو النفي الإنكاري، فالشاعر مثلا في البيتين الأحيرين أراد أن يستفهم بعدما ذكّره البرق بوطنه المعرة عن ماء بلاده الذي في نظره لن يضاهيه أي ماء وفي أي بلاد.

ويقول مستفهما ومتعجبا من المرأة التي كرهته لمشيبه بالرغم من أنه لا ذنب له في هذا المشيب:

خبّريني! ماذا كرهت من الشيـــ بين فلا علم لي بذنب المشيب

أضياء النهار ، أم وضوح اللــــؤ لؤ، أم كونه كثغر الحبيـــب؟ (3)

والآن يمكن تسطير ملاحظة مضمونها أنّ أساليب الاستفهام جاءت في أغلبها معبرة عن نزعة تشاؤمية قلقة من هذا الواقع الذي كان يعيشه المعري ومرد ذلك إلى غربته ومعاناته وحالة القلق التي كان يعيشها دائما، وقد لعب الحرفان "أ" و "هل" الدور الرئيسي في التعبير عن تلك المعاناة.

كما نجد اضافة الى هذه الخصائص خاصية أخرى تميّز معجم الاغتراب عند المعري وهو المزج بين هذا الموضوع وموضوعات أحرى؛ أي المزج بين الاغتراب والطبيعة والاغتراب والغـزل، والاغتـراب والرثاء وغيرها.

فمن جميل شعره الذي زاوج فيه بين الاغتراب والطبيعة قوله:

فبات برامـــة يصف كــــلالا وزاد، فكان أن يشجو الرحالا وهم مُرْدا، وبزلهم فصالا(4)

سرى برق المعرة بعـــد وهـــن شجا ركبا وأفراسا وإبللا بھا كانت جيادھے مھےارا

⁽¹⁾⁻ أبو العلاء المعري: سقط الزند، ص: 215.

⁽²⁾⁻ أبو العلاء المعري: سقط الزند، ص:240.

⁽³⁾⁻ أبو العلاء المعري: سقط الزند، ص:412.

^{(&}lt;sup>4)-</sup> أبو العلاء المعري: سقط الزند، ص: 28.

لقد أولى عناية فائقة للألفاظ إذ اتجه إلى الطبيعة وحرص على انتقاء كلمات قادرة على التعبير عن شوقه وحنينه في رقة وعذوبة، فلم يجد أكثر من البرق، والأفراس والإبل وهي ألفاظ سهلة ومتداولة ويقول دائما في هذا السياق:

> وأبغضت فيك النخل، والنخل يانع إلى أن قال:

 $e^{(1)}$ وأعجبني من حبك الطلح والضال

خفوق فوائدي كلما حقق الآل

وماء بلادي كان أنجع مشربا ولو أنّ ماء الكرخ صهباء جريال(2)

من يقرأ هذه الأبيات يحس بذلك التفاعل بين الشاعر والطبيعة والتي أثارت في نفسه كوامن الشوق والحنين إلى وطنه فنجده يوظف في هذه الأبيات مظاهر من الطبيعة كالنخل والطلح والليل والماء، وهي كلها مظاهر تعكس حنين الشاعر وشوقه إليها، فهي بمثابة معادلات موضوعية تذكر الشاعر بموطنه وبماء بلاده وبكل شيء فيها فهو جميل في نظره، والخاصية الأخرى التي سوف نتوقف عندها الآن هي المزج بين الاغتراب والغزل، وهذا الاتجاه قليل جدا في ديوانيه ، ذلك لأن المعري كان صادا عن النساء غير ميال إليهن بعيدا عن الحب والغزل.

ولكن وبرغم قلته في ديوانيه " سقط الزند و اللزوميات " إلا أنّنا سوف نورد مقطوعة مازج فيها بين الغزل وموضوع الغربة يقول:

> سنح العُراب لنا، فبت أعيفــه زعمت غوادي الطير أن لقاءها والعيس تعلن بالحنين، إليكم فنسيت ما كلفتنيه وطالما وهواك عندي كالغناء، لأنه

خبرا، أمصض من الحمام لطيفه بسْل، تنكّر، عنـــدنا، معروفــــته نزل الدليل الى التراب، يسوفه ولغامــها، كالبرس طـار نديفــه كلفتني مساضرني تكليفه حسن لدي ثقيله و خفيفه ه (3)

و الآن يمكن تسجيل بعض الخصائص والملامح التي ميّزت معجم الاغتراب في شعر أبي العلاء المعري، التي من بينها أنه يستمد مادته الشعرية وطاقاته التعبيرية من التراث الشعري المتمثل في القرآن الكريم

⁽¹⁾⁻ أبو العلاء المعري: سقط الزند، ص: 243.

⁽²⁾⁻ أبو العلاء المعري: سقط الزند، ص: 247.

^{(&}lt;sup>(3)</sup> أبو العلاء المعري : سقط الزند، ص :226- 227.

والحديث النبوي الشريف و شعر العرب وكلامهم إضافة الى الأمثال والتاريخ الإسلامي والعام، ولكن وبالرغم من أنه يقتبس منهم بعض الألفاظ والمعاني، والتي قد توحي -كما أسلفنا- إلى النقص في القدرة على التعبير إلا أنه لا يمكن لأحد أن ينفي عنه الخيال الواسع والقدرة العجيبة على خلق وتوليد الألفاظ والصياغة الجيدة، والتنوع في الأساليب من خبري إلى إنشائي وهذا للتعبير عن غربته وحنينه.

وأسلوبه يمتاز بالغموض نوعا ما، كما طغى على شعره الصبغة التشاؤمية، وقد كان للواقع الذي عاشه المعري وحياته بمختلف مؤثراتها الدور البارز في إذكاء نار التشاؤم عنده مما انعكس على الألفاظ والعبارات التي كان يستعملها في شعره.

ب- الصورة الفنية:

لقد اعتبرت الصورة الفنية ثاني عنصر من عناصر التشكيل الفني، اعتمدها المعري للتعبير عن غربته وحنينه.

وهي «في اللّغة إحدى ظواهر الطبيعة» (1)، كما أنها « ثمرة الخيال ومقياسها أن تكون سريعة الانطباع شديدة الرسوخ في نفس السامع أو القارئ تنقله من مجرد الحقيقة إلى جوّ جديد ينفعل فيه مع صاحبها فتحرك خياله وتشرك مشاعره» (2).

فالصورة وثيقة الصلة بالخيال الذي يعمل على التأليف بين الأجزاء المختلفة التي تكونها وعن طريقه: « تنفذ الصورة إلى مخيلة المتلقي فتنطبع فيها بشكل معين وهيأة مخصوصة ناقلة إحساس الشاعر اتجاه الأشياء، وانفعاله بها وتفاعله معها»(3).

فالخيال له الدور الرئيسي في بناء الصورة الشعرية فهو إضافة إلى دوره في توحيد العناصر والأجزاء التي تكونها فإنه وسيلة يتم عن طريقه استحضار المدركات السابقة بعد أن غابت عن متناول الحس، ونظرا لأهميته حاولت التطرق إليه وشرحه ولو باختصار.

يقوم الخيال وفق التصور القديم على مقومين أساسيين هما العقلانية والحسية، أما المقوم الأول فيتعلق بالعقل الذي يتحكم في المخيلة ويوجهها وقت تكوين الصورة الشعرية حتى يجنبها مغبة الزلل والانحراف، وأما المقوم الثاني فيتعلق بأشكال وصور المدركات المحفوظة في الذاكرة بعد غيابها عن مجال

⁽¹⁾ عبد الحميد هيمة : الصورة الفنية في الخطاب الشعري الجزائري ، إتحاد كتاب الجزائريين، ، الجزائر، ط1، 2003، ص: 22.

⁽²⁾ محمد الطيب محمد النادي :تاريخ الأدب والنصوص الأدبية ، مكتبة الوحدة العربية ، الجزائر (د، ط، د ، ت) ، ص : 336- 337.

⁽³⁾ الأخضر عيكوس : الخيال الشعري وعلاقته بالصورة الشعرية ، مجلة الأداب، ع1، 1415 هـ / 1994م ، جامعة قسنطينة، ص: 77.

الإدراك المباشر (1)، وهذا ما يوضحه "باوند" بقوله: « هي تلك الحقائق التي تمثل مركبا من العقل والعاطفة في لحظة من لحظات الزمان»(2).

ويبدو أنَّ الخيال وعلاقته بالصورة كان محل اهتمام الكثير من النقاد العرب وغير العرب، فمن النقاد العرب نجد حابر عصفور الذي يقول بأنه « القدرة على تكوين صورة ذهنية لأشياء غابت عن متناول الحس، ولا تنحصر فاعلية هذه القدرة في مجرد الاستعادة الآلية لمدركات حسية ترتبط بزمان أو مكان بعينه، بل تمتد فاعليتها إلى ما هو أبعد وأرحب من ذلك، فتعيد تشكيل المدركات، وتبني منها عالم متميز في حدته وتركيبه، وتجمع بين الأشياء المتنافرة والعناصر المتباعدة في علاقات فريدة، تذيب التنافر والتباعد وتخلق الانسجام والوحدة »(3).

أما الغربيون فقد حاولوا الوقوف عنده وتبيين أهميته من بينهم "وردز ورث" الذي يرى بأنه: « تلك القدرة الكيمياوية التي تمتزج مع العناصر المتباعة في أصلها والمختلفة كل الاختلاف، كي تصير معموعا متآلفا منسجما (4), وهو أنواع منها (4) منها (4) الخسي وهو الذي ينتزع مادته من المحسوس والخيال التأملي الذي ينطلق من المحسوس إلى اللامحسوس. والخيال التحليلي الذي يذهب في العمق أكثر مما يذهب في الطول» (5).

إذن وبعد هذه الإطلالة السريعة حول الصورة والخيال التي تناولها النقاد على احتلاف المذاهب الأدبية، نجد أن تعريف "غنيمي هلال" لها هو أشمل تعريف؛ فهو يقول: «الوسيلة الفنية الجوهرية لنقل التجربة هي الصورة في معناها الجزئي والكلي، فما التجربة الشعرية كلها إلا صورة كبيرة ذات أجزاء هي بدورها صورة جزئية تقوم من الصور الكلية مقام الحوادث الجزئية من الحدث الأساسي في المسرحية والقصة »(6).

والآن بعد هذه الوقفة القصيرة والسريعة التي كانت حول الصورة الشعرية بصفة عامة سوف نحاول بعدها تتبعها في ديواني المعري ضمن موضوع الاغتراب على وجه التحديد لتقصي تحلياتها، ومعرفة الوسائل المستخدمة في تشكيلها والإحاطة بكيفية توظيفها في هذا الجال.

⁽¹⁾⁻ ينظر حابر عصفور:الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب ، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط3، 1992، ص: 85.

⁻⁽²⁾ عمر يوسف قادري: التجربة الشعرية عند فدوى طوقان بين الشكل والمضمون، دار هومة، (د، ط، د، ت)، ص: 71.

⁽³⁾ جابر عصفور:الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، ص: 13.

^{(&}lt;sup>4)-</sup> محمد غنيمي هلال: النقد الأدبي الحديث، ص: 389.

^{(&}lt;sup>5)-</sup> السعيد الورقي:لغة الشعر العربي الحديث، دار النهضة العربية ، بيروت، لبنان (د، ظ) ، 1984، ص: 152.

⁽⁶⁾⁻ محمد غنيمي هلال:النقد الأدبي الحديث، ص: 417.

والصورة الشعرية لها أوجه عديدة تعبر عنها وتوضحها كالتشبيه والاستعارة والكناية والطباق والجناس وغيرها من الأنواع التي تجسدها لنا،فهي تجمع بين الصّورة البيانية والصّورة البديعية.

فأوّل صورة نبيّنها هي الصورة التشبيهية التي إذا ما أسقطناها على موضوع الاغتراب لدى الشاعر نجدها كثيرة نوعا ما وهي تأتلف في مجملها وتعكس لنا معاناته النفسية وغربته الزمانية، فنجده تارة يشبه الليل وتارة أحرى الزمان والدنيا والأصدقاء والناس، وهي كلها ألفاظ دالة على الغربة وتصلح أن تكون صورا.

فقد شبه الزمان أو الدهر على نحو قوله:

الدهر كالشاعر المقوي ونحن بــه مثل الفواصل مخفوض ومرفــوع(1)

فقد شبه الشاعر الدهر الذي كان فيما سبق من أهم الألفاظ الدالة على الاغتراب الزماني الذي استحوذ على عدد كبير من التكرارات في ديوانيه شبهه بشاعر استعمل الإقواء فيرفع روي هذا البيت تارة ويخفضه تارة أخرى، مثل الدهر والإنسان فيه لا يستقر على حال، ويقول عنه أيضا:

كان الدهر بحر نحن فيه على خطر كركاب السفين (²⁾ ويقول:

كأن خطوب الدهر بحر فمن يمت بفرط صداه فهو في اللج يسبح (3) ويقول:

وما العمر إلا كالبناء فإن يرد على حده فهو الرقيع المشيد

ولأن الشاعر تعمق في هاته الحياة ففهم خباياها وأسرارها استطاع أن يشبه لنا هاته الحياة بالنار وهي صورة تعكس مدى تمكن الشاعر وقدرته على التأليف بين الأجزاء فهو يقول:

وكالنار الحياة فمن رماد أواخرها وأولها دخان (5)

فالحياة عنده لا ينتفع بأولها ولا بآخرها مثل النار التي لا ينتفع بدخالها في البداية ولا برمادها وإنما بوسطها، وهو هنا يشير إلى مرحلة الشباب فهي أحسن مرحلة يمر بها الإنسان بعكس الصبا والشيخوخة

⁽¹⁾⁻ أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج2، ص: 526.

⁽²⁾⁻ أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج2، ص: 822.

⁽³⁾⁻ أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج1، ص: 189.

⁽⁴⁾⁻ أبو العلاء المعري:اللزوميات، ج1، ص: 208.

⁽⁵⁾⁻ أبو العلاء المعري: سقط الزند، ص: 47.

ومثلما استعمل الشاعر أداة التشبيه (الكاف)أو (كأنّ) نحده يستعمل الأداة (مثل) في تشبيهه للدنيا ونعتها بمختلف النعوت يقول:

فلتنصرف عنك بتعنيسها بين نقديها وتبنيسها⁽¹⁾

إن كانت الدنيا عروسا ترى كالغول غالتك بتلوينها

ويقول:

وصاحبها مثل كلب ولغ⁽²⁾

ودنياك مثل الإنـــاء الخبث

كما شبهها بالسراب بقوله:

دنياك مثل سراب إن ضننت بها ماء فخدع وإن عضبا فتهويل (³⁾

ولأنه فهم حقيقة هذه الدنيا التي يعيش فيها أراد أن يبتعد وينأى عن الناس خاصة وأن احتكاكه بأهل زمانه جلب له المعاناة والأسمى فقد شبه لنا الفتى المغترب مثل الشرارة بقوله:

مثل الفتى عند التغرب والنوى مثل الشرارة إن تفارق نارها⁽⁴⁾ ويقول:

والخلّ كالماء يبدي لي ضمائره مع الصفاء ويخفيها مع الكدر⁽⁵⁾ فهم فمعاشرته للناس في زمانه جعله يتأكد من أن الناس لا يؤتمن جانبهم لأنهم لا يظهرون ما يخفون، فهم مثلما قال:

والناس كالنار كانوا في نشاءة هم يستضوأ السقط منهما ثم ينتشر والدهر كالربع لم يعلم بحالته هل عند ذي الدار من سكالها خبر (6)

كما نلاحظ أن المعري قد استعمل نوعا آخر من التشبيهات وهو التشبيه البليغ وذلك في قوله:

ظن الدجى فضة الأظفار كاسرة والصبح نسرافما ينفــــك مــزؤودا⁽⁷⁾

فقد شبه الظلام الحالك بالعقاب الكاسر بدون ذكر الأداة وشبّه الصبح بالنسر لإشتراكهما في اللون.

^{(1) -} أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج2، ص: 485.

^{(&}lt;sup>2)-</sup> أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج2، ص: 539.

⁽³⁾ أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج2، ص: 620.

^{(&}lt;sup>4)-</sup> أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج1، ص: 347.

⁽⁵⁾⁻ أبو العلاء المعري: سقط الزند، ص: 39.

⁽⁶⁾ أبو العلاء المعري:اللزوميات، ج1، ص: 288.

^{(&}lt;sup>7)-</sup> أبو العلاء المعري: سقط الزند ، ص: 224.

ويقول أيضا:

أصاح هي الدنيا تشابه ميتة نحن حواليها الكلاب النوابح (1)

واعتماده على هذا النوع من التشبيه له ما يبرره، لأن : «حذف وجه الشبه والأداة يوهم بإتحاد الطرفين وعدم تفاضلهما، فبعلو المشبه إلى مستوى المشبه به، وهذه المبالغة في قوة التشبيه إنما أن تذكر الأداة فيفيد ضعف المشبه، وإلحاقه بالمشبه به، كما ذكر الوجه يفيد تقيد التشبيه وحصره في جهة واحدة» (2). لقد توسع المعري في التشبيه وبرع فيه إلّا أن الاستعارة كانت أكثر استعمالا لأنّها في نظره أقدر على استيعاب حالته النفسية والتعبير عنها في كلام مختصر ومفهوم لذلك حازت على النصيب الأوفر.

والاستعارة هي : « تشبيه حذف أحد طرفيه وأداته ووجه الشبه فهي من المجاز اللغوي $(^{5})^{\circ}$ وقد تفطن النقاد القدماء لأهميتها البلاغية ووظيفتها في إيصال المعنى المراد تبليغه، فها هو القاضي الجرجاني يوحي بأن يعول عليها في « التوسع والتصرف، وهما يتوصل إلى تزيين اللفظ وتحسين النظم والنثر $(^{4})^{\circ}$. أما النقاد اليونان فقد اعتبروا « أنّ امتلاك ناصية الاستعارة كان ولا يزال من أعظم الأشياء، لأنها الشيء الوحيد الذي لا يلقن، وهي أيضا سمة العبقرية الأصيلة $(^{5})^{\circ}$.

فإذن الاستعارة ذات أهمية كبيرة تساعد في إيصال المعنى، وهي تعنى بنقل دلالة الألفاظ إلى غير ما وضعت له في الأصل، عن طريق تجريد المحسوسات، وتشخيص المجردات في كائنات حية تحس وتتحرك، وهي كلها توضح وتفصح عن المعنى المنشود وتصل إلى أعماق السامع وتؤثر فيه وهذا ما يفسره قول "أبي هلال العسكري" مبينا غرضها : « إما أن يكون شرح المعنى وفضل الإبانة عنه، أو تأكيده والمبالغة فيه أو الإشارة إليه بالقليل من اللفظ، أو تحسن المعرض الذي يبرز فيه»(6).

واستعارات المعري التي تصب في موضوع الاغتراب كلها تنصب حول الزمان والليل والدهر، والمنايا والأيام وغيرها من المواضيع والصور الاستعارية.

لننظر إليه و هو يتحدث عن المشيب:

⁽¹⁾⁻ أبو العلاء المعري : اللزوميات، ج1، ص: 189.

⁻⁽²⁾ عبد الحفيظ بولخراص :الغربة والحنين في شعر ابن حمديس الصّقلي ،رسالة ماحستير ،جامعة فرحات عبّاس، سطيف ،2005 ،ص :148.

⁽³⁾⁻ مصطفى أمين وعلي الجازم: البلاغة الواضحة، دار المعرف، ط16، (د،ت)، ص: 77.

^{(&}lt;sup>4)-</sup> الجرجاني: الوساطة بين المتنبي وخصومه، تحقيق وشرح أبو الفضل إبراهيم، على البيجاوي، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بـــيروت، (د، ط،د،ت)، ص.: 428.

^{.122 :} ص : أمالي القالي) ، ص : محمد مصطفى أبو الشوارب: جماليات النص الشعري، (قراءة في أمالي القالي) ، ص

⁽⁶⁾⁻أبو هلال العسكري: الصناعتين، الكتابة والشعر، حققه وضبط لغته: مقيد قميحة ، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط2، 1989، ص: 295.

يكاد المشيب ينادي الغوي و يحك أتعبتني بالمقص (1)

ويقول واصفا المنايا و سرعتها مصورا إيّاها وكألها شخص يركض ركضا سريعا من أجل إحراز الهدف و الفوز :

و فات ركسض المنايسا ركب القطيب و بدوره (2)

أما الحجى عنده فهو بمترلة إنسان يستطيع التكلم فيقول:

يقول الحجي هل لي إذا مت راحة فإنّ عذابي في الحياة أليم (3)

فهو يصور لنا في هذا البيت مستعيرا صفة القول من الإنسان مطلقا إياها على العقل الذي كان يتساءل حول إذا ما كان سيستريح بعد الموت خاصة و انه يحس بالعذاب و المعاناة في هذه الحياة.

هذا و قد يبين الشاعر صورا جزئية و لكنها متكاملة فيما بينها و متآلفة تبرز لنا صورة كلية و شاملة عن الموضوع و يظهر هذا الشكل في قوله:

كأنّ الليل حاربها ففيها هلال مثل ما إنعطفه السنان ومن أم النجوم عليه درع يحاذر أن يمزقها الطعان (4)

هذا المشهد قائم على صور جزئية عند ضمها إلى بعضها البعض يتبدى لنا الليل وكأنه حشي من حيل الممدوح فأعد عدة لمحاربتها، فأشرع سنانا من الهلال، ولبس درعا من النجوم، وهي كلها متكاملة فصورة الليل وهو خائف، وصورة السنان الذي صنعه من الهلال وصورة الدرع الذي لبسه من النجوم، تأتلف فيما بينها لتعطى لنا هذا المشهد الرائع لليل.

وللشاعر كلف كبير بتجسيم وتشخيص المعنى المجرد في صورة ملموسة تدرك الحواس، ولنتأمل معا هذه الصور يقول:

صاح الزمان فعاد الجمع مفترقا كالضأن لما أحسست صوت رئيال⁽⁵⁾ و يقول:

ورأى المنية ليس فيها مزعم

ركب الزمان إلى الحمام برغمـــه

⁽¹⁾⁻ أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج2، ص: 501.

⁽²⁾ أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج2، ص: 267.

⁽³⁾ أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج2، ص: 706.

⁽⁴⁾⁻ أبو العلاء المعري: سقط الزند، ص:52.

^{(&}lt;sup>5)-</sup> أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج2، ص

⁽⁶⁾⁻ أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج2، ص:716.

كما يشخّص هذا الزمان فيجعله في هيأة إنسان وله يدان يقول:

وكأن في كف الزمان بنوره قطرا نعم بنشره الأقطار⁽¹⁾ ويقول أيضا:

وما كتبته يد للزمان فعن يده مرة يمتحي (2) وهو يتمثله أعجميا ليس من العرب ولا يتقن لغتهم فيقول:

ووجدت الزمان أعجم فظاج وجبار في حكمها العجماء (⁽³⁾ لكن وبالرغم من العجمة الموجودة في هذا الزمان إلّا أنّه أحسن وعاظ ، يعظ الناس ويرشدهم بحوادثه

وعظ الزمان فما فهمت عظاية وكأنه في صمته يتكله

كما نلتمس هاته الصور الاستعارية في حديثه عن الدهر والليل والأيام فهو يقول:

ولا أشرب الدهر سبل الشراب ونفسي بإعمالها مسيلة (5) فالدهر عبرلة ماء يحاول الإنسان شربه، فهنا الشاعر حاول أن يثبت المشبه وهو الدهر وحذف المشبه به وهو الماء ولكنه ترك دلالة عليه وهو الشرب فالاستعارة تصريحية .

ويقول عن الليل:

وأيامه وتحارب الإنسان فيه يقول:

فحرقن ثوب الليل حتى كأنيني أصرت بها في جانبه شرار (⁶⁾ ويقول:

لو نطق الدهر في تصرفه لعدنا كلنا من التفث⁽⁷⁾ و يقول عنه:

إذا كان شيخاك ما أدبـــا(8)

يؤ دبك الدهـ بالحادثـات

ابو العلاء المعري: اللزوميات، ج1، ص $^{(1)}$.

⁽²⁾ أبو العلاء المعري:اللزوميات، ج1، ص:201.

^{(3) -} أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج1، ص: 46.

⁽⁴⁾ أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج2، ص:716.

⁽⁵⁾⁻ أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج2، ص:651.

⁽⁶⁾⁻ أبو العلاء المعري: سقط الزند، ص:123.

رك⁻⁽⁷⁾ أبو العلاء المعري: اللزوميات ، ج1، ص: 168.

⁽⁸⁾ أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج1، ص: 99.

ويقول:

كم ينظم الدهر من مقد وينشر وليس عقد ثرياه بمنشر (1)

فإذن كان الدهر بمترلة إنسان ينطق ويؤدب وينظم الشعر وينثر وهي كلها سلوكات يقوم بها الإنسان الذي حذف ولكنه صرح بدلالات تنوب عنه وهو ما زاد المعنى رونقا وجمالا وأكسبه دقة ووضوحا وبالإضافة إلى هذا النوع من الاستعارات عمد الشاعر إلى توظيف نوع آخر من هذه الصور الاستعارية بحيث حذف المشبه به وترك المشبه وهي كثيرة في شعر المعري، والتي سوف نعمد إلى ذكر بعض منها كقوله:

وقد أغتدى والليل يبكي تأسفا على نفسه والنجم في الغرب مائل (2)

فقد استعار هنا الشاعر صفة البكاء التي هي سمة من سمات الطفل أو الإنسان عموما وألصقه بالليل، فيكون بذلك قد ذكر المشبه وهو الليل وحذف المشبه به وهو الطفل ولكنه ترك دلالة عليه وهو البكاء، فهذه الصورة الاستعارية زادت البيت جمالا لشدة اتساق أسلوبها وجودة سبكه فجعل كل من يقرأ يتأمل في الطريقة التي كتب بها هذا البيت.

ويتكلم عن الأيام التي لطالما أرقته بسبب حوادثها فيقول عنها:

ألم تسمعي الأيام نادت صروفها حذوا مقرا مما تفيء الجوارس⁽³⁾ فالأيام شخص تنادي مثلما ينادي الإنسان.

كما يجعل من الدهر شخصا يصمت ويخطب فيقول:

الدّهر يصمت وهو أبلغ ناطـــق من موجز ندس ومن ثرثـــار⁽⁴⁾ ويقول عنه:

والدّهر يخطب أهل اللب مذ عقلوا ما خاف عيا ولا أزري به العصر (5)

فهذه الصور تعتمد بالدرجة الأولى على التشخيص المعنوي فصورة الدهر في هيئة إنسان يصمت وهو باستطاعته التكلم، ويخطب في أهل العقول والحكمة.

⁽¹⁾ أبو العلاء المعري:اللزوميات ، ج1، ص:364.

⁽²⁾⁻أبو العلاء المعري: سقط الزند، ص: 108.

⁽³⁾ أبو العلاء المعري:اللزوميات ، ج2، ص: 452.

⁽⁴⁾ أبو العلاء المعري: اللزوميات ، ج1، ص

⁽⁵⁾⁻ أبو العلاء المعري: اللزوميات ، ج1، ص: 289.

وتارك من ورائسه ثقلسسه

فأهون شيئا ما تقول العوازل(2)

ثم اعتراك أبو سعد فقد شكلك⁽³⁾

وقف النجم وقفة الحيران(4)

ونستنتج مما سبق أنَّ المعري في تعويله على الاستعارة للتعبير بها عن غربته يستجيب لطبيعة شخصيته لأنه شخص يميل إلى الاستغراق في حالاته النفسية ووصفها وتشخيصها كما ينبغي حتى تترائ للناس مثلما يريد .

كما التفت الشاعر إضافة إلى التشبيه والاستعارة إلى الكناية وهي قليلة عنده وتظهر في قوله كناية عن الموت والزوال :

> والحي لابد راكب سفرا لا يسلم الغادر المخدم في النيـــــق

ويقول مكنيا على الفراق:

إذا هبت النكباء بيني وبينكم كما نحده يقول:

مرحت كالفرس الذبال آونة فقد كنّ عن الهرم والكبر بلفظه أبو السعد:

ويقول كناية على الليل وطوله:

قد ركضنا فيه إلى اللهو ولما ويقول أيضا:

قدماه ورائه وهـو في العجـــــــ زكساع ليست له قدمــــان⁽⁵⁾ فقد كنّى عن طول الليل،فجعل نجومه لطوله وكأنها لا تسير من مكانها.

وهناك نمط تصويري آخر اعتمد عليه المعري والذي سوف نقف عنده وهو الصورة البديعية والتي كان لها دورا بارزا في بناء قصائده وهي : «وسيلة من وسائل التصوير الشعري لا تقف عند بجانس لفظتين أو تقارب عبارتين أو ترديد كلمتين ، بل تتعدى ذلك إلى إثارة مخيلة المتلقي ، ومخاطبة سمعه ، وبث الاندهاش في نفسه، وحمل ذهنه على التحليل والتركيب لكي يظفر بالمتعة الفنية» (6).

 $^{^{(1)}}$ أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج2، ص

^{(2&}lt;sup>-2)</sup> أبو العلاء المعري: سقط الزند، ص: 106.

⁽³⁾ أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج2، ص: 606.

⁽⁴⁾ أبو العلاء المعري: سقط الزند، ص: 90.

⁽⁵⁾⁻ أبو العلاء المعري: سقط الزند، ص: 91.

^{.154:} عبد الحفيظ بولخراص : الغربة والحنين في شعر ابن حمديس الصّقلي، ص :154.

والطباق هو أول ظاهرة تصادفنا في شعر المعري فمنه مثلا:

الحمد والكبر ضدان إتفاقهما مثل إنفاق فتاء السن والكبر

يجني تزايد هـذا من تناقـص ذا والليل إن طال غال اليوم بالقصـر(1)

فهذان البيتان يحتويان على العديد من الطباقات من مثل (الحمد والكبر) و (تزايد، تناقص) و (طال، قصر).

ويقول:

يمسي ويصبح كوزنا من فضة ملأت فم الصادي كسور دراهم (²) و يقول عن الدنيا:

ويبدي لدنياه الفتى وجه ضاحك وما فتئت تبدي له وجه عابــس (3) ويقول:

إذا كنت في دار الشتاء مصليا فإنك في دار السعادة سابق (4) وتحضر صور الطباق بقوة في هذا البيت:

بعدي من الناس برء من سقامهم وقربهم للحجى والدين أدواء (⁵⁾ فقد تأكد الشاعر أنّ الناس لا يجني منهم سوى الهم والبأس لذلك قرر البعد عنهم والانعزال.

كما نلمح بعض المقابلات في الكلام وهي تمتاز بالدقة والوضوح ، هذا ما يتأكد ونلمحه في قوله:

فليت شباب قوم كان شيبا وليت صباهم كان إكتهالا(6)

فعن طريق هذا البيت يتبين أنّ الشاعر عقد مقارنة بين مرحلتين مرحلة الشباب ومرحلة الشيب والاكتهال، فوجد مرحلة الشيخوخة أحسن لذلك ظل يتمنى قدومها بفارغ الصبر، ويقول:

وقدما وجدنا مبطل القوم يغتدي فينصروالغادي مع الحق يخدذ (7)

⁽¹⁾ أبو العلاء المعري:اللزوميات، ج1، ص: 45.

⁽²⁾ أبو العلاء المعري: سقط الزند، ص: 282.

⁽³⁾ أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج2، ص: 471.

 $^{^{(4)}}$ أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج $^{(4)}$

⁽⁵⁾⁻ أبو العلاء المعري: سقط الزند، ص: 40.

⁽⁶⁾⁻ أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج1، ص: 29.

^{.614 :}ص: 2، ص: اللزوميات، ج2، ص: 614

فقد قارن بين الذي كان لا يسير مع قومه وعاداقم وبين من كان مع الحق وهذا في الماضي، فوحدت بذلك عبارة (مبطل القوم)، في مقابل عبارة (والغادي مع الحق)، كما تقابل الفعل (يغتدي) مع (يخذل). فنلاحظ من الأبيات السابقة إتيان العناصر المتقابلة مرتبة كما أن الصور كلها تبنى على المقابلة.

والمتمعن في ديواني أبي العلاء المعري يجد لونا بديعيا آخر اتخذه الشاعر واحدا من وسائله الفنية ألا وهو التجنيس (*) وهو في شعره قليل ويظهر في مثل قوله:

زكن المنايا إن زكون فنعمــة من الله دامت للزواكي الزواكــن⁽¹⁾ وقوله:

قضاء الله يبتعث المنايا فيهلكن الأساود والأسود⁽²⁾ فالتجنيس انطلاقا من هذين البيتين في قوله: (الزواكي، الزواكن) و (الأساود والأسود). ومن الجناس الذي نعثر عليه بين طيّات قصائد ديوانيه في مثل قوله:

كلاب تغاوت، أو تعاوت لجيفة وأحسبني أصبحت آلامها كلبا⁽³⁾ ويقول:

خبر الحياة شرورها وسرورها من عاش غدة أوّل المتقارب⁽⁴⁾ فالجناس بين (تغاوت وتعاوت) وبين (شرورها ، سرورها).

وهكذا بعد الحديث عن الصورة الشعرية عند المعري يظهر لنا أنّه استعمل كل طاقاته من أجل الإبداع كما لا أنسى الصورالبديعية كالطباق والمقابلة والتجنيس، فكل واحدة من هذه الصور كان لها دور معين تلعبه وهذا ما زاد المعاني رونقا وأكسبها بريقا ولمعانا.

وقد لاحظت وأنا بصدد التحدث عن هذه النقطة من البحث بأنّ المعري وهو بصدد الحديث عن غربته كان ميالا إلى التطرق إلى غربته الزمانية وما تحتويه من مواضيع وفروع مثلما تقدمنا فكان يذكر الزمان والدهر كثيرا كما لا ينسى الدنيا والأيام والليالي وما فعلت به.

ج- البنية الإيقاعية:

^(*) التجنيس: أن يورد المتكلم كلمتين تجانس كل واحدة منها صاحبتها في تأليف حروفها على حسب ما ألف الأصمعي في كتاب الأجناس، أبي الهلال العسكري الصناعتين ، ص 353.

⁽¹⁾ أبو العلاء المعري:اللزوميات، ج2، ص: 809.

⁽²⁾ أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج1، ص: 240.

⁽³⁾⁻ أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج1، ص: 81.

⁽⁴⁾⁻ أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج1، ص: 119.

يعد الإيقاع الموسيقي من أهم العناصر التي يرتكز عليها الشعر لارتباطه بالغناء ارتباطا وثيقا ويخضع خضوعا مباشرا لحالته النفسية التي يصدر عنها ونستطيع تعريف الإيقاع لغة واصطلاحا، فجاء لغة في لسان العرب لابن منظور في مادة وقع قوله: «التوقيع أي رمي قريب لا تباعده وكأنك تريد أن توقعه على شيء يعني الإصابة مثل إصابة المطر بعض الأرض وإخطاؤه بعض، والإيقاع من إيقاع اللحن والغناء وهو أن يوقع الألحان ويبنيها» (1).

كما ورد تعريفه لغة في المنجد في اللغة المعاصرة بأنه: « يعني تتابع أصوات أو حركات بانتظام وتوازن» (2) .

أما اصطلاحا فنجد تعاريفه تتعدّد عند الكثير من النقاد منهم ابن طباطبا العلوي فهو أول من استعمله في كتابه "عيار الشعر" يقول عنه: « والشعر الموزون إيقاع يطرب الفهم لصوابه وما يرد عليه من حسن تركيبه واعتدال أجزائه، فإذا اجتمع للفهم مع صحة وزن الشعر وصحة المعنى وعذوبة اللفظ فصفا مسموعة ومعقولة من الكدر ثم قبوله، واشتماله عليه، وإن نقص جزء من أجزاءه التي يعمل بها وهي: اعتدال الوزن وصواب المعنى، وحسن الألفاظ وكان إنكار الفهم إياه على قدر نقصان أجزائه» (3).

وإذا اتجهنا إلى المحدثين والمعاصرين نجدهم يتعرضون لمسألة الإيقاع فمثلا الدكتورة "حالدة سعيدة" يتجاوز عندها الإيقاع مجرد الوزن والقافية وتكرار الأصوات والمقاطع الصوتية فالإيقاع أعم منهم فهو يشملهم ويضمّهم (4).

أما مفهومه عند "صلاح فضل" فينطلق فيه من المستوى الخارجي للأصوات فيقول: « أما البنية الإيقاعية فهي أوّل المظاهر المادية المحسوسة للنسج الشعري الصوتي، وتعلقاته الدلالية» (5).

ومنهم من تعرض له ولكن بصيغة مغايرة تماما مثلما فعل "إبراهيم أنيس" و"شكري عياد" حينما استعملا في مكان الإيقاع موسيقي الشعر (⁶⁾.

⁽¹⁾⁻ ابن منظور: لسان العرب، مادة (وقع).

⁽²⁾ صبحي حموي: المنجد في اللغة المعاصرة، دار المشرق، بيروت، ط1، 2000، ص: 1151.

⁽³⁾ عبد الرحمن تبرماسين: العروض وإيقاع الشعر العربي، دار الفجر للنشر والتوزيع، ط1، 2003، ص: 80، 84.

⁽A)-ينظر عبد الرحمن تبرماسين: العروض وإيقاع الشعر العربي، ص: 84-85.

⁽⁵⁾ صلاح فضل: الأساليب الشعرية المعاصرة، دار قباء للطباعة والنّشر والتّوزيع ،(د،ط) ، 1998، ص: 28.

⁽⁶⁾⁻ ينظر عدنان قاسم:الأصول التراثية في نقد الشعر العربي المعاصر — دراسة نقدية في أصالة الشعر — منشورات المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع والإعلان، ط1، 1980، ص: 135.

وهناك من يستعمل مصطلح الموسيقي العروضية والموسيقي الداخلية، فالمصطلحات متنوعة وهي كثيرة ولكن المضمون – تقريبا – واحد.

وللإيقاع عناصر داخلية وخارجية فالعناصر الداخلية لها دور في إحداث الإيقاع « وهي كل ما يتعلق بالنغم الداخلي المنبعث من القصيدة»(1).

وقد عني بها "رجاء عيد" : « قدرة الفنان الشاعر على إقامة بناء موسيقى يتكون من نفسية تعلوأو للمبط، تقسو أو ترف أو تتخذ لتكون في مجموعها لحنا منسقا أقرب إلى الإطار السمفوني»⁽²⁾.

كما يطلق عليها السعيد الورقي اسم الموسيقى التعبيرية ويرى بأنها : « ناتجة من كيفية التعبير ومرتبطة بالانفعالات السائدة ومهيأة لها في كثير من الأحيان، بما تعطيه من إيحاءات انفعالية لنموالتجربة الفنية» (3).

وتتمثل هذه العناصر الداخلية فيما يلي: أسلوب التكرار سواء كان تكرار الحرف أو الكلمة أو العبارة أو حتى المقطع إن وحد، وطبيعة الكلمات المستعملة، وعلامات الوقف والترقيم بالإضافة إلى الأصوات وهو ما سنأتي على شرحه فيما بعد.

أمّا العناصر الخارجية للإيقاع فتتمثل في الوزن الذي يقول عنه ابن رشيق القيرواني: « الوزن أعظم أركان حد الشعر وأولاها به خصوصية، وهو مشتمل على القافية وجالب لها ضرورة» (4). وثاني عنصر خارجي هو القافية بنوعيها المطلقة والمقيدة.

إذن بعد هذه النقلة في مجال الإيقاع والتي سوف نتبعها بالتفصيل لاكتشافها ومدى توفيقها في التعبير عن اغتراب المعري وذلك بالنظر إلى هاته العناصر الداخلية والخارجية.

تصادفنا أوّل ظاهرة ايقاعيّة وهو" الطباق" فهوبارز في شعر أبي العلاء المعري له الدور في تعميق المعنى وتقويته وتوضيحه و يساعد على إضفاء إيقاع خاص على القصيدة ،وقد اتكأ عليه المعري في تشكيلاته الموسيقية فيقول:

الحمد والكبر ضدان اتفاقهما مثل اتفاق فتاء السن والكبر يجني تزايد هذا من تناقص ذا والليل إن طال غال اليوم بالقصر (5)

⁽¹⁾ خليل مرسى: الحداثة في حركة الشعر العربي المعاصر، مطبعة الجمهور، دمشق، ط4، (د، ت)، ص: 93.

⁽حاء عيد : التجديد الموسيقي في الشعر العربي، دار النهضة العربية، بيروت، 1984، ص: 10.

⁽³⁾⁻ السعيد الورقي : لغة الشعر العربي، ص 160.

⁽⁴⁾⁻ ابن رشيق : العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 2001، ج1، ص: 121.

⁽⁵⁾⁻ أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج1، ص: 45.

فعلاوة عن الإيقاع الخفي الناتج عن تقابل الأضداد الواردة في البيت الأول والبيت الثاني، تتضافر معه عناصر موسيقية أخرى تكاملت فيما بينها لتساهم في تكوين بنية موسيقية، من بين هذه العناصر الوزن والقافية، ففيما يخص الوزن نلاحظ أن هذه الطباقات جاءت على إتفاق فيه وذلك من مثل (الحمد والكبر) على وزن فعل و (تزايد وتناقص) جاءا على وزن تفاعل و (طال وقصر) على وزن فعل أيضا. وتفعيلة هذين البيتين هي تفعيلة بحر البسيط وهي كالتالي:

وبحر البسيط هو من حيث الانتشار أقل من البحر الطويل والكامل الذي وحد بكثرة وتفعيلاته هي مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن، وعندما تقسم هذا الوزن إلى مقاطع نجده يتكون من ثمانية وعشرون مقطعا طويلا وقصيرا في البيت الواحد، وموزعة بالتساوي بين الصدر والعجز، بحيث يحتوي كل واحد منهما على عشرة مقاطع طويلة وأربع مقاطع قصيرة، وذلك إذا اعتبرنا أن المقطع القصير يتكون من حركة [/]، والمقطع الطويل يتكون من حركة وسكون [/0]، وانطلاقا من هذا التقسيم يتبين بأنّ البحر يمتاز بالثقل والبطء على اعتبار غلبة المقاطع الطويلة على المقاطع القصيرة.

وقد ترددت نغمة موسيقية مع القافية التي كانت في الحقيقة تنتهي بسكونين تفصل بينهما حركتين وهي القافية المتداركة ولكن وللضرورة الشعرية تحولت تفعيلة (فاعلن)، في البحر البسيط إلى (فعلن)، أي هي تفعيلة عبارة عن مقطعين قصيرين ومقطع طويل ولذلك، ونتيجة هذا التغير أصبحت القافية متراكبة وهي القافية المنتهية بسكونين مفصولين بثلاث حركات. [//0]، كما نلمح نوعا أحر من الطباق وهو الذي يقول فيه:

يمسي ويصبح كوزنا من فضـــة ملأت فم الصادي كسور دراهـم

نلاحظ أن وجهي التطابق وهما (يمسي، يصبح)، جاءتا على وزن واحد وهو يُفْعِل، والقافية هي (راهم)، والروي هو حرف (الميم)، وما قبله يعدّ دخيلا ^(*) وهو (هـ)، أما (الألف) فهي ألف التأسيس ويقول أيضا:

تعب ما نحن فيـــه وهـــل يجلب الإيحاش إيناســـا

⁽¹⁾ أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج1، ص: 282.

^{(*) -} الدخيل: حرف واقع بين التأسيس وحرف الروي، عبد الرحمن تبرماسين، العروض وإيقاع الشعر العربي، ص :39، 41.

يتبين أنّ لفظتي (إيحاش، وإيناسا) لهما وزن واحد فهما على وزن إفعال والروي هو (السين) وقبل الروي يوجد الردف المتمثل في (الألف) وقد يكون (واواً)أو (ياءاً).

وللمقابلة أيضا قيمة موسيقية إلى حانب الطباق هذا ما نشاهده لما نقرأ ما يلي:

فليت شباب قوم كان شيبا وليت صباهم كان إكتهالا

فيبدو واضحا توافق وتساوي الكلمة منها مع ضدها في الإيقاع والترتيب وهذا ما يظهر في (شباب شيبا) و (صباهم ، إكتهالا).

ويقول:

فأوصيكم أما قبيحا فجانبوا وأما جميلا من فعال فلا تقلوا وصاحب نكر بات يغدر بينا وفاعل المعروف بلام ويعلل

نلاحظ هنا انسجام وتوافق في الأوزان بين (قبيحا، جميلا) و(جانبوا،تقلوا)، (صاحب نكر وفاعل معروف) و(يعذر ويعذل) فهذا التوافق في الأوزان أضفى إيقاعا مميزا على البيت مما أكسبه رونقا وجمالا.

ومن الظواهر الصوتية البارزة في شعر أبي العلاء المعري " التكرار" فهو ظاهرة إيقاعية تعمل على تقوية النغم وتأكيده و قد يكون تكرارا للحروف أو الكلمات أو العبارات .

ومن الشواهد التي يمكن تقديمها كمثال على التكرار لبعض الحروف والأصوات والذي ينعكس حرسها على النص الشعري فتؤدي وظيفة إيقاعية تتناسب مع المعنى قوله:

أناس كقوم ذاهبين وجوهه ولكنهم في باطن الأمر نسناس جزى الله عني مؤنسي بصدوده جميلا ففي الإيحاش ما هو إيناس تخافين شيطانا من الإنس خناس وعندك شيطان من الإنس خناس

فنلاحظ في هذه المقطوعة تكرار حرف السين ،سواء الذي يتكرر عن طريق حرف الروي،أو الذي يتخلل الأبيات بتكراره مرة فما فوق في كل بيت مما أدى إلى تجاوب الأحرف المكررة داخل الأبيات - ممثلة في حرف السين مع حرف الروي، فشكلت بناءا هندسيا منظما هيمن على موسيقي هذا المقطع ،وانطلاقا من هذا القول يتبين أنّ حرف السين تكرر(7) مرات في هذه المقطوعة،ففي البيت الأول نجد إضافة إلى حرف السين كروي حرفين آخرين أما في البيت الثاني فتكرر فيه حرف السين مرتين وكذا بنفس الدرجة في البيت الثالث - أي تكرّر مرتين -.

كما لفت انتباهنا ظاهرة إيقاعية أحرى وهي التنوين بالضمة في(أناس) والتنوين بالفتحة في كل من (جميلا،شيطانا،ماردا) والتنوين بالكسرة في (قوم)، فقد أضفى بدوره نغما وجرسا خاصا على الأسات.

ولا تكتمل الأهمية الإيقاعية للتكرار الصوتي إلا إذا ربطناه بالإيقاع الناتج عن الوزن ،لذلك سوف نرى إلى أي مدى وفق الشاعر في اختيار الوزن ومدى ملائمة هذا الأحير لموضوعه وتجاربه عموما.

وهذه الأبيات تنتمي إلى بحر الطويل وهو الأول من حيث التنوع في ديواني المعري وتفعيلات الطويل الأصلية هي فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن ولكي نتبين حركاته يتم تقطيعه كالآتي:

أناسن كقومن ذاهبين وجوههم ولاكننهم في باطن الأمر نسناسو 0/0/0//0//0/0/0/0/0/0/0/0// فعولن مفاعيلن فعول مفاعلن فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن

وعندما نقسم هذا الوزن إلى مقاطع نجده يتكون من (28) مقطعا طويلا وقصيرا، فالمقاطع الطويلة أكثر من المقاطع القصيرة لأنها تستحوذ على عشرين مقطعا طويلا، والثمانية المتبقية هي مقاطع قصيرة ونلاحظ أن القافية هنا في هاته الأبيات هي قافية مطلقة (*) حركتها الضمة ورويها حرف السين وقبلها الردف المتمثل في الألف، وكرّر حرف (العين)في قوله أيضا:

> يذرون، من أسف على دمـوعا لوداد إخوان الصفاء مضيعـــا خاللت توديع الأصادق للنوى فمتى أودع خلى التوديعا؟! (1)

كم بلدة فارقتها ومعاشىر وإذا أضاعتني الخطوب، فلن أرى

نلاحظ من خلال هذه الأبيات أن حرف العين مكرر ثماني مرات، ففي الشطر الأول تكرر (3) مرات وتظهر في كل من (معاشر، علي، دموعا) وفي الشطر الثاني تظهر مرتين في حرف الروي (مضيعا) وأيضا في الشطر الأول من البيت الثالث وهي (أضاعتني).

^{(*)-} مطلقة وهي متحركة الروي: عبد الرحمان تيرماسين، العرض وإيقاع الشعر العربي ،ص :39، 41.

⁽¹⁾⁻ أبو العلاء المعرى: سقط الزند، ص: 309.

كما نلحظ في البيت الثالث تكرار حرف العين (3)مرّات في كل من (توديع،أودّع ،أضاعتني)إضافة الى كثرة الشدة والتي تظهر في الحروف التالية (نَّ، دّ، لَّ، تّ) فهي تنسجم انسجاما كبيرا مع غربته عن أهله وأصدقائه فتزيد بذلك المعنى تركيزا وتأكيدا.

ومن الأبيات التي اعتمد فيها على تكرار بعض الحروف قوله:

طربن لضوء البارق المتعـــــالي ببغدادا، وهنا ما لهن وما لي سمت نحوه الأبصار حتى كأنهــــا بناريه من هنا وتم وصــــالي تمد إليه في رؤوس عــوال(1) إذا طال عنها سرها لو رؤوسها

ما نلاحظه في هذه الأبيات هو تميز كل بيت بخصيصة إيقاعية بارزة تتماشى والمعني ، فالبيت الأول على سبيل المثال يشكل فيه تكرار حرف (الباء) ميزة خاصة إذ أنه تكرر (أربع مرات) عندما ننتقل إلى البيت الثاني نجد حرف (الهاء) مكرر (أربع مرات) وهو حرف هوائي، فهو بالرغم من انتشاره في كامل المقطوعة إلا أنه انتشر أكثر في هذا البيت وقد اعتمد فيه على المد (ها) الذي ساعده في تأوهه وتوجعه لفقد وطنه والبعد عنه.

> والشطر الثالث نلحظ تكرار (حرف السين) ثلاث مرات وهو حرف مهموس. والبحر الذي ارتضاه الشاعر لهذا الموقف الحزين هو البحر الطويل:

طرين لضوء لبارق لمتعالى ببغداد وهنا ما لهنن وما لكي (2) 0/0// /0// 0/ 0/ 0/ / 0/0// فعول مفاعيلن فعول مفاعل فعولن مفاعيلن فعول مفاعل

0/0///0/ /0/ 0 /0// /0//

كما نجد مقطوعة أخرى يظهر فيها الشاعر حنينه إلى وطنه متلهفا إلى العودة للقاء أهله ووطنه يقول:

تجهلنی کیف اطمانت بی لحال فأذهل أبي بالعراق على شفيي رذي الأماني، لا أنسى ولا مال كفى حزنا بين مشت وإقسلال(3)

تمنيت أن الخمر حلت لنشوة مقل من الأهلين سير وسيـــــرة

⁽¹⁾⁻ أبو العلاء المعري: سقط الزند، ص: 237.

^{(&}lt;sup>2)-</sup> أبو العلاء المعري: سقط الزند، ص: 237.

⁽³⁾⁻ أبو العلاء المعري: سقط الزند، ص: 247- 248.

ففي البيت الأول تكرار حرف (التاء) ست مرات، والبيت الثاني (الألف) تكررت أربع مرات والبيت الثالث تكرر حرف (اللام) أربع مرات كذلك، والبيت الرابع تكررت (الياء) أربع مرات.

كما نلاحظ كثرة الحروف المهموسة وهي الأبيات كالتالي (أ،ت،س،ش،ق،ك، ه،ط،ح،خ) والمهموسات تصلح للتعبير عمّا لا يرى بالعين المحردة، والبحر المستعمل هو الطويل وتقطيعه كالآتي:

> تجههلنی کیف طمأننت بی لحالو 0/0/0/ /0/0// 0/0/0// /0// فعول مفاعيلن فعولن مفاعيلن

تمنيت أنن لخمر حللت لنشوتهن 0//0 // 0/0 // 0/0 /0/ / 0/0/ / فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلن

ويقول في قصيدة أحرى منوعا فيها للأصوات:

فما في زمان أنت فيه سعود يوصى الفتى عند الحمام كأنه يمر فيقضى حاجة ويعسود وما يئست من رجعة نفس ظاغن مضت ولها عند القضاء وعرد تسير بنا الأيام وهي حثيثة ونحن قيام فوقها وقعود (1)

ألا إنما الدنيا نحـوس لأهلهــا

فمن خلال هذه المقطوعة يتبيّن أنّ الحروف كانت فيها متنوعة وكل حرف تكرر أربع أو خمس مرات في البيت، ومن هذه الحروف نجد أن حرف (النون) في البيت الأول تكرر (5) مرات، وفي البيت الثاني تكرر حرف (الياء) (4) مرات، أمّا في البيت الثالث فتكرر حرف (العين) كذلك (4) مرات، والبيت الأحير تكرر فيه حرف (القاف)، (3) مرات.

وجاءت الأبيات بحرف الروي (الدال) والردف هو الواو والمجرى هو الضمة التي هي فوق حرف الروي، والواو وصل.

أما البحر المستعمل فهو بحر الطويل وقد وردت فيه بعض الزحافات كالحذف والقص غيرها.

إذن هذا عن بعض أنواع التكرارات للحروف التي وحدت في شعر أبي العلاء المعري إذ شكلت نغما موسيقيا رنانا في القصيدة.

ومن أصناف الإيقاع أيضا التي يستند إليها الشاعر في التعبير عن غربته ما يسمى بالتصدير الذي يقول عنه السكاكي: « ومن جهات الحسن رد العجز عن الصدر، وهو أن يكون إحدى الكلمتين المكررتين، أو المتجانستين، أو الملحقين بالجناس في آخر البيت، والأخرى قبلها في أحد المواقع الخمسة من البيت،

⁽¹⁾ أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج1، ص: 211 – 212.

وهي: صدر المصراع الأول، وحشوه، وآخره، وصدر المصراع الثاني، وحشوه»(1)، والتصدير هو من الحلل اللفظية التي تزيد المعنى حسنا وجمالا.

وانطلاقا من قول السكاكي يظهر لنا التصدير الذي جاءت كلمته في صدر المصراع الأول في:

بشاشة خانت أهلها وبشاش (2)

بشاشة أيام مضت وشبيبــــة

ويقول:

أنوار مهلا كم ثوى من ربرب نور ولاحت في الدجي أنوار (3)

فالتصدير في البيتين هو (بشاشة وبشاش) في البيت الأول أما في البيت الثاني فيكمن في (أنور وأنوار).

ومن النوع الثاني؛أي ما جاءت كلمته الأولى في حشو المصراع الأول نحد:

إذا إشتاقت الخيل المناهل أعرضت عن الماء فاشتاقت إليها المناهل $^{(4)}$

ويقول أيضا في هذا النوع:

فهل زار هذي الإبل طيف خيال؟

لقد زار بى طيف الخيال فهاجني

فالنفس أكبر من يدعوه إبليس (5)

إن كان إبليس ذا جند يصول بمم

فالتصدير في البيت الأول بين (المناهل والمناهل)، أمّا في الأبيات الأحرى فنجده ماثلا في عبارة (طيف الخيال وطيف الخيال) هذا عن البيت الأول، أمّّا البيت الثاني فنجده في (إبليس وإبليس).

أما النُّوع الرابع فيظهر في قوله:

فابعد من الناس تأمن شره الناس $^{(6)}$

عداوة الحمق أعفى من صداقتهم

فالتصدير يكمن في (الناس والناس).

كما استعمل الشاعر التدوير في قصائده وهو كثير، فأغلب قصائده تحتوي على هذا النوع، و «البيت المدور في تعريف العروضيين هو ذلك الذي اشترك شطراه في كلمة واحدة بأن يكون بعضها في الشطر الأول وبعضها في الشطر الثاني»(1)، ويظهر ذلك في قول المعري:

⁽¹⁾ السكاكي: مفتاح العلوم ، تحقيق نعيم زرزور، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط2، 1987، ص: 430- 431.

^{(&}lt;sup>2)</sup> أبو العلاء المعري: اللزوميات، ج2، ص: 491.

⁽³⁾⁻ أبو العلاء المعري:اللزوميات، ج1، ص:310.

^{(&}lt;sup>4)-</sup> أبو العلاء المعري: سقط الزند، ص: 109.

^{(&}lt;sup>5)-</sup> أبو العلاء المعري: اللزوميات ج2، ص: 459.

⁽⁶⁾⁻ أبو العلاء المعري:اللزوميات ج2، ص: 475.

ـر، فغطى المشيب بالزعفران ثم شاب الدجي، وضاق من الهجــ واقع، بين المهاة والسرحان(2) ونضا فجره، على نسره الــــ إلى أن يقول:

وعلى الدهر من دماء الشهيد يـ فما في أواخر الليــــل فجـــرا ثبتا، في قميصه، ليجيئ الحشـــــ

إلى أخر القصيدة ، فهي كلها تقريبا مبنية بهذا الشكل.

ويقول المعري في موضع آخر يشكو من الحياة:

تعب كلها الحياة، فما أعـ إنّ حزنا، في سـاعة الموت أضعـــا إنما ينقلون من دار أعــــما

ـن على ونحلـه شاهـدان ن وفي أولياته شفقـــان ر، مستدعيا إلى الرحمين

حجب إلا من راغب في إزدياد ف سرور، في ساعة الميلاد ل إلى دار شقوة، أو رشاد⁽³⁾

والشيء الملاحظ أنّ التدوير أكسب البيت غنائية عذبة وانسيابا للألحان وليونة وذلك لأنه يمده ويطيل

ومن بين أصناف الإيقاع التي اعتمد عليها الشاعرأيضا التصريع والذي يظهر في قوله:

لعل الذي يمضى إلى الله أقــرب وطول بقاء المرء سم مجرب مقيــــم بأهليــه ومن يتغرب(4)

بقيت وما أدري بما هو غائب تود البقاء النفس من خيفة الــردى على الموت يجتاز المعاشــر كلهـــم

ويقول:

أولو الفضل في أوطالهم غربـــاء فما سبئوا الراح الكميت للذة

تشط وتناى عنهم القرباء ولا كان منهم للخراد سباء

⁽¹⁾ رمضان الصباغ: في نقد الشعر العربي المعاصر، ص: 232- 233.

⁽²⁾⁻ أبو العلاء المعري:سقط الزند، ص: 92.

⁽³⁾⁻ أبو العلاء المعري: سقط الزند ، ص: 197.

⁽⁴⁾ أبو العلاء المعري: اللزوميات ج1، ص: 65.

وحسب الفتى من ذلة العيش أنه ويقول أيضا في هذا المقام:

إن كسرتني يسد المنايسا ف أمرت بالغسدر أم دفسر لعمري لقد طال هذا السفسر أخرج من تحت هذي السماء وكم عشت من سنة في الزمان

 $_{
m u}$ يروح بأدى القوت وهو حباء $^{(1)}$

فما الأطباء جابريا ولم أطع فيك آمريا علي وأصبحت أحدد والنفر فكيف الإباق وأين المفرو وجاوزت من رجب أو صفر (3)

وهكذا يبدو التصريع في الأبيات الأولى من هذه المقاطع فنجده في المقطوعة الأولى متمثلا في حرف (الباء) المتواجد في نهاية الشطر الأول وكذا نهاية الشطر الثاني، أما في الأبيات الأخرى من المقاطع فهو موجود مثلا في حرف (الهمزة) و (الياء) و (الراء). وهي كلها تصريعات منحت هذه الأبيات حسنا ورونقا وأعطتها إيقاعا منتظما ومتوازنا يستهوي السمع وترتاح له الأذن.

وخلاصة القول أنّ أبا العلاء المعري كان يحاول دائما تفجير طاقته في مجال اللغة من أجل التعبير وذلك بتوظيف ألفاظ حيدة وقوية وصور منمقة وإيقاع متوازن، وهدفه من ذلك هو نقل تجربته الحياتية وشعوره وحالته النفسية، فجاءت معانيه بذلك عميقة وصوره ثرية وموسيقاه موحية.

⁽¹⁾⁻ أبو العلاء المعري: اللزوميات ج2، ص: 35.

⁽²⁾ أبو العلاء المعري: اللزوميات ج2، ص: 872.

⁽³⁾⁻ أبو العلاء المعري: اللزوميات ج1، ص: 414.



خاتمـــة:

لقد رأيت - في هذا البحث - كيف أنّ الاغتراب كموضوع ومصطلح تعرض لكثير من الدراسات و التعريفات من طرف العلماء والأدباء والنقاد فلمسنا بذلك تعريفات له في المعجمات العربية وغير العربية وهذا ما يعكس مدى أهمية هذا الموضوع.

فهو موضوع قديم ظهر في الشعر العربي ومنذ العصر الجاهلي إلى غاية العصر العباسي؛ العصر الذي ظهر فيه شاعرنا وقد عانى منه نتيجة تدهور الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي دفعت به؛أي المعري وغيره الى الهجرة و الابتعاد والاغتراب عن هذا الواقع بكل ما فيه .

والاغتراب أنواع كثيرة منها الاغتراب الاجتماعي والاغتراب السياسي والاغتراب المكاني و الرماني و الاقتصادي والروحي وحتى الإغتراب الذاتي وغيرها من الأنواع التي لحقت بالإنسان ، والمعري واحد من الذين أحسوا ببعض أنواع الإغتراب وعانوا منها وهذا ما حاولت تبيينه في هذا البحث عن طريق تلك الأشعار التي تعدّ المادة الخام والمادة الأولية لموضوعي هذا ، مستوحاة - بطبيعة الحال - من ديوانيه سقط الزند واللزوميات.

ولكن المعري لم يقف مكتوف الأيدي، يتفرج ويلمح معاناته من هذا الاغتراب فقط بل تعدى إلى البحث عن وسائل وطرق للقضاء أو على الأقل الحد من هذه الظاهرة منها مثلا العزلة عن الناس والمجتمع و ذلك بالبقاء في بيته ملتزما إياه بعيدا عن المشاكل مكبّا على الدّرس والتّأليف ، ولكن بقاءه في بيته لم يمنع الناس من زيارته في عقر داره للاستفادة من علمه ، أو الفصل في بعض القضايا السشائكة - مثلما لاحظنا - فصله في قضية أسد الدولة - صالح بن مرداس - حين طالبه قومه بالخروج ليشفع لدى هذا الأحم.

كما استعان إضافة إلى العزلة بالزهد ، فقد وجده طريقة ناجحة للتخلص من الاغتراب، فهو ربحا حتى يوجه فكره إلى لله سبحانه وتعالى و التفكير في موجوداته ومخلوقاته وقدراته و يكون بذلك قد حول فكره وعقله إلى مجال آخر بعيد عن مجال الاغتراب والسجن و القيد .

فاغترابه وانعزاله كان سببا في زهده وورعه وخوفه من الله ومن حقيقة الموت بعد هذه الرحلة الشاقة في حياته و هذا ما شجّعه على طلبها _ مثلما رأينا _ وتمنّيها بعد ماكره وملّ الحياة والدنيا بما فيها لأنها في نظره لا تبعث إلّا على الشر ، فهي دار شرور مثلما قال المعري وعبّر على ذلك بأبيات كثيرة تشرح وتبين هذه الحقيقة الكامنة في نفسه وتفكيره.

وقد تشكّل شعر الاغتراب عند المعري من عناصر فنّية كالمعجم الشعري ،إذ استمد فيه مادتـه اللغوية من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف هذا ما يعكس لنا ثقافته الدينية وكذلك استند على الشعر العربي القديم ؟فهو أحسن ديوان جامع لأخبار العرب وأيامهم وأنساهم ،كما استند على التاريخ سواء الإسلامي والعام.

إضافة إلى المعجم الشعري نجد عنصر للصور الفنية التي أولاها عناية خاصة ، ونوع فيهاكالتشبيه والاستعارة والكناية كما أنّ للصورة البديعية أهمية ودورا كبيرا في التعبير عن غربته فهي ليست زخارف لفظية بل تعد عنصرا بنائيا هامّا في القصيدة فإضافة إلى تقوية المعني تقوم بإثراء الشعر إيقاعيا، وتظهر هذه الصورة في الطباقات المختلفة والمقابلات إضافة إلى الجناس.

كما لا ننسى الموسيقى الشعرية فهي من أهم العناصر التي ارتكز عليها شعره ، وقد امتازت موسيقاه بالتنوّع والثراء فنلمح الطباق والمقابلة والتّكرار إضافة الى التصدير بأنواعه والتدوير والترصيع والوزن والقافية والرويّ وهي كلها عناصر تتظافر فيما بينها لتكون في الأخير بنية إيقاعية متميزة.

فهذه مقتطفات أو ملخّص يحمل أهم ما قدمته في موضوع الإغتراب في شعر أبي العلاء المعري، والذي أفرز جملة من النتائج ُ أو جزها في النقاط التالية:

1- على الرغم من وجود بعض المؤلفات والكتب التي تتحدّث عن الشاعر وثقافته ومختلف محطات حياته، إلا أنه يصعب علينا إيجاد هذا الموضوع الذي طالما تحدثنا عنه عند هذا الشاعر ألا وهو الاغتراب الذي عرف به عن طريق شعره ومن مخلفاته وآثاره.

2- من يبن الأنواع التي شهدنا أثرها على المعري هو اغترابه الزماني فالنوائب التي مر بها الـشاعر والأحداث التي عايشها في وقته وعصره جعلته يسخط على هذا الزمان وينعته بمختلف النعوت، والأدهى من ذلك سخطه على أهل زمانه، وهذا ما جعله يغترب عنه — الزمان وينفصل، وقد ترددت بعض المفردات التي تدور في فضاء موضوع الاغتراب الزماني من مثل الزمان والزمن، الدهر، الليالي، الخطوب، الأيام وغيرها من الألفاظ التي تدلنا على هذا النوع من الإغتراب، والتي يمكن عدّها مظهراً يتناسب مع نزعته التشاؤمية وميله إلى الشكوى.

3- كما عانى الشاعر من الاغتراب الاجتماعي إذ لعبت فيه القيم الفاسدة وانقلاب الموازين وتفشي الآفات والعادات السيئة دورا كبيرا في إذكاء لهيب الاغتراب والانفصال عن المجتمع، وقد شمل الاغتراب عن المجتمع مواضيع عديدة منها الاغتراب عن الناس الذين هم في نظره سبب المشاكل والآفات الاجتماعية لذا وجب مقاطعتهم والابتعاد عنهم قدر المستطاع، إضافة إلى الاغتراب عن القيم الظاهرة في المجتمع والتي تعكس فساده و انحلال أحلاق أهله و ناسه.

4- وقد تعرض أبو العلاء المعري إضافة الى قيم المجتمع إلى بعض القضايا السياسية، فجاهر بآرائه تحاه السياسيين فأمر بالعدل وعدم الظلم الذي تفشى كثيرا في المجتمع من طرف الحكام، فهو يتمنى محيء إمام عادل يحكم عقله ليميز بين الخير والشر وبين الظلم والعدل وغيرها من القيم

5- وقد لقي الاغتراب المكاني حظه الوافر في شعر المعري، حيث هجر بلده المعرة إلى بغداد ليقيم فيها سنين وقد كانت للظروف المعيشة في ذلك الوقت دورا كبيرا في رحيله عن بلده ولكن - وهذا الملاحظ - مهما كانت الأسباب والدواعي التي جعلته ينأى عن بلده، إلا أنّه كان يكره في حقيقة الأمر الابتعاد عن وطنه الأم وهذا ما لمسناه في قصيدته التي عاتب فيها حاله حين هاجر بلاده إلى المغرب، هذا ما يعكس حبه الشديد لوطنه بالرغم مما عاناه منه ومن ناسه، وقد اكتسب الاغتراب المكاني عنده وما ينتمي إلى عائلته اللغوية أبعادا عميقة من حيث إطرادها حيث تردّدت في ديوانيه سقط الزند واللزوميات (35) مرة ، إضافة إلى بعض الكلمات التي لها نفس المعنى مع الاغتراب كالانعزال والبقاء والهجران والتروح والارتحال وهي كثيرة في ديوانيه ممّا يوحي لنا باستحواذ هذه الألفاظ على فكره.

6- لقد تحلى في شعره الحنين والشوق سواء إلى الوطن وأهله في هذا الوطن أو الى بغداد بعـــدما رجع منها إلى المعرة.

7- مخالطة و للناس فيما مضى و معرفة سلوكا هم ، والتعرف على هذا الزمان جعله يبدو غريب وهو في عقر داره بين ناسه وأهل زمانه مما ترك له مخلفات كثيرة كانفصاله عن هذا المجتمع والتفكير في عدم مخالطة أهله وناسه بل والأكثر من ذلك حين إقتنع بعدم الزواج والإنجاب لكي لاتمتلئ الدنيا بأولاد يعانون مثله ويعاني الناس من شرورهم، لذلك فكّر في طرق تخفف من حدة هذا الاغتراب و لم يجد حلا إلا في الزهد والعزلة والانكباب على الدّرس والتّأليف والعبادة.

8- وقد تميز معجمه الشعري بخصائص إضافة إلى تنوع مادته التي إستقاها من القرآن الكريم والتاريخ والشعر العربي القديم وقد إمتاز بالثراء وتعدد أساليبه من مثل التكرار وتوظيف لأدوات الاستفهام الذي أحذ أشكالا متعددة ومعاني مختلفة: كالنفي والتمني و التحسر وغيرها، وكذا مزجه بين هذا الموضوع؛ أي الاغتراب وموضوعات أحرى كالطبيعة والغزل.

9- كما نحد إضافة إلى المعجم الشعري والصورة الشعرية التي كان لها الدور البارز في التعبير عن غربته الموسيقى الشعرية التي امتازت هي الأخرى بالتنوع و الثراء؛ فنجد مثلا الوزن الذي استعمله الشاعر غالبا ما يكون بحره الطويل و الكامل والبسيط، وقد أدخل فيها بعض التعديلات وذلك للضرورة الشعرية.

كما أنّ هناك خصيصة إيقاعية تظهر في شعر الإغتراب ألا وهي التكرار الذي يــشمل بعــض الحروف في قصيدة واحدة، أو تكرار حرف واحد في أبيات عديدة ، فهذه التكرارات ساهمت في بنــاء الإيقاع الداخلي .

ولعلي في الأخير بهذا البحث المتواضع ، أكون قد أسهمت في تجلية وتبيين – قدر المستطاع – لهذا الجانب الخفي لدى شاعر يعد من بين الشعراء المهمين الذي يليق بنا وبغيرنا بالاهتمام به وبأشعاره التي كانت خير ترجمان على كوامن نفسه وخبايا عقله ،فأرجو أن أكون قد وفقت في رسم صورة واضحة عن موضوع الاغتراب في شعر أبي العلاء المعري ، هذا الشاعر الذي عجز كثير من الناس عن فهمه لطبيعته الحساسة وسلوكه المميز وحسه المرهف وحدسه الدقيق ، والله الموفق وهو الهادي الى طريق الرشاد.

والحمد لله رب العالمين.

التشجير الموضوعساتي

دهر ، زمن ، خطوب ، ليالي ، أيام	الشاعر وأحداث الزمان	◄ الاغتراب الزمايي ـــــــــــــــــــــــــــــــــــ	
منون، منایا، موت، حمام	الشاعر والموت		
	اغتراب عن الناس		
غواة، لؤماء، ذئاب، أدناس، أذيات، دنايا	الاغتراب عن قيم المجتمع وعاداته وأعرافه السائدة	◄الاغتراب الاجتماعي	
غرامات سوء، ظلم، مكوس، غرامات		◄ الاغتراب السياسي	الاغتىراب
النوى ، النوافر، البعد، البعاد الإرتحال	الاغتراب عن الوطن		مفتاح الشجرة ص الموضوع الرئيسي
المعرة الحنين إلى الوطن الوطن الأرض ، البلاد، المعرة	الشوق والحنين	◄ الاغتراب المكاني	→ الموضوع الفرعي
اه الحنين إلى بغداد بغداد ، العراق ،الكرخ، الفراد			فرع الموضوع الفرعي . فرع فرع الموضوع
الوحدة الانعزال الإنفراد ، الإننفصال	العزلة	→ طرق قهر الاغتراب	الفرعي ·····الكلمات المجسدة للموضوع
الدنيا، الشرور، ناسك	الزهد		

قائمة المصادر والمراجع

- 1- القرآن الكريم.
- 2-ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 2001.
 - 3- ابن العديم: أبو العلاء المعري، دار سعد للطباعة والنشر، مصر، (د،ط)، 1945.
 - 4- ابن منظور: لسان العرب، دار صادر ،بيروت ،طبعة حديدة.
- 5- أبو العلاء المعري: اللزوميات، حققه وأشرف على طباعته جماعة من الأخصائيين، منشورات محمد على بيضون، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان، (د، ط)، 2001.
- 6- ديوان سقط الزند، شرحه أحمد شمس الدين ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ، ط1، 1990.
- 7- شرح دیوان سقط الزند، شرح وتعلیق ، ن ، رضا، منشورات دار مکتبة الحیاة، بیروت ، لبنان، 1987.
 - 8- أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني، دار الكتب، (د، ط، د، ت).
- 9-أبو حيان التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة، صححه وضبطه وشرح غريبه خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1997.
- 10- أبو هلال العسكري:الصناعتين، الكتابة والشعر، حققه وضبط لغته: مفيد قميحة،دار الكتب العلمية ، بيروت، ط2، 1989.
- 11- إحسان عباس، إتجاهات الشعر العربي المعاصر، المحلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، سلسلة عالم المعرفة، 1988.
- 12- أحمد محمد عبد الخالق، قلق الموت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، سلسلة عالم المعرفة، 1998.
- 14- امرؤ القيس، الديوان ، ضبطه وصححه مصطفى عبد الشافي ، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان، (د، ط، د، ت).
 - 15- إلياس خوري، الذاكرة المفقودة، دراسات نقدية، شؤون فلسطينية، بيروت، ط1، 1982.
 - 16- إيليا الحاوي: شرح ديوان أبي تمّام، دار الكتاب اللّبناني، بيروت، ط1، 1981.

- 17- // // ،في النقد والأدب ، مقدمات جماعية عامة مقطوعات من العصر الإسلامي والأموي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط5.
 - 18- بدر ضيف: شعر طريح بن إسماعيل الثقفي، دار الوفاء، ط1، 2004.
 - 19- البغدادي: حزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، المطبعة الميرية ببولاق، ط1، (د،ت).
- 20- جابر عصفور: الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط3، 1992.
- 21- حاك شورون: الموت في الفكر العربي، ترجمة كامل يوسف حسين، مراجعة إمام عبد الفتاح، الكويت ،سلسلة عالم المعرفة، يناير 1978.
- 22- الجرجاني: الوساطة بين المتنبي وخصومه، تحقيق وشرح أبو الفضل إبراهيم، علي البيضاوي، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، (د، ط).
- 23- جعفر خريباني: أبو العلاء المعري رهين المجيسين، دار الكتب العلمية ،بيروت، لبنان، ط1، 1990.
- 24- حاتم الطائي: الديوان، شرحه وقدم له أحمد رشاد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1986.
- 25- حسن جعفر نور الدّين:لبيد بن ربيعة العامري _ حياته وشعره _ دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1990.
- 26- حنا الفاحوري: منتخبات الأدب العربي ، منشورات المكتبة البوليسية ، بيروت ، لبنان ، ط5، 1970.
 - 27 الخطيب التبريزي: ديوان أبي تمام ، دار المعارف، مصر، ط2، (د، ت).
- 28- خليل شرف الدين: في سبيل موسوعة فلسفية، أبو العلاء المعري ، دار مكتبة الهلال ، 1995.
- 29-خليل مرسي:الحداثة في حركة الشعر العربي المعاصر، مطبعة الجمهور، دمشق، ط4، (د، ت).
- 30- دانييل برجيز: مدخل الى مناهج النّقد الأدبي ،ترجمة رضوان ظاظا،مراجعة المنصف الشنّوفي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ،الكويت، سلسلة عالم المعرفة، 1997.
- 31 -الرازي: مختار الصحاح، تحقيق وشرح وضبط سعيد محمود عقيل ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان، (د، ط)، 2002.
 - 32- رجاء عيد: التجديد الموسيقي في الشعر العربي، دار النهضة العربية، بيروت، 1984.

- 33- رمضان الصبّاغ: في نقد الشعر العربي المعاصر، دار الوفاء، (د، ت، د، ط).
- 34- ريتشارد شاخت: مستقبل الاغتراب مع دراسة المشروع الفلسفي عند ريتشارد شاخت، ترجمة وهيبة طلعت أبو العلا، منشأة المعارف، (د، ط،د، ت).
 - 35- الزمخشري: أساس البلاغة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1998.
- 36- زهيربن أبي سلمي: الديوان شرحه وقدم له علي حسين فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1998.
 - 37- الزوزني: شرح المعلقات العشر، دار الفكر، بيروت، لبنان ، ط1، 2005.
 - 38- السعيد الورقى: لغة الشعر العربي الحديث، دار النهضة العربية ، بيروت، لبنان ، 1984.
 - 39- السكاكي: مفتاح العلوم ، تحقيق نعيم زرزور، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط2، 1987.
- 40- سميرة سلامي: الاغتراب في الشعر العباسي القرن الرابع الهجري، دار الينابيع، دمشق ط1، 2000.
- 41 سناء خضر: النظرية الخلقية عند أبي العلاء المعري بين الفلسفة والدين ، دار الوفاء، الإسكندرية، ط1، (د، ت).
- 42 شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الثاني، دار المعارف، مصر، (د، ط، د، ت).
- (د، المعارف، مكتبة الدراسات في الشعر العربي المعاصر، دار المعارف، مكتبة الدراسات الأدبية، ط8، (د، ت).
 - 44- // // ،فصول في الشعر ونقده، دار المعارف، الطبعة الثالثة، (د،ت) .
- 45- صالح زامل: تحول المثال دراسة لظاهرة الاغتراب في شعر المتنبي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2003.
 - 46- صبحى حموي: المنجد في اللغة المعاصرة، دار المشرق، بيروت، ط1، 2000.
 - 47-صلاح فضل: الأساليب الشعرية في اللّغة المعاصرة، بيروت، ط1، 2000.
 - 48- // // ،مناهج النّقد المعاصر ،دار الآفاق العربية ،(د،ط ،د ت).
 - 49 طه حسين: أبو العلاء المعري ،حياته وشعره، دار النفس للنشر (د، ت، د ، ط).
 - 50- // // ، تعريف القدماء بأبي العلاء ،الدار القومية للطباعة والنّشر ،القاهرة ،1965.
 - 51- // // ، المجموعة الكاملة، أبو العلاء المعري، دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة، ط2، 1983.

- 52 –عائشة عبد الرحمن : مع أبي العلاء في رحلة حياته، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1972.
- 53-عبد الحفيظ بولخراص :الغربة والحنين في شعر ابن حمديس الصقلي ،رسالة ماحستير ، جامعة فرحات عباس سطيف ، 2005.
- 54- عبد الحميد جيدة: الإتجاهات الجديدة في الشعر العربي المعاصر، مؤسسة نوفل ، بيروت، ط1، 1980.
- 55- عبد الحميد هيمة: الصورة الفنية في الخطاب الشعري الجزائري ، إتحاد كتاب الجزائريين، ديدوش مراد، الجزائر، ط1، 2003.
- 56- عبد الرحمن تبرماسين، العروض وإيقاع الشعر العربي، دار الفجر للنشر والتوزيع، ط1، 2003.
- 57 عبد الرزاق قسوم، مفهوم الزمان في فلسفة بن رشد، المؤسسة الوطنية للكتاب، 3 شارع زيغود يوسف، الجزائر، 1986.
 - 58 عبد القادر زيدان: قضايا العصر في أدب أبي العلاء المعري، دار الوفاء، ط1، 2004.
 - 59 عبد القادر عبد الحميد زيدان ، التمرد والغربة في الشعر الجاهلي، دار الوفاء، ط1، 2003.
- 60- عبد الكريم حسن: المنهج الموضوعي نظرية وتطبيق، شراع للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، ط2، 1996.
- 61- عبد الله التطاوي، القصيدة العباسية قضايا واتجاهات، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة ، (د، ت، د،ط).
- 62- عبد المالك مرتاض: الأدب الجزائري القديم، دراسة في الجذور، دار هومة ، (د، ت)، 2005.
 - 63- عبده بدوي: الغربة والاغتراب والشعر، دار قبا للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1998
- 64 عدنان قاسم: الأصول التراثية في نقد الشعر العربي المعاصر دراسة نقدية في أصالة الشعر منشورات المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع والإعلان، ط1، 1980.
- 65- عز الدين إسماعيل:قضايا الشعر العربي المعاصر، دراسات وشهادات، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، إدارة الثقافة، تونس، 1988.
- 66- عزّت حجازي: الشباب العربي ومشكلاته، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، سلسلة عالم المعرفة، 1985.

- 67-عزيز السيد جاسم: الاغتراب في حياة وشعر الشريف الرضى، دار الأندلس، بيروت، لبنان، ط1، 1986.
- 68- على شلق: أبو العلاء المعري والضبابية المشرقة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، 1981.
 - 69- على فاعور: ديوان أبي نواس، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان، ط2، 1994.
 - 70- ديوان الفرزدق، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان، (د، ط، د، ت)، .
- 71- عمر بوقرورة: الغربة والحنين في الشعر الجزائري الحديث (1945-1962)، منشورات جامعة باتنة ، (د، ط ، د ، ت).
 - 72- عمر الفروخ: حكيم المعرة:دار لبنان ،بيروت ،لبنان ،(د،ط،د،ت).
- 73- عمر يوسف قادري: التجربة الشعرية عند فدوى طوقان بين الشكل والمضمون، دار هومة، (د، ط، د، ت).
 - 74- فاضلى إدريس: الوجيز في المنهجية والبحث العلمي ، جامعة الجزائر ، 2003/2002.
- 75- فاطمة حميد السويدي: الاغتراب في الشعر الأموي، مكتبة مدبولي، القاهرة، الطبعة الأولى، 1997.
 - 76- الفيروز آبادي: القاموس المحيط، دار الفكر، بيروت، 2005.
- 77- كريم زكي حسام الدين: الزمان الدلالي، دراسة لغوية لمفهوم الزمن وألفاظه، في الثقافة العربية، دار غريب، القاهرة، (د،ت)، ط2.
- 78- مجموعة من المفكرين المتخصصين: فكرة الزمان عبر التاريخ، ترجمة: فؤاد كامل، مراجعة شوقى جلال، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، سلسلة عالم المعرفة، ينائر 1978.
- 79- محمد زكي العشماوي: قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث، دار المعرفة الجامعية (د، ط) ، 1998.
- 80- محمد الطيب محمد النادي: تاريخ الأدب والنصوص الأدبية ، مكتبة الوحدة العربية ، الجزائر (د، ط، د، ت).
- 81- محمد علي بيضون : شرح ديوان عنترة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط3، 2002.
- 82- محمد مصطفى أبو شوارب: جماليات النص الشعري قراءة في أمالي القالي ، دار الوفاء، الإسكندرية، ط1، 2005.

- 83- محمد غنيمي هلال: النقد الأدبي الحديث، هضة مصر للطباعة، (د، ط)، 2001.
 - 84- مصطفى أمين وعلى الجازم: البلاغة الواضحة، دار المعرف، ط16.
- 85- مصطفى البشير قط: قراءات في النقد والأدب، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ط1، 2008.
- 86-مصطفى صالح كشاف: مصادر دراسة أبي العلاء المعري، مطبعة العلم، دمشق، 1978.
- 87- موريس أنجرس: منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية، ترجمة بوزيد صحراوي، كمال بوشرف ، سعيد سبعون ، دار القصبة للنشر ، (د، ط)، 2004.
- 88- مي يوسف خليف: ظاهرة الاغتراب عند شعراء المعلقات، دار الثقافة للنشر والتوزيع، (د،ط،د، ت).
- 89- وهب رومية: شعرنا القديم والنقد الجديد، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، سلسلة عالم المعرفة، مارس 1996.
- 90- يحي العبد الله: الاغتراب دراسة تحليلية لشخصيات الطاهر بن حلون الروائية ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت، ط1، 2005.
 - 91- يوسف الخال: الحداثة في الشعر ، دار الطليعة، بيروت، (د، ط، د، ت).
- 92- يوسف خليف: الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، دار المعارف، مكتبة الدراسات الأدبية ، ط3، (د، ت).
- 93- // // ،في الشعر العباسي نحو منهج حديد، مكتبة غريب دار قبي للطباعة (د، ط، د، ت).
 - 94- يوسف الشيخ محمد، ديوان البحتري، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان، ط1، 1987.
 - 95- يوسف فرحات: كتاب الموسوعة الفلسفة الإسلامية وأعلامها، ط1، 1986.
 - 96 يوسف وغليسي:محاضرات النّقد الأدبي المعاصر ،منشورات جامعة قسنطينة 2004-2005

المجلات والدوريات:

- 97- الأخضرعيكوس: الخيال الشعري وعلاقته بالصورة الشعرية ، محلة الآداب ، جامعة قسنطينة، عام 1994،
- 98- حسن محمد حسن حماد : الإغتراب عند أبي حيان التوحيدي ، دراسة فلسفية من خلال الفكر الوجودي ، مجلة فصول، القاهرة ، ع3، خريف 1995.
- 99– الطاهر رواينية :القراءة الموضوعاتية للنّص الأدبي ،محلة اللغة والأدب ،جامعة الجزائر،ع11، 1997.

-100 فاروق شوشة: لزوميات المعري، صوت إحتجاج وإدانة، مجلة العربي، الكويت، ع534، مايو ، 2003 .

101- قيس النوري: الاغتراب اصطلاحا ومفهوما، محلة عالم الفكر ، الكويت ،ع1، 1979.

المواقع الإلكترونية:

102 صبار نورالدين: الاغتراب بين القيمة المعرفية والقيمة الجمالية، محلة الموقف الأدبي ، إتحاد كتاب العرب، دمشق، ع 355، 23 سبتمبر 2003، www. a w u. dam. org

103- غسّان السيد: الاغتراب في أدب زكريا تامر، مجلة الموقف الأدبي، اتحاد الكتاب العرب، محلق ، ع 352، 23 سبتمبر 2003. www.awu.dam.org

104− القاموس المحيط و القابوس الوسيط. www.al-emon.com

105− محمّد راضي جعفر، الاغتراب في الشعر العراقي، دراسة من منشورات اتحاد الكتاب العرب،gwww.awu.dam.or

www.al-mostafa.com البلدان. عجم البلدان. 106

فهرس المحتويات

عرفان:	شكروء
۶	إهدا
ā	مقدمــــ
	تمهید
ل الأول:مفهوم الاغتراب وأنواعه وجذوره في الشعر ا	الفصز
م الاغتراب	1- مفهو،
ع الاغتراب	2- أنواخ
الاغتراب في الشعر العربي القديم	<i>3</i> - جذور
ل الثاني: الاغتراب الزماني في شعر المعري	
	توطئة
عر وأحداث الزمان	1- الشاء
عر والموت	2- الشاد
ل الثالث: الاغتراب الاجتماعي والسياسي في شعر الم	الفصا
راب عن الناس	
راب عن قيم المجتمع وعاداته وأعرافه السائدة	2- الاغتر
راب السياسي	
ل الرابع: الاغتراب المكاني في شعر المعري	
راب عن الوطن عند أبى العلاء ودواعيه	
ت الشوق والحنين في شعر المعري	2- تجليا
- الله الله الله الله الله الله الله الل	
– الحنين إلى بغداد	
قهر الاغتراب عند المعري	3- طرق
	- Í
13.11-	-, 3

•••••	الموضوعاتيا
في شعر الاغتراب عند المعري	صل الخامس: العناصر الفنية
	لعجم الشعري
	الصورة الفنية
	البنية الإيقاعية
•••••	